

المديح النبوي عند محمد بن سعيد البوصيري وأحمد شوقي:

## دراسة مقارنة بين همزيتيها

(أطروحة جامعية تم تقديمها إلى جامعة كاليكوت

لنيل شهادة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها)

(نسخة منقحة)

قدمها

سفر الله إي. كي.

تحت إشراف

د. عبد اللطيف بي. بي.

الأستاذ المساعد، قسم البحوث والدراسات العربية

كلية تونجان الحكومية، تيرور



جامعة كاليكوت

م ٢٠٢٥

**THE PROPHETIC PANEGRYRICS OF  
MUHAMMED BIN SAEED AL-BUSIRI AND AHMED SHAWQI:  
A COMPARATIVE STUDY OF THEIR HAMZIYAS**

(Revised Copy)

Thesis Submitted to the University of Calicut in Partial Fulfillment of  
Requirements for the Award of the Degree of  
**DOCTOR OF PHILOSOPHY**  
**IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE**

By

**SAFARULLA E.K**

*Under the supervision of:*

**Dr. ABDUL LATHIEF P.P**

Assistant Professor

Research Department of Arabic

Thunchan Memorial Govt. College, Tirur



Research Department of Arabic  
**THUNCHAN MEMORIAL GOVT. COLLEGE, TIRUR.**  
**UNIVERSITY OF CALICUT**

2025

## **DECLARATION**

I, SAFARULLA E.K, hereby declare that the work presented in the thesis entitled “THE PROPHETIC PANEGYRICS OF MUHAMMED BIN SAEED AL-BUSIRI AND AHMED SHAWQI: A COMPARATIVE STUDY OF THEIR HAMZIYAS” is based on the original work done by me under the guidance of Dr. Adul Lathief P.P, Assistant Professor (Retd.), TM Govt. College, and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree. The contents of the thesis are undergone plagiarism check using iThenticate software at C.H.M.K. Library, University of Calicut. and the similarity index found within the permissible list. I also declare that the thesis is free from AI generated contents.

SAFARULLA E.K

Place: TMG College, Tirur

Date: 21/05/2025

## **CERTIFICATE**

This is to certify that this thesis work titled “THE PROPHETIC PANEGYRICS OF MUHAMMED BIN SAEED AL-BUSIRI AND AHMED SHAWQI: A COMPARATIVE STUDY OF THEIR HAMZIYAS” submitted to the University of Calicut, in a partial fulfilment of the requirements for the award of Doctor of Philosophy in the Arabic literature is a bona fide record of research work carried out by Mr. SAFARULLA E.K under my supervision and no part of the thesis has formed for the award of any degree earlier.

Place: TM Govt. College, Tirur

Date: 21/05/2025

DR. ADUL LATHIEF P.P  
Assistant Professor (Retd.),  
TM Govt. College, Tirur.

## مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،  
محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحابه أجمعين. وبعد،

فهذه أطروحة بحث أكاديمي بعنوان "المديح النبوي عند محمد بن سعيد البوصيري وأحمد شوقي: دراسة مقارنة بين همزيتيهما"، تم إعدادها للتقديم إلى جامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراة في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها.

المديح النبوي من أبرز الفنون الشعرية التي شغلت مساحة واسعة من الإبداع العربي، حيث يجسد الشعراء من خلاله أسمى مشاعر الحب والتقدير للنبي محمد ﷺ. ومن العصر النبي إلى العصر الحديث استمر هذا النوع من الشعر بأشكاله المختلفة. رغم أن الغرض الأساسي في المدائح تمجيد النبي الكريم، اتصل بها أغراض ثانوية حسب البيئة التي تحيط بالشعراء كالأهداف التحزبية والسياسية والنهضوية.

وُضعت اللبنات التأسيسية لفنّ المديح النبوي في عصر النبي ﷺ، ثمّ نما هذا الفن وتطوّر وبلغ ذروته في عصر الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري، لأن أكبر همّه المدح النبوي، فقرض أشعارا في هذا الغرض بما فيه من قصائد طويلة وصغيرة. ونهج منهجه كثير من الشعراء في العصور اللاحقة. وفي العصر الحديث خاض الشاعر أحمد شوقي عالم المديح النبوي إلى جانب أشعاره الرائعة الأخرى.

ومن تلك القصائد التي خلّدها التاريخ في هذا المجال، قصيدتا الهمزية للبوصيري وأحمد شوقي، اشترك كل واحد منهما في المضمون والروي. وهما نموذجان مثاليان لدراسة التطور الفني والفكري للمديح النبوي عبر العصور.

على الرغم من أن البوصيري وأحمد شوقي ينتميان إلى عصرين مختلفين، فإن بينهما أموراً مشتركة، إذ إن كليهما من مصر، وكلاهما عاش في بيئة القصور، فكان البوصيري موظفاً تحت بلاط الدولة المملوكية، بينما خدم شوقي في القصر الخديوي. كما يعدّ كلّ منهما من أبرز شعراء عصره، فقد ارتبط اسم البوصيري بالمديح النبوي خاصة، بينما تنوّعت أغراض شوقي الشعرية بين المدائح والوطنيات والمراثي والاجتماعيات.

تميزت بيئة كل شاعر بعوامل مؤثرة انعكست في أعمالهما. فقد نشأ البوصيري في بيئة صوفية، فصار شعره مفعماً بالنفحات الروحانية والوجدانية التي تسعى إلى إعلاء شأن النبي الكريم والتوسل به. أما شوقي، فلم يكن متأثراً بالتصوف بشكل مباشر، بل كانت أغراضه الشعرية ذات طابع سياسي واجتماعي، حيث كان معنياً بالقضايا الوطنية والقومية إلى جانب المديح النبوي.

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تحليلية مقارنة بين المدائح النبوية لدى البوصيري وأحمد شوقي مع التركيز على همزيتهما. فهذه الدراسة محاولة متواضعة لرصد الأفكار والتقنيات البلاغية والوظائف الجمالية التي تميز بها شعر المديح النبوي لكل من الشاعرين بوجه عام، وهمزيتاهما على وجه الخصوص.

## تحليل العنوان

المدح النبوي: هو كل شعر يمدح به النبي محمد ﷺ، وهو يتناول غالبا الثناء عليه بذكر شمائله وصفاته الخلقية والخلقية، والتعبير عن حبه، وطلب شفاعته، وسرد سيرته ومعجزاته. محمد بن سعيد البوصيري (٦٠٨-٦٩٦هـ): هو أحد أعظم شعراء المدح النبوي، عاش في القرن السابع الهجري، واشتهر بقصائده في مدح النبي ﷺ، لاسيما البردة والهمزية. أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م): هو أشهر الشعراء العرب في العصر الحديث. قد تأثر بالتراث العربي القديم، لكنه جدّد في الشعر من حيث اللغة والصور الشعرية والأسلوب. كتب شوقي قصائد في مدح النبي ﷺ، من أشهرها نهج البردة والهمزية.

الهمزية: في الشعر العربي هي القصيدة التي يكون رومها حرف الهمزة (ء)، وقد اختار كل من البوصيري وأحمد شوقي هذا الشكل الشعري في قصيدة في المدح النبوي. دراسة مقارنة: هي دراسة تحليلية تقارن بين النصين بهدف إلى بيان أوجه التشابه والاختلاف بين المضمون والأسلوب والصور الفنية في ذينك النصين المختارين. هذه الدراسة تقوم بمقارنة بين المدائح النبوية للبوصيري وأحمد شوقي عموما وهمزيتهما على وجه الخصوص.

## دوافع اختيار الموضوع

ومن الأسباب التي دفعت إلى اختيار الموضوع:

- شغف الباحث باستكشاف تطور المدح النبوي بوصفه فناً شعرياً خالداً.
- لاحظ الباحث أن المدح النبوي لعب دوراً هاماً في تشكيل الوعي الديني والثقافي للأمة الإسلامية. لذا رغب الباحث في فهم علاقة المدح والدين في سياقات مختلفة.

- يُعدّ البوصيري من رموز المدائح النبوية، في حين أن أحمد شوقي استوحى العديد من العناصر من مدائحه. ومن هنا نشأت رغبة الباحث في دراسة مدى حضور العناصر المشابهة في مدائحهما.
- لاحظ الباحث أنه لم توجد الدراسات التي تناولت مقارنة بين همزيتي البوصيري وشوقي مع أن هاتين القصيدتين مشهورتان، وذلك مما دفعه إلى اختيار هذا الموضوع.

## أهداف البحث

- تحليل كيف تطور المديح النبوي من العصر الوسيط مع البوصيري إلى العصر الحديث مع أحمد شوقي، مع رصد أوجه التشابه والاختلاف بينهما.
- دراسة الأفكار والتقنيات البلاغية المستخدمة في همزيتي البوصيري وشوقي.
- توضيح مدى تأثر الشعارين بالبيئة والظروف المحيطة بهما، وكيفية توظيفهما للعاطفة الدينية في التعبير عن حب النبي ﷺ.
- تقديم تحليل مقارنة بين همزيتي البوصيري وأحمد شوقي من حيث الموضوع والأسلوب والبناء الفني لإبراز دورهما في تطور النوع من الشعر عبر العصور.

## إشكاليات البحث

يسعى هذا البحث ليصل إلى حل المشكلات الآتية:

- كيف تطور المديح النبوي من عصر البوصيري إلى عصر شوقي؟
- ما أوجه التشابه والاختلاف بين مدائح البوصيري وأحمد شوقي؟

- كيف أثرت البيئة الفكرية والزمانية في كل من الشعارين على مدائحهما؟
- ما هي نقاط الاتفاق والاختلاف بين همزيتي البوصيري وشوقي من حيث الأسلوب والمضمون والصور الفنية؟
- وماهي آليات الاتساق التي وظفها الشاعران في قصيدتهما؟
- هل تعد همزية أحمد شوقي مجرد استلهام أم تجديد حقيقي في المديح النبوي؟
- ما الانتقادات التي وُجِّهت إلى أسلوب الشعارين في التعبير وعرض الأفكار، وما الردود عليها؟

## منهج البحث

يتبع هذا البحث منهجا وصفيا تحليليا، حيث يتم تناول المديح النبوي في العصرين المملوكي والحديث من خلال دراسة نصوصه وتحليل مضامينه الفنية والفكرية. ويركّز على دراسة مقارنة بين همزيتي البوصيري وأحمد شوقي، لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما في الأسلوب والبنية والمضمون، كما يعتمد على المنهج التاريخي لتتبع تطور المديح النبوي عبر العصور، وتعتمد الدراسة على مجموعة من المصادر الأدبية والنقدية، مع الاستفادة من الشروح التي تناولت الهمزيتين بالتحليل اللغوي والبلاغي.

## خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة أبواب وفصول وخاتمة:  
الباب الأول: المديح النبوي في التراث العربي، وهو يشتمل على أربعة فصول:

- الفصل الأول: مفهوم المديح النبوي لغة واصطلاحا

• الفصل الثاني: المديح النبوي وتطوره

• الفصل الثالث: العناصر الأساسية في المديح النبوي

• الفصل الرابع: العلاقة بين المديح النبوي والشعب العربي

يتناول هذا الباب الأسس التاريخية والفكرية للمديح النبوي، حيث يعرض الفصل الأول مفهومه لغة واصطلاحاً، مع توضيح الفروقات بينه وبين أغراض الشعر الأخرى. ثم يتبع الفصل الثاني مراحل تطوره عبر العصور المختلفة، بدءاً من الجاهلية وصولاً إلى العصر الحديث، مع تحليل العوامل المؤثرة فيه. أما الفصل الثالث، فيركز على دراسة العناصر والأفكار التي يحويها المديح النبوي. ويختتم الباب بالفصل الرابع، الذي يستعرض دوره في تشكيل الهوية الإسلامية وتأثيره في المجتمع المسلم.

الباب الثاني: المديح النبوي في أعمال البوصيري، وهو يتضمن أربعة فصول:

• الفصل الأول: التجربة الشعرية في عصر البوصيري

• الفصل الثاني: المديح النبوي في عصر البوصيري: دوافعه وخصائصه

• الفصل الثالث: محمد بن سعيد البوصيري: حياته وأعماله

• الفصل الرابع: قصيدة الهمزية للبوصيري

يركّز هذا الباب على دراسة المديح النبوي في أعمال البوصيري، حيث يناقش الفصل الأول البيئة الشعرية لعصره بمختلف جوانبها. كما يستعرض الفصل الثاني الخصائص العامة للمديح النبوي في ذلك العصر، مبيناً تأثير السياق الديني والسياسي والاجتماعي في ازدهار هذا الفن. أما الفصل الثالث، فيتناول سيرة البوصيري، ويحلل عوامل تكوين شخصيته الشعرية

وأعماله في الشعر عموماً وفي المديح النبوي على وجه الخصوص. ويأتي الفصل الرابع لتحليل

قصيدة الهمزية من الأسلوب والمضامين الفكرية التي حملتها.

الباب الثالث: المديح النبوي في أعمال أحمد شوقي، وهو يحتوي على أربعة فصول:

• الفصل الأول: التجربة الشعرية في عصر شوقي

• الفصل الثاني: المديح النبوي في عصر شوقي

• الفصل الثالث: أحمد شوقي: حياته وأعماله

• الفصل الرابع: الهمزية النبوية لأحمد شوقي

يتناول هذا الباب إبداعات أحمد شوقي في المديح النبوي، حيث يبدأ الفصل الأول بملاحظة

السياق الشعري في عصره. ويتناول الفصل الثاني المديح النبوي في عصر شوقي بكل أنواعه،

وأثر التقاليد الأدبية القديمة فيه وعناصر التجديد التي طرأت عليه. أما الفصل الثالث،

فيعرض سيرة أحمد شوقي ومسيرته الإبداعية، مع التركيز على أعماله في المديح النبوي. ويختتم

الباب بالفصل الرابع، الذي يقدم دراسة وصفية لقصيدته الهمزية، موضحاً بنيتها وأفكارها

وسماتها المختلفة.

الباب الرابع: مقارنة بين همزية البوصيري وهمزية أحمد شوقي، وهو يشتمل على أربعة فصول:

• الفصل الأول: المحاور الرئيسية في الهمزيتين

• الفصل الثاني: تجليات بيئة الشعارين في الهمزيتين

• الفصل الثالث: الصور البلاغية في الهمزيتين

• الفصل الرابع: آليات الاتساق في الهمزيتين

يُخصّص هذا البابُ لدراسة مقارنة بين همزيتي البوصيري وأحمد شوقي، حيث يركز الفصل الأول على أهم المحاور الفكرية والموضوعية التي تناولتها القصيدتان مع المقارنة بينها. ويتناول الفصل الثاني تأثير البيئة الثقافية والسياسية في صياغة النصوص، مع إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما. أما الفصل الثالث، فيُحلل الأساليب البلاغية في القصيدتين، متتبعا للإبداع الجمالي عند الشاعرين. ويختم البحث بالفصل الرابع، الذي يناقش آليات الاتساق في القصيدتين من خلال دراسة التناص وظاهرتي التكرار والاستبدال، لإبراز التماسك بين عناصر النصوص.

## دراسات سابقة

تتنوع الدراسات حول المديح النبوي، فبعضها تتناول هذا الفن من الشعر بشكل عام بينما تسلط البعض الضوء على مدائح شاعر معين في حقبة محددة، كما أن هناك العديد من المقالات التي تناولت مدائح البوصيري وأحمد شوقي، لكنها غالبا تتمحور حول قصيدتي البردة ونهج البردة. أما الدراسات السابقة التي تقترب أكثر من موضوع هذا البحث:

## دراسات في المدائح النبوية

مبارك، د. زكي، الموازنة بين الشعراء، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١١م. في هذا العمل، يخصّص الكاتب أحد أبواب الكتاب للتعريف بقصيدة البردة ونهج البردة. ثم ينتقل في الباب التالي إلى إجراء مقارنة تحليلية بين البردة ومعارضتها - معارضة أحمد شوقي باسم نهج البردة ومعارضة محمود سامي البارودي باسم كشف الغمة في مدح سيد الأمة.

مبارك، د. زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٢ م. هذا أول عمل شامل في دراسة تاريخ المدائح النبوية وعناصرها. وهو لم يتطع إلا إلى بردة البوصيري وإلى خصائصها إلى جانب مدائح الشعراء الآخرين. قام زكي مبارك في هذا العمل بمراجعة بعض مواقفه حول قصيدة البوصيري المطروحة في كتابه 'الموازنة بين الشعراء'. علي مكي، الدكتور محمود، المدائح النبوية، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١ م. تناول الكاتب في هذا العمل تاريخ المدائح النبوية من عصر النبوة إلى العصر الحديث. وفيه ذكر لأعمال البوصيري وأحمد شوقي ولكن لم يتطرق إلى همزيتيها.

### دراسات في أعمال البوصيري

فتح الله مصباح، د. محمد، بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠١١ م. هذه دراسة مستفيضة في قصيدة البردة وشروحها ومعارضاتها وتخميساتها.

الحمامصي، عبد العال، البوصيري ممدح الرسول الأعظم، دار البشائر الإسلامية، بيروت - ١٩٩٣ م. هو كُتِيب يُعرّف فيه الكاتب بأعمال البوصيري في المديح النبوي.

أ.م. د. يحيى حسان، المدائح النبوية عند البوصيري والبرعي دراسة تأصيلية وموازنة، مجلة بحوث، جامعة تعز، اليمن، يوليو ٢٠١٩ م، العدد ٢٠. وهي مقالة تقارن بين مدائح البوصيري وعبد الرحيم البرعي على أنهما شاعران برزا في المديح النبوي في العصر الوسيط.

المطعني، د. عبد العظيم إبراهيم، الهمزية في مدح خير البرية ﷺ رائعة الإمام البوصيري عرض وشرح وتحليل، دار الرائد للطباعة، بغداد - د.ت. يقدم هذا العمل تحليلاً قليلاً للقصيدة.

ويمكن أن يُعتبر من الأعمال التي تُبرز جماليات القصيدة بشكل بسيط على خلاف الشروح الأخرى.

البوطي، د. سعيد رمضان، الهمزيّة.. تلك الرائعة التي انشغل الناس عنها بالبردة، موقع نسيم الشام، ت.ن: ٢٠١٥/٢/٢ م. يتناول الكاتب في هذه المقالة قصيدة 'الهمزيّة' للبوصيري، مسلطاً الضوء على جمالياتها ومعانيها الرفيعة التي لم تحظ باهتمام الناس مقارنة بقصيدته 'البردة'.

### دراسات في مدائح أحمد شوقي

د. سعاد عبد الكريم، إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، القاهرة - د.ت. هذا العمل لا يتركز على مدائح البوصيري رغم أنه يُعرّف بمدائحه في أثناء تحليل إسلامياته. وليس فيه إلا إشارة واهية إلى همزية شوقي.

الحوفي، أحمد محمد، الإسلام في شعر شوقي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، جمهورية مصر - ١٩٦٢ م. تستكشف هذه الدراسة البعد الإسلامي في شعر أحمد شوقي، حيث تسلط الضوء على تجلي إيمانه بالله ومدحه للنبي ﷺ. كما يتناول كيفية إبراز شوقي لخصائص الإسلام ودعّمه للخلافة.

حليمة، مدرس، المديح النبوي عند البارودي وشوقي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية - ٢٠٠٨ م. هذه محاولة للمقارنة بين المدائح للبارودي وشوقي. تتطلع الباحثة إلى بعض أبيات وأفكار همزية شوقي مع تحليل مدائحه الأخرى.

سوداني، عبد الحق، التماسك النصي: مقارنة لسانية نصية في قصيدة الهمزية النبوية  
لأحمد شوقي، التواصل في اللغات والآداب، جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر)، العدد: ٤٩،  
مارس ٢٠١٧م. هي مقالة صغيرة تشتمل على قراءة لسانية لهمزية أحمد شوقي. فيشير الكاتب  
إلى التناصّ وظاهرتي التكرار والتوازي وإلى ذلك.

جلالي فاطمة وخماس سعاد، شعرية المديح بين البوصيري وأحمد شوقي-دراسة موازنة،  
مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، وهذه الدراسة لا تتمحور إلا حول البردة ومعارضتها.

## كلمة الشكر

أحمد الله تعالى وأشكره جزيل الشكر على فضله وكرمه الذي أعانني على إتمام هذا العمل، كما  
أعبر عن خالص امتناني وعميق تقديري للمشرف المخلص د. عبد اللطيف الفيضي، الأستاذ  
المساعد، قسم البحوث والدراسات العربية، كلية تونجان الحكومية، تيرور، لما قدّمه من  
توجيهات بناءة وملاحظات دقيقة أسهمت في تطوير هذا البحث. وأتوجه بوافر الشكر والتقدير  
للأستاذ د. جعفر صادق، رئيس قسم اللغة العربية بكلية تونجان، ولسائر الأساتذة والزملاء  
الباحثين الذين كانوا يدعمونني طوال مسيرتي البحثية. ولا يفوتني أن أعبر عن امتناني العميق  
لكل من قدّم لي العون والتشجيع، من والديّ الكريمين وأفراد أسرتي وأقاربي وأصدقائي الأعزاء،  
كما أن الشكر موصول لإدارة مركز الطيبة للدراسات النبوية في كولام، لتزويد البحث بمواد  
قيمة. أسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء ويبارك في جهودهم.

## خاتمة البحث

بعد هذه الدراسة المقارنة بين مدائح البوصيري وأحمد شوقي عموماً وهمزيتيها على وجه الخصوص، يتضح أن المديح النبوي لم يكن فناً ثابتاً، بل صار يتطور عبر العصور، محتفظاً بجذوره التقليدية لكنه يكتسب في كل زمن طابعاً جديداً يتماشى مع ظروفه الثقافية والاجتماعية. فقد تميزت همزية البوصيري بنفَسٍ صوفي وروحاني عميق، حيث غلب عليها التأمل والتعبير الوجداني، مستخدماً لغة قوية ذات بُعد ديني خالص. أما أحمد شوقي، فقد أضفى على همزيتة لمسة تجديدية، متأثراً بالتيارات الأدبية الحديثة، حيث جعل نصه أكثر تنوعاً وحيوية، إلى جانب اهتمامه الكبير بإبراز الجانب الحضاري والثقافي للإسلام.

وقد كشفت المقارنة بين القصيدتين عن اختلاف واضح في الأسلوب والبنية الفنية، فبينما التزم البوصيري بالأسلوب التقليدي، جاء أسلوب شوقي أكثر انفتاحاً، يجمع بين الكلاسيكية والتجديد، وقد منح ذلك قصيدته مرونة لغوية وتدقيقاً إيقاعياً خاصاً. كما أن البيئة التي عاش فيها كل شاعر لعبت دوراً كبيراً في تشكيل مدائحهما، فانعكس التصوف في شعر البوصيري، بينما تأثرت همزية شوقي بالنزعة النهضوية بشكل كبير.

في النهاية، يفتح هذا البحث آفاقاً جديدة لدراسات أكثر عمقا حول تطور المديح النبوي، وكيف تأثر بالعصور المختلفة، ودوره في تشكيل الخطاب الديني والأدبي في الثقافة العربية.

## نتائج البحث

- المديح النبوي هو شعر يمدح النبي ﷺ بصفاته وأخلاقه ومعجزاته وسيرته وغزواته مع الصلاة والسلام عليه تقديرا وتعظيما. بعض المدائح النبوية قد تركز على جانب واحد مثل الشمائل، فيبدو أن التعاريف المطروحة لهذا الفن الشعري قد تأسست على سماته البارزة في العصور الوسطى.
- صدق المشاعر مهم في المديح النبوي، هذا لا يدل على أن شاعر المديح يجب أن يكون مسلما، فقد نظم غير المسلمين أيضا قصائد في مدح النبي ﷺ إعجابا بأخلاقه ومبادئه.
- رغم كتابة معظم المدائح بعد وفاة النبي ﷺ، فإنها لا تعدّ رثاء لأن الشعراء يرونه حيا في قبره، إلا أن ما كُتب مباشرة بعد وفاته يدخل في باب الرثاء.
- ظهرت ملامح المديح النبوي منذ العصر النبوي على يد شعراء مثل كعب بن زهير، لكنه أصبح فناً مستقلاً في القرن السابع الهجري مع البوصيري.
- عناصر المدائح النبوية تتنوع بين المقدمة، وذكر الولادة، والشمائل، والمعجزات، والأحداث المهمة، والدعاء والصلاة على النبي ﷺ، ولكن ترتيبها يختلف حسب رؤية الشاعر.
- اختلفت مقدمات المدائح النبوية بين الغزل التقليدي (ككعب بن زهير) والنسيب النبوي (كالبوصيري والبارودي)، وخلت بعض المدائح من المقدمة.
- اتبع كثير من الشعراء - منذ البوصيري - الترتيب التاريخي في مدائحهم، وبرزت في تلك المرحلة معاني التوسل والمحبة العميقة.

- كتب البوصيري ١٤ قصيدة في المديح النبوي، تفاوتت في الطول بين القصائد المطولة ك'الهمزية' (٤٥٦ بيتا) والقصائد القصيرة مثل 'الصبح بدا' (٨ أبيات). وذلك يدل على تنوع أساليبه بين الإيجاز والتفصيل حسب السياق.
- استخدم البوصيري البحر البسيط في خمس قصائد مدحية، لسهولته وملاءمته للإنشاد، كما لجأ إلى بحور أخرى كالكمال والطويل والوافر والخفيف وغيرها.
- جمع البوصيري بين التقليد والتجديد، فاستهل بعض قصائده بمقدمات تقليدية، لكنه غالبا ما بدأ مباشرة في موضوع المديح.
- تنقسم المدائح النبوية في العصر الحديث إلى نوعين: معارضات لقصائد شهيرة مثل 'نهج البردة' وكشف الغمة، وقصائد إبداعية ابتكارية مثل 'مجد الإسلام' لأحمد محرم.
- كتب أحمد شوقي أربع قصائد مستقلة في مدح النبي ﷺ، أشهرها 'نهج البردة'، التي نظمها على نمط بردة البوصيري، وتعرض فيها للخيال بشكل لافت، مما أدى بعض أبياته إلى انتقادات، مثل وصف جبريل ب'ظمي'. وواجهت المدائح النبوية لشوقي انتقادات على أنها لا تتضمن الصدق العاطفي.
- تتسم مدائح شوقي مثل 'نهج البردة' و'ذكرى المولد' بمقدمات طويلة، حيث لم يبدأ المدح الصريح في 'نهج البردة' إلا من البيت ٤٣، بينما لا يشمل مدح النبي في 'ذكرى المولد' إلا أقل من ثلث القصيدة.
- قصيدة الهمزية للبوصيري هي أطول مدائحه. اقترض الشاعر هيكل هذه القصيدة وقافيتها وبحرها وأسلوبها الجدلي وحتى بعض مفرداتها من صاحب المعلقة الحارث بن

حلزة اليشكري. قصيدة الهمزية لأحمد شوقي قد تأثرت بقصيدة البوصيري بشكل بسيط حيث استعار الشاعر موضوعها ومفرداتها ورويها وأسلوبها حيث شرع في الموضوع مباشرة بدون مقدمة غزلية.

• رغم تشابه همزية البوصيري وهمزية شوقي في الموضوع والروي، فإن اختلاف البحر (الخفيف للبوصيري والكامل لشوقي) يمنع اعتبار قصيدة شوقي معارضةً شعرية بالمعنى الاصطلاحي.

• تناول كلا الشعارين موضوعات متقاربة مثل المولد النبوي ومرحلة الطفولة والشمائل ورحلة المعراج والقرآن الكريم والتوسل والدعاء لكن اختلفا في طريقة المعالجة.

• ركّز البوصيري على السرد والتفصيل، بينما ركّز شوقي على الجوانب الأخلاقية والحضارية بأسلوب موجز وهادف.

• لم يمنح البوصيري مساحة كافية للشمائل ورحلة المعراج رغم أهمية هذين العنصرين، بينما تعامل شوقي مع جميع المحاور بتوازن دون إطالة وتقصير.

• خصّص البوصيري أكثر من ١٠٠ بيت للتوسل، وبرزت فيه مشاعر شخصية عميقة، بينما وّزع شوقي أبيات التوسل بشكل متوازن، وجاءت مشاعره أقل ذاتية وأكثر توجيهاً نحو الأمة وقضاياها.

• تركيز البوصيري على ذاته لا يعدّ نوعاً من الأنانية كما رأى بعض الباحثين. وهذا الرأي يُهمّل الطابع الروحي والوجداني لقصيدة البوصيري، التي تنبع من تجربة شخصية صادقة لا تتعارض مع وعيه المجتمعي والسياسي.

● لا يظهر ترتيب دقيق للأفكار في قصيدة البوصيري، حيث يسرد أحداث السيرة النبوية دون التزام بالتسلسل الزمني الصحيح، كما ذكر صحيفة الحصار ورحلة المعراج بعد حديثه عن أحداث الهجرة. ينتقل الشاعر من فكرة إلى فكرة ومن موضوع إلى آخر للترابط الطفيف بينهما.

● يشير عدمُ انتظام بعض الأفكار وتكرارها في قصيدة البوصيري إلى أنها كانت تعبيراً تلقائياً عن مشاعره الشخصية، لا قصيدة معدة للإلقاء في المحافل.

● تأثر البوصيري بالأوضاع السياسية، فهاجم معتقدات المحتلّين بأسلوب حوارى تارة وفكاهي تارة أخرى، وخصّص لذلك أكثر من خمسين بيتاً في همزيتة. أما شوقي، فكتب همزيتة في زمن الاحتلال البريطاني واضمحلال الخلافة الإسلامية، فسوّر النبي ﷺ كقائد مثالي ينهض بالأمة، مدافعاً عن الإسلام ضد أفكار الغرب والمستشرقين.

● استخدم شوقي أسلوباً ليّناً في الرد على الأعداء، متجنباً الألفاظ القاسية، بينما اتبع البوصيري أسلوباً مباشراً وصريحاً، بذكر أسماء خصوم الدين بوضوح، وبالدخول مع الأعداء في نقاشات فكرية حادة دفاعاً عن الإسلام.

● تأثر البوصيري بالبيئة الصوفية، وبرز ذلك في تناوله لمفاهيم مثل الحقيقة المحمدية والتوسل والدعاء، إضافة إلى مخاطبة النبي بلقب 'الحبيب' تعبيراً عن القرب الروحي، وهي ظاهرة شاع استخدامها في المديح منذ عصره.

- لم يكن شوقي صوفيًا، لكنه تأثر بالفكر الصوفي تأثرًا فنيًا، خاصة بأسلوب البوصيري، وينعكس ذلك في استخدامه لرمزية النور والنون في وصف النبي، كما يظهر ذلك التأثر في وصف جماله وعظمته والتوسل به والاستشفاع بالمدائح التي كتبها الشاعر.
- استخدم البوصيري التشبيه المرسل المباشر بوضوح، بينما ركّز شوقي على التشبيه البليغ، فجاءت صوره أكثر عمقا وتعقيدا.
- تتجلى في تشابه البوصيري بصمة التقاليد البلاغية الكلاسيكية حيث يميل إلى استخدام صور متكررة مثل الشمس والبحر. أما شوقي، فقد حافظ على هذه العناصر الكلاسيكية ولكنه أضاف إليها طابعا جديدا باستخدامه لصورتي الشمس والأسد بأسلوب غير عادي.
- ركّز كل من الشعارين على استخدام التشبيه بين الأمور الحسية، حيث لم يظهر في أغلب الصور اللجوء إلى تشبيه العقلي بالحسي أو العقلي بالعقلي، إلا أن البوصيري شبّه فضل النبي بالزمان، بينما ابتكر شوقي صورا مثل تشبيه الرأي بالسيف، والعلم بالماء.
- كثيرا ما يستخدم البوصيري الاستعارات التصريحية الواضحة والبسيطة في حين يُفضّل شوقي استعارات مكنية معقدة تزيد عمقا وغموضا.
- رغم قلة الاستخدام، تُوظّف الكناية في القصيدتين لتعميق المعنى وإضافة بُعد إيحائي وجمالي للنص.

• يميل البوصيري إلى الاقتباس القرآني المباشر مع تعديلات طفيفة، بينما يعتمد شوقي على التناصّ غير المباشر، مفضّلاً إعادة صياغة المفاهيم القرآنية بأسلوب شعري مستقل.

• حصل تناص بين همزية البوصيري ومعلقة الحارث بن حلزة، فظهر التشابه في السرد، وذكر الأماكن، وتوظيف الاستفهام الجدلي، إلى جانب استخدام مشتركٍ لبعض ألفاظ مألوفة وغريبة.

• يتجلى التناصّ بين همزية البوصيري وهمزية شوقي في بعض الألفاظ والبنية ومطلع القصيدة حتى في الشخصيات المذكورة في القصيدتين، كما تمّ توظيف بعض الحروف في القصيدتين لإيحاء معنى بأسلوب مبتكر كما قال شوقي: "اسمُ الجلالة في بديع حروفه/ أَلِفٌ هنالك واسمُ «طه» الباء"، و"في كلّ مِنطِقَةٍ حواشي نورها/نونٌ وأنتَ النقطةُ الزهراء" محاكياً أسلوب البوصيري في قوله: "آهٍ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي/أَلِفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وهاء".

• على الرغم من أن شوقي طوّر النص الشعري بأسلوب جديد فهو لم يسلم في همزته من بعض الكلمات التي قد تكون غير مألوفة في عصره مثل 'الغضنفر' و'المهند'.

• في قصيدتي الهمزية، يظهر تكرار بعض الكلمات كوسيلة انسجام يساعد في ربط الأبيات وترسيخ الفكرة الأساسية للقصيدة. في قصيدة شوقي، التكرار أكثر كثافة رغم قصر النص، بينما في قصيدة البوصيري، التي هي أطول بكثير، يتوزع التكرار بانسيابية.

- لجأ البوصيري إلى استبدالات تقليدية ذات طابع صوفي، مثل 'المصطفى' و'المصباح' بدل النبي، بينما استخدم شوقي استبدالات حديثة ذات بُعد بطوليّ وإنساني مثل 'شيخ الفوارس' و'ساقى الجريح'.



**UNIVERSITY OF CALICUT**  
**CERTIFICATE ON PLAGIARISM CHECK**

1.	Name of the Research Scholar	Safarulla E.K	
2.	Title of thesis / dissertation	THE PROPHETIC PANEGRICS OF MUHAMMED BIN SAEED AL-BUSIRI AND AHMED SHAWQI: A COMPARATIVE STUDY OF THEIR HAMZIYAS	
3.	Name of the Supervisor	Dr. Abdul Lathief P.P, Assistant Professor (Retd.), T.M.G. College, Tirur	
4.	Department/Institution	Thunchan Memorial Govt. College Vakkad P.O., Tirur, Malappuram Dist. Kerala, PIN-676502	
5.	Similar content (%) identified	Non Core	Core
		Introduction/ Theoretical overview/Review of literature/ Materials & Methods/ Methodology	Analysis/Result/Discussion / Summary/Conclusion/ Recommendations
		1	9
	Acceptable maximum limit (%)	10	10
6.	Software used	iThenticate	
7.	Date of verification	19-05-2025	

\*Report on plagiarism check, specifying included/excluded items with % of similarity to be attached.

Checked by (with name , designation & signature)

Name and signature of the Researcher *Safarulla E.K. [Signature]*

Name and signature of the Supervisor.

*Dr. Abdul Lathief P.P. [Signature]*

The Doctoral Committee\* has verified the report on plagiarism check with the contents of the thesis, as summarized above and appropriate measures have been taken to ensure originality of the Research accomplished herein.

Name & Signature of the HoD/HoI (Chairperson of the Doctoral Committee)

*[Signature]*  
**Principal,**  
**T.M. GOVT. COLLEGE,**  
**TIRUR.**

\*In case of languages like Malayalam, Tamil etc..on which no software is available for plagiarism check a manual check shall be made by the Doctoral Committee, for which an additional certificate has to be attached.



## الباب الأول

### المديح النبوي في التراث العربي

الفصل الأول	: مفهوم المديح النبوي لغة واصطلاحاً
الفصل الثاني	: المديح النبوي وتطوره
الفصل الثالث	: العناصر الأساسية في المديح النبوي
الفصل الرابع	: العلاقة بين المديح النبوي والشعب العربي

#### الفصل الأول: مفهوم المديح النبوي لغة واصطلاحاً

المديح النبوي هو شعر يتغنى بحب النبي محمد ﷺ، حيث يُنسج بفيض من التقدير والإجلال. وهو تجلٍ لعاطفة صادقة ترسم صورة للكمال الإنساني والديني. يُعدّ المديح

من أقدم أغراض الشعر، إذ يمتدّ تاريخه من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، رغم  
تغيّر عناصره ومحاوره عبر العصور. لكن حين أضيف إليه أسمى المشاعر - الحب  
النبوي - اكتسب بعدا روحانيا ساميا، وأصبح فناً مميزاً بسماته الخالدة.

عندما يتمّ البحث عن جذور كلمة المديح، يتبين أنّ أكثر القواميس تقدم مفهوماً  
مقارباً، كما ورد في تاج العروس: "مَدَحَهُ، كَمَتَعَهُ يَمْدَحُهُ (مَدْحاً وَمِدْحَةً)، بِالْكَسْرِ،  
هَذَا قَوْلٌ بَعْضُهُمْ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَدْحَ الْمَصْدَرُ، وَالْمِدْحَةَ الْأِسْمُ، وَالْجَمْعُ مِدْحٌ (أَحْسَنَ  
الثَّنَاءِ عَلَيْهِ). (وَالْمَدِيحُ، وَالْمِدْحَةُ)، بِالْكَسْرِ، (وَالْأُمْدُوحةُ)، بِالضَّمِّ: (مَا يُمْدَحُ بِهِ) مِنْ  
الشُّعْرِ"<sup>١</sup>. وقال الخليل في كتاب العين: المدح: "نقيض الهجاء و [هو] حُسن الثَّنَاءِ.  
والمُدْحَةُ اسم المديح، وجمعه مَدَائِحُ وَمِدْحٌ، يقال: مَدَحْتُهُ وَاْمْتَدَحْتُهُ"<sup>٢</sup>. وجاء في مختار  
الصحاح "الْمُدْحُ (الثَّنَاءُ الْحَسَنُ وَبَابُهُ قَطَعَ. وَكَذَا الْمِدْحَةُ) بِكَسْرِ الْمِيمِ وَ (الْمَدِيحُ) وَ  
(الْأُمْدُوحةُ) بِضَمِّ الْهَمْزَةِ"<sup>٣</sup>.

من هذا البيان ينتج أن المدحة والمديح والأمدوحة كلها تحمل معنى ما يمدح به. وعلى  
قول بعضهم يُستخدم المدح والمدحة مصدراً كما يطلقان على ما يمدح به.

<sup>١</sup> مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار  
الهداية، الإسكندرية، ج: ٤، ص: ٢٦٢.

<sup>٢</sup> الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة  
الهلل، القاهرة، ج: ٣، ص: ١٨٨.

<sup>٣</sup> الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -  
الدار النموذجية، صيدا - ١٩٩٩م، ط: ٥، ج: ١، ص: ٢٩١.

وفي المعنى الاصطلاحي هو "فنّ من فنون الشعر الغنائي يعبر فيه صاحبه عن عاطفة الإعجاب والتقدير نحو فرد أو جماعة، فيعدّد الأفعال العظيمة ويصف المزايا والشمائل الكريمة"<sup>٤</sup>.

كما يتضح من هذا التعريف، كانت المدائح تركز على إبراز الصفات المادية والمعنوية للممدوحين، كما فعل النابغة الذبياني في مدح الملك الغساني عمرو بن الحارث، وعنتر بن شداد في مدح الملك الفارسي كسرى أنوشروان. ومن الشعراء من أضاف صفات مثالية أخرى غير حقيقية لتعزيز صورة الممدوح كما فعل المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني.

فيستخدم لفظ 'المديح' في اللغة لكل ما يتم الثناء به، ولكن في الاصطلاح، هو يرتبط تحديدا بالشعر، حيث لم يُعرف المدح كفن مستقل إلا من خلاله.

أمّا المديح النبوي فهو "الشعر الذي ينصبّ على مدح النبي ﷺ بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ﷺ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما"<sup>٥</sup>. وفي وجهة أخرى هو "ضرب من الشعر الدفين

---

<sup>٤</sup> أبو شقرا، معي الدين يوسف، مدخل إلى سوسولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - ٢٠٠٥ م، ط: ١، ص: ١٧٠.

<sup>٥</sup> د. جميل حمداوي، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، مجلة ندوة إلكترونية للشعر المترجم، ت.ت: ٢٠٢٥/١٢/٢ م،

<https://www.arabicnadwah.com/articles/madih-hamadaoui.htm>

الذي تجيش به العاطفة الصادقة و يصوغه الإحساس المشبوب، و ينحبس عنه الحب العام<sup>٦</sup>.

فالمديح النبوي شعر يُظهر فيه الشاعر الإعجاب بشخصية النبي ﷺ، و يصوغ فيه صفاته في قالب شعري يثير في القلوب محبة النبي، و يظهر الحنين إلى زيارته وروضته الشريفة والأماكن التي لها علاقة به، و يتحدث عن معجزاته التي ظهرت على يديه بأمر من الله سواء كانت مادية أو معنوية، و يمتدح غزواته التي غزاها النبي المصطفى، و بالإضافة إلى ذلك أحيانا يُبرز الشاعر فيه تقصيره في القيام بالمسؤوليات الدينية التي أُقيت على كاهله، و يظهر تواضعه و استغراقه في ملذات الدنيا، ثم يطلب منه أن يشفع له يوم القيامة، و كلُّ ذلك بصدق القلب و بدافع من العواطف الصادقة بعيدا من الأغراض الدنيوية الأخرى، كما كتب الدكتور زكي مبارك "المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، و باب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق و الإخلاص"<sup>٧</sup>.

يتضح من التعريف المطروح أنّ التعاريف للمديح النبوي بُنيت على خصائصه التي برزت في العصور الوسطى، مما يعني أن القصائد التي تناولت شمائل النبي الكريم في العصر الإسلامي المبكر قد لا تندرج تحت هذا التصنيف لعدم اشتغالها على جميع العناصر المذكورة. لذا، من الضروري الوقوف على هذا المفهوم في سياقه التاريخي المحدد.

---

<sup>٦</sup> مدخل إلى المديح النبوي في الشعر المغربي الحديث، دعوة الحق، العدد: ١١٩، ت.ت: ٢٠٢٥/١٢/٢، م. ٢٨٦٨  
<https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2868>

<sup>٧</sup> مبارك، د. زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، مؤسسة هندواي - ٢٠٢٢ م، ص: ١٥.

## الفرق بين المديح النبوي والرثاء

في بادئ الأمر يبدو أن المديح النبوي يجب أن يكون ضمن الرثاء، وذلك لأن معظم المدائح النبوية قيلت بعد وفاة الرسول ﷺ. وشاعر المديح النبوي يثني على النبي الذي توفي، ويمدح محاسنه كما يثني الشعراء على الميت ويذكر صفاته الحميدة، ولكن النبي عليه الصلاة وسلم متميز عن عامة البشر، لأنه أُعطي في القبر حياة لا يعلم كنهها الإنسان على ما يعتقدده المسلم، وهذا ما ثبت في السنة حيث قال عليه الصلاة والسلام "إنَّ من أفضل أَيامِكُمْ يومَ الجمعةِ فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه النَّفخةُ، وفيه الصَّعقةُ، فأكثرُوا عليَّ من الصَّلَاةِ فيه، فإنَّ صلَاتِكُمْ معروضةٌ عليَّ. قالوا: يا رسولَ اللهِ كيف تُعرَضُ عليك صلَاتُنَا وقد أُرمتْ؟ - يعني بليت - فقال: إنَّ اللهَ حرَّم على الأرضِ أن تَأْكُلَ أجسادَ الأنبياءِ"<sup>٨</sup>.

فيدلّ الحديث على حياة النبي ﷺ في قبره، فلذا خاطب شعراء المديح النبي كأنه حيٌّ، فعلى سبيل المثال شاعر المديح النبوي جمال الدين يحيى بن يوسف الصرصري (١١٩٢م — ١٢٥٨م)<sup>٩</sup>، وهو من شعراء العصر العباسي الأخير، قال عندما هاجم مغول هولوكو على بغداد ودمروا المدينة وأعملوا السيوف، وأطاحوا بالخلافة العباسية حتى استشهد الشاعر فيها، فعندما ساءت الأحوال في بغداد ظهرت قريحته الشعرية فخطب النبي كأنه حي وعرض عليه ما يواجهه من الفوضى، وقال يا رسول الله، كل ما أكتبه من قصائد المدح أهديه إليك لكي تكون قصائدي معطرة بطيبك ومتحلية

<sup>٨</sup> ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن/ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج ١، ص: ٣٤٥.

<sup>٩</sup> جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف عرف بالصرصري نسبة إلى صرصر وهي مدينة بالقرب من بغداد، وكان من أبرز الشعراء الذين تفوقوا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

بأوصافك، وأنت دواء لقلوبنا، وأتوقع منك الإرشاد، وليس لدي ما أشارك معه الهموم  
يا رسول الله، لقد ساءت أحوال البلاد، فأرجوك تدفع عنا الملمات لأنك محبب لدى الله،  
كما ورد في أبياته:

فتكسب من ريبك نشرا مؤرجا	"إليك رسول الله أهدي مدائحي
البهاء وروضا من حلاك مدبجا	وتلبسها أوصافك الزهر حلة ال
كما كنت تأسو قبل أوسا وخزرجا	أسوت بما بينت داء قلوبنا
لتفتح بابا للهداية مرتجا	وكنت نبيا قبل آدم مرتجي
عرام لأهل الحلم أصبح مزعجا	أجرني فقد أصبحت في زمن له
شجوني فما أزداد إلا توهجا	ولست أرى خلا معيناً أبته
لدفع الملمات الشدائد ترتجي" <sup>١٠</sup> .	لأنك عند الله أنجح شافع

ففي هذه الأبيات رجاء والتماس، والشاعر يخاطب النبي ﷺ كأنه حي، فنظرا إلى ذلك  
كتب الدكتور زكي مبارك وهو يميز بين الرثاء والمديح النبوي "وما يقال بعد الوفاة يسمى  
رثاء، ولكنه في الرسول يسمى مدحا كأنهم لحظوا أن الرسول موصول الحياة، وأنهم  
يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء، وقد يمكن القول بأن الثناء على الميت لا يسمى رثاء إلا  
إذا قيل في أعقاب الموت"<sup>١١</sup>. وتعليلاً لهذه المسألة ذكر بعض الباحثين أنّ المادح يعتبر  
الرسول ﷺ موصول الحياة لأنّ شريعته لازالت حية. وما بهذا التعليل من حاجة، عندما  
يُنظر إلى الحديث السالف الذكر. ومع ذلك يبدو أكثر وضوحاً وأقرب صواباً أن القصائد

<sup>١٠</sup> علي مكي، الدكتور محمود، المدائح النبوية، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١، ص: ١٠٤.

<sup>١١</sup> مبارك، د. زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص: ١٥.

المكرّسة للنبي الكريم والتي تمّ قرضها بعد فترة طويلة من وفاته تُعرّف عادة باسم المدائح، في حين يمكن اعتبار تلك التي تم إنشاؤها قريبا من وفاته رثاء أو مرثية، كقصيدة قالها حسان بن ثابت بعيد وفاة النبي ﷺ واستهلّها بـ:

"بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد"<sup>١٢</sup>.

## الفرق بين المدح العام والمدح النبوي

وكذلك في بداية الأمر يتبادر إلى الذهن أن المدح النبوي ينبغي أن يكون ضمن صنف المدح العام، لأن الشعراء يمدحون في المدح النبوي الرسول كما يمدحون الأمراء والملوك، فلماذا يُعد المدح النبوي مميزا من أمثاله في المدح؟. وذلك أن هناك فرقا بينهما لأن شاعر المدح النبوي غالبا يمدح النبي بدافع من العاطفة الدينية والتقرب إلى الله بعيدا عن أي غرض دنيوي أو ذاتي، ومتنحيا عن الرياء أو السمعة أو الرغبة في المال والجاه، أو الرهبة، بينما يمدح شعراء المدح العام تكسبا أو خوفا أو رغبة أو رهبة أو استعطافا أو استرضاء، وذلك كما فعل الشعراء في بلاط الملوك، فعلى سبيل المثال مدح المتنبي سيف الدولة رغبة ورهبة، ومدح الأخطل خلفاء بني أمية طمعا في المال والجاه، ومدح أبو نواس الرشيد والأمين رغبة في الترف والرغد، ولكن حسان بن ثابت مدح النبي الحبيب بدافع من العاطفة الدينية، فلم يدفعه إلى الأبيات إلا محبة النبي عندما قال:

"وأحسن منك لم تر قطّ عيني وأجمل منك لم تلد النساء"

<sup>١٢</sup> ابن هشام، جمال الدين عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٥٥ م، ط: ٢، ج: ٢، ص: ٦٦٦.

خلقت مبرء من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء" ١٣.

فبناء على صدق النية والتقرب إلى الله ووجود العاطفة الدينية في مدح النبي أخرج الدكتور زكي مبارك قصيدة الأعشى في مدح النبي وقصيدة البردة لكعب بن زهير من إطار المديح النبوي، وبرّر موقفه هذا بأن الأعشى مدح تقرباً إلى النبي وكان قلبه خالياً من صدق النية، لأنه لو كان صادق النية لما انصرف عندما صرفته قريش من الذهاب إلى النبي المصطفى ﷺ، ويقول بعدما أتى بأبيات من قصيدة الأعشى في مدح النبي: "وتصف هذه الأبيات ما اتصف به النبي من الخصال الحميدة من السخاء والصدق والاحتفاظ بالأمانة، لكن هذا ليس من المدائح النبوية، لأن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول، وإنما كانت محاولة أراد بها التقرب من نبي الإسلام، وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش، ولو كان صادق النية ما تحول" ١٤.

وكذلك يُخرج قصيدة البردة لكعب بن زهير من المدائح النبوية لأنه لم يقلها إلا رغبة، وذلك عندما أسلم أخوه بجير وهدده بأن لا ينجو إلا مؤمن، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، فقال قصيدته في مدح النبي لينقذ نفسه، "وهذه الظروف ترينا أن كعب بن زهير لم يقل لأميته وهو مأخوذ بعاطفة دينية قوية تسمو به إلى روح التصوف، إنما هي قصيدة من قصائد المدح يقولها الرجل حين يرجو أو يخاف، وليست من المدائح النبوية في شيء" ١٥.

١٣ الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب، بيروت - ١٤١٩ هـ، ط: ١، ص: ٢٦٣.

١٤ مبارك، د. زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص: ١٧.

١٥ نفس المصدر، ص: ١٨.

فهنا ينشأ سؤال مهمّ جداً، وهو هل يجب لصدق النية في مدح النبي أن يكون الشاعر مسلماً؟ وبدون دخوله في الإسلام لا تعتبر قصائده في مدح النبي من صنف المديح النبوي؟ و يبدو من سياق ما كتبه زكي مبارك أن صدق النية في مدح النبي لا يمكن وجوده بدون الإيمان، حيث قال مخرجا قصيدة الأعشى: "وليست قصيدته أثرا لعاطفة دينية قوية حتى تلحق بالمدائح النبوية"<sup>١٦</sup>.

هذا أمر لا يقبله المنطق، لأن النبي الحبيب بعث رحمة للبشرية جمعاء، وأتى برسالة العدل والمساواة والمؤاخاة والصدق وإقامة العدل وبث الأمن ورد الحقوق إلى أهلها، ولأجل شمائله السامية كان محبباً في مكة، حتى لُقّب بالصادق الأمين، فلا غرابة في أن يمدح شاعر لا يؤمن بالنبي مأخوذاً بصدق النية والعاطفة بسبب ما يتصف به النبي الكريم من مكارم الأخلاق، وهذا ما حدث للأعشى، وهذا ما حدث لكعب بن زهير، لأنه لو لم يسمع عن النبي العظيم ما سمعه لما تحدّث عن الإيمان بالقدر والعفو عند الرسول ورقة طبعه ونصحه للبشرية وعدله، فلذا لقد عد الجميع من المتقدمين والمتأخرين قصيدة اللامية لكعب بن زهير من أروع المدائح النبوية، واهتم بها العلماء شرحاً واعتنى بها الشعراء معارضة وتشطييراً، فشطرها عبد القادر سعيد الرافعي، وخمسها شعبان بن محمد بن داود المصري، وقام بشرحها مسعود بن حسن بكري ومحمد صالح السباعي، وأحمد بن محمد اليماني. وكذلك صار هادي البشرية محوّر اهتمام كثير من الشعراء المسيحيين من أمثال إلياس فرحات، وإلياس قنصل، وجورج

---

<sup>١٦</sup> نفس المصدر، ص: ١٧.

صيدح، وجورج سلستي، وحليم دَمّوس، وجاك صبري شماس الذي قال في المديح النبوي:

"إني مسيحيُّ أُجلُّ محمداً  
وأجلُّ ضادا مهده الإسلام  
وأجلُّ أصحاب الرسول وأهله  
حيث الصحابة صفوة ومقام  
أو دعت روعي في خيام محمد  
دانته له الأعراب والأعجام"<sup>١٧</sup>.

صار هؤلاء الشعراء معجبين بشخصية محمد ﷺ عندما اطلعوا على صفاته ومكارم أخلاقه ورسالته الخالدة وبعيدة الأثر، فمدح الشاعر إلياس فرحات النبي ﷺ قائلاً أنت حاربت الجهل وقضيت على الجهل ودعوت إلى العلم، ولكن الشرق لا يزال يسوده الجهل من جديد.

وتحدث إلياس قنصل في المديح النبوي عن خلقه الحسن وصفة العفو حيث كان النبي العظيم المصطفى كان يعفو عن الأسرى، ويكون سنداً لمن لا سند له، ووصفه الشاعر جورج سلستي بأن الكلمات تعجز عن وصف محمد وهو فوق ظن الشاعر، وعندما يسوء وضع الأمة العربية تفتق قريحة الشاعر جورج صيدح فهو يذكر في بيته معجزة النبي ﷺ التي سرى فيها ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وإلى السماء، ثم يستنجد به لإنقاذ الأمة العربية. وكذلك مدح إلياس فرحات النبي كمحارب الجهل في الشرق بينما بعث النبي ﷺ لكي يقوم بترويج العلوم في العالم كله. هذا كله في جانب،

<sup>١٧</sup> شماس، جاك، الخليج أونلاين، ت-ن: ١٥-٠١-٢٠١٥، ت-ت: ٢٣/٣/٢٠٢٣ / <https://alkhaleejonline.net>

وفي جانب آخر هناك بعض الشعراء المسيحيون الذين مدحوا النبي كرسول البشرية

جمعاء حيث قال الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري في قصيدته 'عيد البرية':

"عيد البرية عيد المولد النبوي في المشرقين له وفي المغربين دوي

عيد النبي ابن عبد الله من طلعت شمس الهداية من قرآنه العلوي

بدا من القفر نورا للورى وهدى يا للتمدن عم الكون من بدوي"<sup>١٨</sup>.

فيصف الشاعر رشيد سليم الخوري النبي كرسول الكون حيث يدوي اسمه في المشرق

والمغرب ويحتفل بعيد ميلاده الناس على اختلاف المواقع الجغرافية.

تدل هذه الأبيات على أن صدق المشاعر في المديح النبوي لا يحتاج إلى أن يكون الشاعر

مسلمًا، بل يكفي لصدق المشاعر أن الرسول الكريم صلى الله عليه أتى برسالة أنقذت

البشرية من الجور، وأخرجتها من ذل العبودية إلى عز الحرية، وأشار إلى هذه الحقيقة

الشاعر اللبناني مادحا النبي:

"إني وإن أك قد كفرت بدينه هل أكفرن بمحكم الآيات

نعم المدير والحكيم وإنه رب الفصاحة ومصطفى الكلمات"<sup>١٩</sup>.

وقد صرح الشاعر المسيحي في تلك الأبيات بأنه لا يؤمن بدين محمد، ولكنه مأخوذ بما

لديه من ميزات حسنة من حسن الإدارة والحكمة وما أشبه ذلك، فقال أستاذ النقد

والأدب بجامعة المنوفية خالد فهمي "خرجت قصيدة مدح النبي محمد ﷺ من مديح

إيماني مغلق يختص بالمسلمين إلى آفاق رمزية عالمية برع فيها شعراء مسيحيون اعتبروا

<sup>١٨</sup> نفس المصدر، ت-ت: ٢٣/٣/٢٣. <https://alkhaleejonline.net>

<sup>١٩</sup> نفس المصدر، ت-ت: ٢٣/٣/٢٣. <https://alkhaleejonline.net>

سيدنا محمد مصلحا وقائدا ورمزا عالميا<sup>٢٠</sup>. وقال الباحث في تاريخ المدائح النبوية خالد جودة إنه قام ببحث في عام ٢٠٠٤ م عن السمات النبوية في مجموعة من القصائد في القديم والحديث، واتضح له أن العصر الحديث خرج بالمديح النبوي من كونه ينصب في مدح النبي ﷺ بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق له ولمبادئه والصلاة عليه تقديرا وتعظيما، إلى البحث عنه كمنقذ لحل مشكلات العالم وطريق علاج لها<sup>٢١</sup>.  
فيتبين - رغم اشتراط صدق النية في المدائح النبوية - أنّ العاطفة الدينية ليست شرطا وحيدا لتحقيق هذا الصدق والإحساس الحقيقي. فيمكن أن يكون الشاعر صادقا في تعبيره وإن لم يكن مأخوذا بروح الدين.

فالتمييز الأساسي بين المديح النبوي والمديح العام يكمن في أن القصائد التي تناولت النبي الكريم تنبع من شعور عميق وصادق. إضافة إلى ذلك، فإن السبب الآخر الذي دفع النقاد إلى اعتبار المديح النبوي فنا مستقلا وإلى تمييزه من الأمداح الأخرى هو الكمّ الهائل من القصائد التي كُتبت في النبي ﷺ، حيث يشكل جزء كبيرا من التراث الأدبي العربي. فقد حظي هذا الفن باهتمام كبير من العلماء والنقاد، الذين درسوه بعمق ووضعو له معايير خاصة.

خلاصة القول أنّ المديح النبوي ليس مجرد غرض شعري تقليدي، بل هو فن أدبي متميز يعكس ارتباط الشاعر العميق بشخصية النبي ﷺ، ويجمع بين الإعجاب بصفاته

---

<sup>٢٠</sup>: فهدى، خالد، شعراء مسيحيون يتغنون بمدح النبي عليه السلام، الجزيرة نت، ت-ن: ١٥-١٠-٢٠١٥ م، ت-ت: ٢٣-٣-٢٠٢٣ م.

<sup>٢١</sup>: نفس المصدر، ت-ن: ١٥-١٠-٢٠١٥ م، ت-ت: ٢٣-٣-٢٠٢٣ م.

الْخُلُقِيَّةُ وَالْخَلْقِيَّةُ وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الشُّوقِ إِلَيْهِ. وَقَدْ نَشَأَ هَذَا اللَّوْنُ مِنَ الشَّعْرِ فِي سِيَاقٍ دِينِيٍّ وَرُوحَانِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي مَيَّزَهُ عَنِ بَاقِيِ أَغْرَاضِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ.

يَخْتَلِفُ الْمَدِيحُ النَّبَوِيُّ عَنِ كُلِّ مِنَ الرَّثَاءِ وَالْمَدِيحِ الْعَامِّ؛ فَبَيْنَمَا يَرْكُزُ الرَّثَاءُ عَلَى الْحُزَنِ وَالْفَقْدَانِ، فَإِنَّ صَاحِبَ الْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ يَخَاطِبُ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ كَأَنَّهُ حَيٌّ، بِنَاءً عَلَى التَّصَوُّورِ الْإِسْلَامِيِّ لِحَيَاتِهِ الْبَرَزَخِيَّةِ. كَمَا أَنَّ الْمَدَائِحَ النَّبَوِيَّةَ تُقَالُ بِدَافِعِ الْمَحَبَّةِ الْخَالِصَةِ، بَعِيدًا عَنِ التَّكْسِبِ أَوْ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ، عَلَى عَكْسِ الْمَدْحِ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي كَانَ مُرْتَبِطًا غَالِبًا بِالْبَلَاطَاتِ الْحَاكِمَةِ أَوْ الشَّخْصِيَّاتِ النَّافِذَةِ.

## الفصل الثاني: المديح النبوي وتطوره

### بداية المديح النبوي

أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ قَصِيدَةَ مَدْحٍ فِيهَا الشَّاعِرُ النَّبِيَّ الْحَبِيبَ ﷺ وَصِفَاتِهِ الْخُلُقِيَّةَ وَالْخَلْقِيَّةَ. نَالَ هَذَا الْفَنُّ شِيوعًا وَتَلَقَّى قَبُولًا وَاسِعًا فِي جَمِيعِ الْعَصُورِ،

ولكنّ المؤرخين يختلفون في تحديد نقطة انطلاق المديح النبوي وبدايته، فمنهم من يرى أن المديح النبوي بدأ منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ويذهب إليه الدكتور محمد علي مكي بناء على أن الشعر ديوان العرب، والعرب أكثر الأمم اعتناء بالشعر، فلذا كانوا يحتفلون بنبوغ الشاعر كما يحتفلون بمناسبة الزواج، حيث يقيمون الولائم عند ظهور شاعر في أي قبيلة، وتهنأها القبائل، وكل ذلك لأن الشعر سجل الوقائع والمفاخر، والشاعر هو من يسجلها، فلذا لا غرابة في أن الشعر استخدم في جدلية وقعت بين دعوة الإسلام والمشركين، فهو يكتب " وكان من الطبيعي أن يتضمن الشعر المناصر للإسلام مديحا للرسول ﷺ، ويعد هذا المديح هو البذرة الأولى لفن المدائح النبوية الذي قدر له بعد قرون أن يستقل بذاته" ٢٢.

وكذلك يميل البعض إلى أن فن المديح النبوي فن حديث نشأ مصطبغا بصبغة صوفية بدافع من النزعة الصوفية وذلك في القرن السابع الهجري مع قصيدة البردة للشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري، لأن فن المديح النبوي نشأ في جو الصوفية، ولم يعتن به فحول الشعراء في القديم كفن كالفنون الأخرى الشعرية من أمثال الرثاء والوصف والنسيب والهجاء وما أشبه ذلك.

والحق أن الآثار المتواجدة تدل على أن المدح النبوي بدأ منذ ولادته، لأن أقدم الآثار الشعرية فيه أبيات لجد الرسول ﷺ عبد المطلب، لأن النبي الكريم عندما وُلد مدح جده

---

٢٢ علي مكي، الدكتور محمود، المدائح النبوية، الشركة المصرية العالمية للنشر - مصر، ص: ٧.

ظهوره على ظهر الأرض، ووصفه بالنور الذي أضاء الأفق وبدد الظلام وأزال سواد الليل،

فقال:

"وأنت لما ولدت أشرقت الأر  
ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النو  
ر وسبل الرشاد نخترق

يا برد نار الخليل يا سببا  
لعصمة النار وهي تحترق"<sup>٢٣</sup>.

وكذلك مدحه عمه أبوطالب، وقال قصيدة ذكر فيها قصة لقاء الراهب للرسول ﷺ،

وأقر فيها بأنّ محمداً بمثابة الأولاد، واعترف بأنه نجيب وكريم وله صيت وشهرة فائقة

حتى عندما رآه راهب ببصرى شهد له بالصدق، وهي أبيات يقول فيها:

"إن ابن أمنة النبي<sup>٢٤</sup> محمّدا  
عندي بمثل منازل الأولاد

لما تعلق بالزمام رحمته  
والعيس قد قلصن بالأزواد

فأرفض من عيني دمع ذارف  
مثل الجمان مفرق الأفراد

راعت فيه قرابة موصولة  
وحفظت فيه وصية الأجداد

وأمرته بالسير بين عمومة  
بيض الوجوه مصالة أنجاد

ساروا لأبعد طية معلومة  
فلقد تباعد طية المرتاد

حتى إذا ما القوم ببصرى عاينوا  
لاقوا على شرك من المرصاد

حبرا فأخبرهم حديثا صادقا  
عنه ورد معاشر الحساد"<sup>٢٥</sup>.

ولكن الأشعار المنسوبة إلى أبي طالب لا تخلو من الشك، حيث أثار العلماء والباحثون

الجدل في صحتها، خلاصة كلامهم أن الأبيات المنسوبة إلى أبي طالب ليست صحيحة

<sup>٢٣</sup> القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمان-١٩٨٦م، ج: ١، ص: ٣٢٩.

<sup>٢٤</sup> وفي ديوان شيخ الأباطح لأبي هقّان المهزبي 'الأمين' بدل 'النبي'.

<sup>٢٥</sup> ابن إسحاق، محمد، كتاب السير والمغازي، دار الفكر، بيروت-١٩٧٨م، ط: ١، ص: ٧٦.

بالكامل، بل شك فيها المؤرخون، وتظهر فيها شائبة الانتحال، مع أنه لا شك في أن أبا طالب كان شاعرا.

وكذلك كان الشاعر أمية بن أبي الصلت يمتدح النبي في أبيات ويتنبأ بظهور نبي، وذلك لأنه خرج للبحث عن الدين الحنيف، فحرّم على نفسه الخمر وامتنع من عبادة الأوثان، حيث يقول:

"كل دين يوم القيامة عند الل ه إلا دين الحنيفة زور"<sup>٢٦</sup>.

فهو امتدح النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أبياته متنبأ ببعثة نبي، ولكن عندما بعث النبي صلى الله عليه سلم لم يؤمن به حسدا لأنه كان يرجو أن يكون نبيا وهو قائل:

"الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبّحنا ربّي ومسانا

رب الحنيفة لم تنف خزائنه مملوءة طبّق الآفاق سلطانا

ألا نبي لنا منا فيُخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علّمنا لو أن العلم ينفعنا أن سوف يلحق أحرانا بأولانا"<sup>٢٧</sup>.

كل هذا يدل على أن المدح النبوي تفتح بُرعمه من ولادة النبي الكريم أو قبلها.

## المدح النبوي في مهد المدينة

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ظهرت صبغة جديدة من المدح النبوي، حيث امتلأ بالصدق والروح الدينية، وفي طليعتهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن

<sup>٢٦</sup>: الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص: ٧٥

<sup>٢٧</sup>: الطُّهَطَاوي، رفاعة رافع بن بدوي بن علي، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، دار الذخائر، القاهرة - ١٤١٩ هـ، ط: ١، ص:

مالك وكعب بن زهير، وهؤلاء هم الذين يمثلون المديح النبوي في هذه المرحلة الحديثة، وقالوا قصائد في المدح النبوي، كانت تمتاز بخصائص مستقلة وميزات انفرادية بها دون غيرهم، وكل ذلك لأسباب، فللوصول إلى كنه هذه الخصائص وكشف أسبابها لابد من إلقاء نظرة عابرة على حياة مسيرتهم الشعرية.

أمّا حسان بن ثابت فهو أحد شعراء الرسول، وقد نال شهرة فائقة في الجاهلية، لأنه كان يمدح في قصائده بني غسان والمناذرة، وكان شاعر قبيلته الخزرج، فكان يقول شعرا للدفاع عن قومه والمفاخرة بأمجاد الخزرج، وأسلم عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وبدأ يمدحه، ولقد دعا النبي له بالدعم والتأييد والإلهام الشعري من قبله، فبدأ يقرض شعرا في الدفاع عن النبي والدين السماوي، ولكنه انتهج منهج شعر النقيضة، يشير إليه الدكتور محمود على مكي "والملاحظ هو أن معظم شعر حسان الإسلامي إنما كان من قبيل المساجلات والنقائض مع شعراء قريش، أو في رثاء من ينال الشهادة من الصحابة في المعارك مع المشركين، ولهذا فإن المديح النبوي ليس فيها خالصا، وإنما يأتي عرضا في أثناء تلك القصيدة"<sup>٢٨</sup>. ومن الضروري الإشارة إلى أن أسلوبه في المدائح النبوية لم يخلو من الطابع الجاهلي الذي يتميز بالفخر الجارح. فعلى سبيل المثال قال الشاعر مجيبا:

"سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم  
إلى الرسول فجند الله مخزيبها  
أوردتموها حياض الموت ضاحية  
فالنار موعدها، والقتل لاقبها

<sup>٢٨</sup> مكي، محمود على، المدائح النبوية، مكتبة لبنان، ص: ١٣.

جمعتموهم أحايشا بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيمها

ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القليب ومن ألقينه فيها<sup>٢٩</sup>.

فمدح حسان بن ثابت رضي الله عنه النبي والإسلام، ولكنه مزج الأسلوب الإسلامي بالأسلوب الجاهلي، لأن الشعراء في العصر الجاهلي يسبون في أبياتهم ويفاخرون كثيرا، فانتهج نفس المنهج في تلك الأبيات. والخلفية التي تدور حولها تلك الأشعار أن حسان بن ثابت قالها ردا على هبيرة بن أبي وهب، لأن هبيرة بن أبي وهب المخزومي قال أبياتا بمناسبة يوم أحد وهو يفتخر بانتصار المشركين، فقال حسان بن ثابت ردا عليه أبياتا، وهو يذكره بانهزام المشركين يوم بدر، فيقول أنتم بلا نسب، لقد غركم الزعماء المشركون وخذعوكم فانخذعتم، فلذا أتيتم إلى رسول الله، فالنار موعدكم، ونصيبكم أن تقتلوا.

فاتضح هنا أن الطابع الجاهلي لا يزال يلزم شعر حسان في المديح النبوي، وذلك ربما كان مجبرا عليه، لأن المشركين كانوا يهجون النبي والدين في أبياتهم فلذا كان حسان مضطرا على مقارعة الحديد بالحديد والرد عليهم بلغتهم وأسلوبهم. وفي قصيدة قالها وهو يرثي عند وفاة النبي ﷺ افتتح كالجاهلي الذي يقف عند رسوم دارسة لحبيبته ويبكي على آثار اندرست بعدما هجرتها حبيبته، فينتهج نفس المنهج ويقف على رسوم بطيبة ويتذكر بعدما هجر النبي الدنيا جميع ما فيها من المنبر والمصلى والحجرات والقبر والروضة ثم يبكي على كل ذلك وهو يقول:

<sup>٢٩</sup> حسان بن ثابت، *الديوان*، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٤، ص: ٢٥٣.

"بطيبة رسم للرسول ومعهد  
ولا تمتعي الآيات من دار حرمة  
وواضح آثار وباقي معالم  
بها حجرات كان ينزل وسطها  
معارف لم تطمس على العهد أيها  
عرفت بها رسم الرسول وعهده  
ظلمتُ بها أبكي الرسول فأُسعدتُ  
يُذكَرْنَ آلاء الرسول وما أرى  
لها محصيا نفسي فننسي تبلد"٣٠.

يظهر في هذه الأبيات أنه يسير على درب الشاعر الجاهلي امرئ القيس الذي يقف في استهلال القصيدة عند ديار الحبيبة ثم يذكر محاسنها ويأتي بمضامين أخرى، وذلك لأن الأول نبغ في الشعر في العصر الجاهلي، وطار صيته كشاعر عظيم وهو في العصر الجاهلي، فليس من الغرابة بقاء أثره في أبياته، ولكن الفرق بين الأبيات المدحية في الإسلام وبينها في العصر الجاهلي أنه يبتغي بالمدح في الجاهلية التكسب والربح المادي بينما لا يبتغي به في الإسلام إلا الربح المعنوي وصدق النية والإخلاص في سبيل الدعوة، فيكتب حنا الفاخوري معترفا بصدق النية في قصيدته "أما المدح الذي نجده في شعر حسان لهذا العهد فهو مقصور على محمد وخلفائه وكبار الصحابة، والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسنا، وهو يختلف عن المدح التكسبي بصُدوفه عن التغلب

٣٠ ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، *السيرة النبوية*، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- ١٩٥٥ م، ط: ٢، ج: ٢، ص: ٦٦٦.

على معاني العطاء والجود وما إليه، والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة محمد وما إلى ذلك مما ينبثق من العاطفة الحقة والعقيدة النفسية"<sup>٣١</sup>.

فعلى الرغم من وجود أثر الطابع الجاهلي في الأسلوب يتصف مدحه للنبي بصدق النية والعفاف، حيث يقول في أبيات مفعمة بعاطفة الحب وهو يصوّر النبي ﷺ تصويراً صادقاً:

"نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند

وأنذرنا ناراً وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد

وأنت، إله الخلق، ربي وخالقي بذلك ما عمّرت في الناس وأشهد"<sup>٣٢</sup>

ولكن الدكتور زكي مبارك تشدد في رأيه، فأخرج قصائد حسان بن ثابت المدحية من إطار المديح النبوي حيث يكتب "ويأتي بعد شعر الأعشى وشعر كعب شعر حسان بن ثابت، وهذا الرجل كان أكبر شعراء الرسول، ويمتاز بالصدق والإخلاص، ولكن شعره على قوة روحه لا يكاد يضاف إلى المدائح النبوية التي ندرسها في هذا الكتاب، فقد كان يمدح الرسول ويقارع خصومه على الطرائق الجاهلية"<sup>٣٣</sup>.

وأما كعب بن مالك فهو شاعر مجيد تتميز قصائده بموسيقية حماسية مدوية، ولكن عندما أسلم امتلأت أبياته بعاطفة الحب النبوي، وأسلوبه في المديح النبوي لا يختلف

<sup>٣١</sup> الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، ص: ٢٣٩.

<sup>٣٢</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣٩.

<sup>٣٣</sup> مبارك، د. زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص: ٢٣.

كثيراً عن أسلوب حسان بن ثابت، إذ تتصف أبياته في المديح النبوي بصفات شعر  
النقائض والفخر فقال وهو يصف انتصار المسلمين في يوم بدر:

"لما حامت فوارسكم ببدر      ولا صبروا عند اللقاء  
وردناه بنور الله يجلو      دجى الظلّماء عنا والغطاء  
رسول الله يقدّمنا بأمر      من أمر الله أحكم بالقضاء  
فما ظفرت فوارسكم ببدر      وما رجعوا إليكم بالسواء"<sup>٣٤</sup>.

فمن الواضح أن الشاعر يفاخر خصومه في تلك الأبيات ويعاتبهم، ثم يمدح النبي ﷺ  
ويصفه بأنه جاء حاملاً معه النور وكتاب الله ليحكم به بين الناس بالعدل.

وأما عبد الله بن رواحة فهو شاعر مدح النبي واستخدم قريحته الشعرية للدفاع عن  
الإسلام، والجدير بالذكر أنه كان يمدح النبي ﷺ على طريقة النقائض كحسان بن ثابت  
وكعب بن مالك، ولكن الفرق أن عبد الله بن رواحة كان يعير المشركين بالكفر، فلذا  
يوجد في الأمداح النبوية لابن رواحة شعور بعيد عن الطريقة الجاهلية، فعلى سبيل  
المثال يقول مادحاً النبي عندما دخل مكة في عمرة القضاء:

"خلّوا بني الكفار عن سبيله      خلّوا فكل الخير في رسوله  
يا رب إني مؤمن بقيله      أعرف حق الله في قبوله"<sup>٣٥</sup>.

<sup>٣٤</sup> ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ  
الشليبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥ م، ج: ٢، ط: ٢، ص: ٢٦.

<sup>٣٥</sup> نفس المصدر، ص: ٣٧١.

وكذلك الشاعر كعب بن زهير مدح النبي صلى الله عليه في أبيات رائعة، كان أبوه زهير شاعرا كبيرا، أحد أصحاب المعلقات، فنشأ في باحة القريض وبيئة الشعر، لما أسلم أخوه بجير هجا كعب النبي ﷺ، وخاف من جناب النبي ﷺ عندما سمع أن كل من يؤذي المسلمين من شعراء المشركين سيقتل إلا من تاب، فكتب قصيدة في مدح النبي ﷺ، ولما انتهى من إنشاد القصيدة كساه الرسول بردة، ومن الملاحظ أنه استهل قصيدة على المنهج الجاهلي بمقدمة غزلية، يصور فيها حبيبته ونقض وعدها، ثم ينتقل إلى وصف الناقة، ثم يتدرج بالمرور بأبيات يطلب فيها العفو من الرسول إلى مدحه.

وكما ذكر سالفا قال الأعشى ميمون بن قيس قصيدة في المدح النبوي<sup>٣٦</sup>، وهي أيضا تعدّ من القصائد المقروضة بعد الهجرة، لأنّ الأعشى خرج إلى النبي ﷺ يريد الإشادة به والوقوف على الإسلام بين صلح الحديبية سنة ست من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان من الهجرة. وبدأ الشاعر قصيدته بالنسيب حيث قال:

"ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا  
وعادك ما عاد السليم<sup>٣٧</sup> المسهدا  
وما ذاك من عشق النساء وإنما  
تناسيت قبل اليوم خلة مهّدا<sup>٣٨</sup>  
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن  
إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا  
كهولا وشبابا فقدتُ وثرؤةً  
فلله هذا الدهر كيف ترددا

<sup>٣٦</sup> شك الباحثون في هذا الشعر الذي يحمل معاني دينية إسلامية، على طليعتهم طه حسين الذي قال: "هذه الدالية التي تُروى للأعشى في مدح النبي منحولة، نحلها قاصٌّ ضعيف الحظ من الشعر، رديء النظم، مهلهل اللفظ، قليل المهارة في النحل". ولكن أدلى الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع برأي مخالف حيث أشار في دراسته المعنونة 'وفادة الأعشى على الرسول، أهي صحيحة؟' إلى أن الشاعر الأعشى قد اعتنق الإسلام ونظم قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. يُعتقد أن الأعشى توجه إلى المدينة المنورة لإعلان إسلامه وإنشاد قصيدته أمام النبي، إلا أن وفاة الرسول حالت دون ذلك، فعاد إلى اليمامة دون دخول المدينة.

<sup>٣٧</sup> السليم هو الملدوغ.

<sup>٣٨</sup> مهّدا: من أسماء النساء.

ومازلت أبغي المال مذ أنا يافع وليدا وكهلا حين شبتُ وأمردا<sup>٣٩</sup>.

بعد التشبيب والأبيات التي وصف فيها حاله يلتفت إلى ناقتة، ويحاورها ويصف في الحوار النبي ﷺ والصفات التي اتصف بها الرسول من المساعدة وتلبية نداء المكلوم والمكروب، والعطاء الذي يفيضه النبي عليه الصلاة والسلام على الناس، فيقول الأعشى:

"نبيا يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجدا

له صدقات ما تغبُّ ونائل وليس عطاءً اليوم مانعه غدا"<sup>٤٠</sup>.

وبالإضافة إلى الشعراء السابق ذكرهم، ظهرت في هذا العصر شخصيات شعرية أخرى كانت بارزة في فن المديح النبوي، منهم العباس بن مرداس السلمي وعبد الله بن الزبيري وفروة بن مسيكة المرادي، ومالك بن نمط. هؤلاء الشعراء قدّموا بعض الإسهامات في ترسيخ فكرة الثناء والإشادة بالنبي ﷺ في قصائدهم رغم تنوع أغراضهم ومقاصدهم.

لقد اتضح ممّا سبق أن الشعراء كانوا يقولون أبياتا في المديح النبوي في صدر الإسلام، ولكن المنهج لم يخلو من المنهج الجاهلي، وكذلك لم يقرض الشعراء في مدح النبي ﷺ كفن مستقل، بل كانوا يقولون الشعر على طريقة النقائض أو يرثون شهيدا فتأتي أبيات المديح النبوي في ضمن القصيدة. ويلاحظ بنفس هذا السبب "ويمتاز هذا المدح بجانب

<sup>٣٩</sup> أبو الربيع الحميري، سليمان بن موسى بن سالم، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة

الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٩ م. ج: ١، ص: ٢٢٨.

<sup>٤٠</sup> نفس المصدر، ص: ٢٢٨.

تقليدي إلى جانب أنه لم يكن موضوعاً أساسياً مقصوداً لذاته في قصائد الشعراء، لكنه جاء مقترناً بموضوعات ثلاثة هي: الهجاء، والفخر والاعتذار<sup>٤١</sup>.

## المديح النبوي في عصر الخلافة الراشدة

وبعد رحيل النبي ﷺ جاء عصر الخلفاء الراشدين، فانشغل المسلمون عن المديح النبوي، وليس عدولاً عن حبه، بل شغلتهم أحداث كبرى من أمثال مسألة الخلافة وحروب الردة والفتوح الإسلامية، لاسيما الخلافات فيمن سيخلف النبي وصلت إلى قمتها في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه، واشتدت حتى تحولت إلى نزاع دموي في خلافة علي كرم الله وجهه. مع اشتداد الصراع، سعت كل جماعة إلى استخدام الدين لدعم موقفها، فظهر ذلك في القصص والأشعار. وعاد الشعر تدريجياً إلى أسلوبه القديم كما كان في العصر الجاهلي. لكن قليل من الشعراء ظلوا يعبرون بصدق عن حبهم للنبي ﷺ، بعيداً عن أي انتماء سياسي أو مذهبي.

ومن بين هؤلاء الشعراء النابغة الجعدي - الذي شهد الأوضاع والأحداث الجارية من حوله - عبّر في شعره عن تألمه مما يشهده من اضطرابات وصراعات:

"فيا قبر النبي وصاحبيه  
ألا يا غوثنا لو تسمعونا  
ألا صلّي إلهكم عليكم  
ولا صلّي على الأمراء فينا"<sup>٤٢</sup>.

وكذلك، كان لعلي بن أبي طالب مدح النبي في صورة الخطابة، وكان له أثر كبير في الأدب العربي، ورغم أهميته، شكك بعض العلماء في صحة نسبة بعض النصوص إليه،

<sup>٤١</sup> عيد، صلاح، مديح الرسول في فجر الإسلام، دار المعرفة، القاهرة - ١٩٧٥م، ص ٢٣.

<sup>٤٢</sup> محمد، د. محمود سالم، كتاب المدائح النبوية حتى نهاية العصر الملوكي، دار الفكر، دمشق - ٢٠١٩م، ط: ١، ص: ٧٧.

معتبرين أن بعضها ربما أُضيف لاحقاً دون دليل واضح. ومع ذلك، كانت كلماته مصدر إلهام للكثير من الشعراء من بعده.

فرغم انشغال المسلمين في عصر الخلافة بالقضايا السياسية، ظلّ المديح النبوي حاضراً في وجدان بعض الشعراء، ولكن هو أقل بالنسبة إلى عصري ما قبله وبعده.

### المدح النبوي في عصر بني أمية

بعد الخلافة الإسلامية قامت دولة أموية فتشعبت أحزاب سياسية، فانشغل الشعراء بشعر النقائض على أساس انتمائهم إلى فرق سياسية مختلفة، ثم حدثت حادثة مقتل الحسين بن علي سبط النبي صلى الله عليه وسلم، فالتهمت عواطف شعراء الشيعة، فصاروا يقرضون أبياتاً في مدح آل البيت، فوجدت فيها إشارات إلى ملامح النبي وصفاته. ومن شعراء الشيعة التي وردت في قصائدهم أبيات المدح النبوي كالكميت بن زيد، والفرزدق، والسيد الحميري، ودعبل الخزاعي، والشريف الرضي.

فيبدو أن المدح النبوي لم يتخذ شكلاً فن مستقل في العصر الأموي أيضاً، بل كان الشعراء توزعوا بين فرق سياسية، ظهرت أبيات المدح النبوي في قصائد شعراء الشيعة الذين يمدحون آل البيت، فلا مفر لهم من مدح النبي بشكل جزئي، فعلى سبيل المثال هاشميات الشاعر الكميت الأسدي، أهم هذه القصائد أربعة، كلها قيلت في مدح آل

بيت النبي ﷺ، يقول الشاعر في الميمية منها مشيراً إلى عظمة أهل البيت:

"أسرة الصادق الحديث أبي القا سم فرع القدامس القدام

خير حي وميت من بني آ دم طراً مأمومهم والإمام

كان ميتا جنازةً خير ميّت

غيّبه مقابر الأقباط

وجنينا ومرضعا ساكن المهـ

د وبعد الرضاع عند الفطام

خير مسترضع وخير فطيم

وجنين أقرّ في الأرحام<sup>٤٣</sup>.

وكذلك قصيدة قالها الفرزدق<sup>٤٤</sup> في مدح زين العابدين علي بن الحسين عندما قال هشام

بن عبد الملك تجاهلا هوية زين العابدين "لا أعرفه"، وقال في مستهلها:

"هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها

إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينبي إلى ذروة العز التي قصرت

عن نيلها عرب الإسلام والعجم<sup>٤٥</sup>.

يمدح الفرزدق زين العابدين، ويُعدّد صفاته حتى يربط علو مكانته بعلو مكانة النبي

ﷺ ويمتدحه:

"ينشق نور الهدى عن نور غرته

كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم

مشتقة من رسول الله نبعته

طابت عناصره والخيم والشيم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

في كل بدء ومختوم به الكلم<sup>٤٦</sup>.

وأیضا في قصائد نخبة أخرى من الشعراء في العصر الأموي تجلت عناصر المديح

النبوي، كل ذلك بتلويح بجانب المدح لآل بيت المصطفى ﷺ. تميزت هذه المدائح كلها

<sup>٤٣</sup> شبكة فجر الثقافة، ت.ن: ٠٦/١١/٢٠١٧م، ت.ت: ٠٢/١٢/٢٠٢٥م، <https://fajerweb.org/article.php?id=2696&cid=4>.

<sup>٤٤</sup> لا توجد أدلة قاطعة تشير إلى أن الفرزدق كان شيعيا في العقيدة، بل كان يُظهر ولاءه لآل البيت من الإعجاب والتقدير.

<sup>٤٥</sup> نفس المصدر، ص: ٦٧.

<sup>٤٦</sup> المصدر نفسه، ص: ٦٨.

بالتركيز على النسب الشريف للنبي الكريم، والربط بين مدحه ومدح أهل بيته، والتأثر بالصراعات القبلية والسياسية، كما اتسمت بالبساطة والوضوح في الأسلوب.

## المديح النبوي في العصر العباسي

أما في العصر العباسي فكان المديح النبوي يسير على ما كان في العصر الأموي بتغيير بسيط، ومن أشهر الشعراء الذين تناولوا المدح النبوي في هذا العصر الشريف الرضي ومهيار الديلمي، والذي يجدر ذكره أن المديح النبوي لم يتخذ شكل فن مستقل حتى الآن.

يتبع الشريف الرضي نهج شعراء العصر الأموي في مدحه للنبي ﷺ وإبراز مناقب أهل البيت، وخاصة أبناء فاطمة الزهراء، حيث يصورهم في أرفع مراتب التقوى والمجد، كما يتجلى ذلك في داليتة المشهورة:

"شغل الدموع عن الديار بكاؤنا  
لبكاء فاطمة على أولادها"<sup>٤٧</sup>  
يقول في آخرها:

"هَذَا الثَّنَاءُ وَمَا بَلَغْتُ وَإِنَّمَا  
أَقُولُ جَادِكُمُ الرَّبِيعُ وَأَنْتُمْ  
أَمَّ اسْتَزِيدُ لَكُمْ عَلًا بِمَدَائِحِي  
كَيْفَ الثَّنَاءُ عَلَى النُّجُومِ إِذَا سَمَّتْ  
هِيَ حَلْبَةٌ خَلَعُوا عِذَارَ جَوَادِهَا  
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَبِيعُ بِلَادِهَا  
أَيْنَ الْجِبَالِ مِنَ الرَّبِيِّ وَوَهَادِهَا  
فَوْقَ الْعُيُونِ إِلَى مَدَى أَبْعَادِهَا  
نَجَالِهَا وَضِيَاءِهَا وَبَعَادِهَا"<sup>٤٨</sup>  
أَغْنَى طُلُوعِ الشَّمْسِ عَن أَوْصَافِهَا

<sup>٤٧</sup> موقع الديوان، ت.ت: ٢٠٢٥/٠٢/١٢م <https://www.aldiwan.net/poem30606.html>

<sup>٤٨</sup> نفس المصدر، ت.ت: ٢٠٢٥/٠٢/١٢م <https://www.aldiwan.net/poem30606.html>

يستعين الشاعر بالمظاهر الطبيعية العظيمة والمهيرة، كالجبال والنجوم والشمس، لتعزيز الهيبة والعظمة لصورة الممدوحين. قلما يوجد في قصائده أبيات تخاطب النبي وتصفه مباشرة، لأن معظم قصائده قيلت في فاطمة الزهراء وعلي والحسين رضي الله عنهم أجمعين.

وكتب الشاعر العباسي مهيار الديلمي – وهو فارسي أسلم على يد الشريف الرضي - العديد من القصائد التي مجّد فيها أهل البيت، ولا يوجد فيها التنويه بأخلاق النبي ﷺ إلا قلة قليلة. يقول في أهل البيت:

"يَا هُدَاةَ اللَّهِ وَالنَّجْوَ  
وَوَاةَ فِي يَوْمِ الْهَلَاكِ  
بِكُمْ اسْتَدَلَّتْ فِي حَيِّ  
رَةِ أَمْرِي وَارْتَبَاكِ  
أَظْلَمَ الشُّكُّ وَكُنْتُمْ  
لِي مَصَابِيحَ الْمَشَاكِ"<sup>٤٩</sup>.

وفي قصيدة أخرى يقول:

"سَيَعْلَمُ مَنْ «فَاطِمٌ» خَصْمُهُ بِأَيِّ نَكَالٍ غَدًا يَرْتَدِي  
وَمَنْ سَاءَ «أَحْمَدٌ» يَا سِبْطُهُ فَبَاءَ بِقَتْلِكَ مَاذَا يَدِي؟  
فِدَاؤُكَ نَفْسِي وَمَنْ لِي بِذَا كَ لَوْ أَنَّ مَوْلَى بَعِيدٍ فُدِي"<sup>٥٠</sup>.

تعكس أبيات مهيار الديلمي مشاعر الحزن والأسى تجاه ما أصاب أهل البيت. ويستمد هو والشريف الرضي موضوعات شعرهما من أحداث تاريخية مثل سقيفة بني ساعدة، وغدير خم، وكربلاء. ورغم أن البعض يرى في أشعارهما عناصر صوفية، إلا أن ما يظهر

<sup>٤٩</sup> مبارك، د. زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص: ١٠٩.

<sup>٥٠</sup> نفس المصدر، ص: ١١١.

بوضوح هو نزعة التعصب، كما تتجلى الشعبوية في شعر مهيار، حيث يعبر في بعض الأبيات عن انتمائه العميق للفرس.

## المديح النبوي في عصر الدويلات

عندما جاء عصر الدويلات، وانتشرت الفوضى، عم تدمير البلاد، وتوغل التتار في البلاد الإسلامية، وأطاحوا بالخلافة العباسية، فنتيجة لذلك تسرب الفساد إلى الحكام، وازداد الظلم، وعم الفقر، وساء النظام، وتدهورت الأوضاع، فبدأ المسلمون يبحثون عن ملجأ يأوون إليه، فوجدوا أن النجاة في المنبع الصافي الإسلامي، فاهتموا بالمديح النبوي، ومعظم المادحين في هذا العصر كانوا من النزعة الصوفية، لأنّ المديح النبوي، بتركيزه على التفاني والمحبة للنبي ﷺ، يتماشى مع الجوانب الروحية والصوفية، فاحتلّ هذا النوع من الأدب مكانة ملحوظة في هذا العصر حيث يكون منبرا للتعبير عن التبجيل للنبي ووسيلة للتواصل معه، فتحول المديح النبوي إلى فن مستقل.

ومحمد بن سعيد البوصيري ثمرة هذا العصر، وهو رائد هذا الفن، لأنه قرض قصائد عديدة في المديح النبوي، وعبّد طريقا جديدا في هذا المجال. وله أكثر من عشرة قصائد مختلفة في الطول، أشهرها البردة الميمية التي سماها ب'الكواكب الدرية في مدح خير البرية' والهمزية التي سماها 'أم القرى'، وقد سار الشعراء من بعده على نهجه، ومن أشهر شعراء هذا العصر الذين قالوا أبياتا في المديح النبوي أبو زيد الفازازي (ت. ٦٢٧هـ) وجمال الدين يحيى الصرصري (ت. ٦٥٦هـ) ومالك بن المرحل (ت. ٦٩٩هـ) وصفي الدين

الحلي (ت. ٧٤٩هـ) وابن جابر الأندلسي (ت. ٧٨٠هـ) عبد العزيز الفشتالي (ت. ١٠٣١هـ).

كان جمال الدين يحيى الصرصري من شعراء بغداد، قتل على أيدي التتار، أكثر قصائده في المدح النبوي، وقال قصيدة طويلة مطلعها:

"أَوْجُهْكَ أُمُ ضَوْءِ الصَّبَاحِ تَبَلِّجَا      أُمُ البَدْرِ فِي بَرَجِ الجَمَالِ جَلَا الدَّجَى  
أُمُ الشَّمْسِ يَوْمَ الصُّحُوفِ فِي بَرَجِ سَعْدِهَا      وَفِرْعَكِ أُمُ لَيْلِ المَحَبِّ إِذَا سَجَا  
وَبَرَقِ سَرَى أُمُ نَوْرِ ثَغْرِكَ بِاسْمَا      وَنَشْرِكَ أُمُ مَسْكَ ذِكِّي تَأْرَجَا"<sup>٥١</sup>

يستهل الشاعر قصيدته بتساؤلات بلاغية، مقارنة جمال المحبوب بمظاهر الطبيعة الباهرة. وتتصدر القصيدة التشبيهات بالظواهر الطبيعية مثل الصباح والليل والبدر والشمس والبرق والمسك الفواح. وهي تعكس إعجاب الشاعر الشديد بجمال الحبيب

ﷺ

وصفي الدين الحلي من أشهر الشعراء في هذا العصر، كان بارعا في جميع أغراض الشعر، ولكن اشتهر بالمدائح النبوية حتى أنه اخترع أسلوبا مستقلا في المدح النبوي، وكتب قصيدة على منواله، فسماها 'الكافية البديعية'، وظف في كل بيت منها لونا أو أكثر من ألوان البديع، وعارضها أكثر من سبعين شاعرا ممن جاء بعده. بدأ الحلي قصيدته بـ:

"إِنْ جِئْتَ سَلْعَا فَسَلِّ عَنْ جِيْرَةِ العِلْمِ      وَاقْرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبِ بَدِي سَلَم"<sup>٥٢</sup>.

<sup>٥١</sup> رشيد، ناظم، كتاب المدائح النبوية في أدب القرنين السادس والسابع للهجرة، دار آفاق عربية، بغداد - ١٤٢٣هـ، ط: ١، ص:

١٠٢.

<sup>٥٢</sup> الحلي، صفي الدين عبد العزيز، شرح الكافية البديعية، ت: د. نشيب نساوي، دار صادر، بيروت - ١٩٩٢م، ط: ٢، ص: ٥٧.

لفهم ملامح القصائد النبوية في العصور الوسطى، يكفي النظر في نماذج من قصائد الحلي، حيث كان تعتبر كثرة الزخارف البلاغية معياراً للجمال في ذلك الوقت. ومن الواضح أن الإفراط في استخدام هذه التقنيات كان سمة شائعة في أغلب القصائد، ولا سيما في المدائح النبوية، حيث ازدحمت النصوص بالمحسنات البديعية والصور البيانية، كما برزت في المدائح النبوية آنذاك ملامح التصوف والعناية الخاصة بسرد سيرة النبي ﷺ، وسيتم تناول هذه الجوانب بالتفصيل في الباب القادم.

### المديح النبوي في العصر الحديث

وفي العصر الحديث ازدهر فن المديح النبوي، وأصبح فناً له خصائصه وميزاته، وكثر الشعراء المادحون، بعضهم قالوا أبياتاً بأسلوب جديد بينما عارض بعضهم القصائد القديمة، ولكن الفرق بين المديح النبوي في العصر الحديث وبينه فيما قبله أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في المدائح الحديثة بطل وقائد وحكيم يهدي الناس إلى السلام، ويدعو إلى الأمن، ويحرض على بث السلام ونشر روح الأخوة الإنسانية، بينما كان الرسول في أبيات العصر القديم ملاذاً وملجأً يلجأ إليه عندما تحيط بهم الفتن.

ومن الآثار في المدحة النبوية في العصر الحديث معارضاتٌ حاكى فيها شعراء مدرسة البعث والإحياء قداماءهم مثل محمود سامي البارودي الذي عارض البوصيري في

قصيدته 'كشف الغمة في مدح سيد الأمة'، وابتدأها بـ:

"يا زائداً البرقِ يَمِّمُ دارةَ العَلَمِ      وَاَحَدُ الغَمَامِ إِلَى حَيِّ بِنِي سَلَمِ

وَإِنْ مَرَرْتَ عَلَى الرَّوْحَاءِ فَامْرِ لَهَا      أَخْلَافَ سَارِيَةٍ هَتَّانَةَ الدَّيْمِ "٥٣.

وكذلك نهج البردة، وهي معارضة شهيرة محتفل بها كتبها أحمد شوقي على غرار قصيدة البوصيري، مطلعها:

"رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ      أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهِرِ الْحُرْمِ" ٥٤.

ومن القصائد المطولة في المدح النبوي في العصر الحديث ديوان مجد الإسلام، ركز فيه الشاعر أحمد محرم على سيرة النبي الكريم وأصحابه. يبتدأ قصيدته بذكر عظمة النبي

ورسالته معنونا المقطع الأول بـ'مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية':

"إملاً الأرض يا محمد نورا      واغمر الناس حكمة والدُّهورا

حجبتك الغيوب سرّاً تجلى      يكشف الحجب كلها والستورا" ٥٥.

إضافة إلى ذلك، ازدهرت العديد من قصائد المديح النبوي في مختلف البلدان العربية وخارجها، استقاء من روح المدائح التقليدية في العصور الوسطى، كقصائد محمد عبد المطلب (١٨٧١ م - ١٩٣١ م) ومحمد البزم (١٨٨٧-١٩٥٥ م) فقد ركزت هذه المدائح على استعراض السيرة النبوية العطرة، وحملت في طياتها لمسات صوفية. غير أن بعض الشعراء، وعلى رأسهم أحمد شوقي، بذل اهتماما خاصا بالقيم الإسلامية السامية في أشعارهم، متماشيا مع روح العصر.

<sup>٥٣</sup> البارودي، محمود سامي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر-١٣٢٧ م، ص: ٣.

<sup>٥٤</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢ م، ص: ٢٢٩.

<sup>٥٥</sup> أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢ م، ص: ١٣.

فبالإيجاز، على الرغم من اختلاف الباحثين والمؤرخين في تحديد نقطة بداية المديح النبوي كاد يجمع الجميع على أن عناصر المدح النبوي كان موجودا في قصيدة الأعشى وأبي طالب وكعب بن زهير، ولكن رفض البعض إدراجها في لائحة المديح النبوي بسبب ما، ويتضح من كل ذلك أن المديح النبوي كان موجودا في العصر المكي والعصر المدني، ولكنه اتخذ فنا مستقلا في القرن السابع الهجري مع قصيدة البوصيري، وانفرد بمزايا وخصائص ونزعات صوفية نهجها الشعراء بعده. وفي العصر الحديث، ظهر المديح بأساليب جديدة، حيث ركز بعض الشعراء على إبراز شخصية النبي ﷺ كقائد ومصلح، إلى جانب مدحه بروحانية عميقة.

## الفصل الثالث: العناصر الأساسية في المديح النبوي

كل نوع من أنواع الشعر يتميز بميزاته التي ترفع شأنه وتزيده بهاء، وكل نوع له عناصره المستقلة التي ينحصر وجوده عليها، ولو خلا ذلك النوع من تلك العناصر يفقد روعته ولا يتلقى إعجابا وتقديرا، فعلى نفس السبيل المديح النبوي له عناصر مستقلة ينفرد بها، لأنه يختلف تماما عن الأصناف الشعرية الأخرى، حيث الشاعر في الغزل يتغنى بجمال المرأة، يصف ملامحها، ويعبر عن مشاعره تجاهها. في المدح، يرفع شأن ممدوحه، وفي الهجاء، ينتقد من يعاديه. أما في الفخر، فهو يتحدث عن الشجاعة والفضائل. هذه الأغراض الشعرية تبدو سهلة لأن عناصرها واضحة .

لكن المديح النبوي مختلف تماما. ليس مجرد كلمات تصف أو ترفع قدر شخص، بل هو تعبير عن حب عميق، عن مشاعر تنبع من القلب قبل أن تُصاغ في قصيدة. لا يكفي أن يكون الشاعر بارعا في اللغة، بل يجب أن يكون قلبه ممتلئا بحب النبي ﷺ، وإلا فلن يستطيع أن يكتب مديحا صادقا يليق بمقامه. فلذا يعتقد النقاد أن فن المديح النبوي وليد الصوفية الذين كانوا يستغرقون في حب النبي ﷺ.

### مقدمة المدائح النبوية

وفي ضوء أشهر المدائح النبوية يمكن الوقوف على عناصر المديح النبوي. فأولا تتكوّن القصائد المدحية من مقدمة - غزلية كانت أو غيرها - ومدح الرسول الكريم بذكر أوصافه الحميدة، وسرد سيرته والأحداث الهامة في حياته، والدعاء والاستغفار والتوبة على التقصيرات التي وقع فيها الشاعر والصلاة على صاحبها. ولكن يتضح من ملاحظة

القصائد أن المقدمة تختلف حسب اختلاف الشعراء، فالمقدمة في قصائد كعب وحسان والأعشى تختلف عن المقدمة في قصيدة البردة للبوصيري، فعندما يتم إلقاء نظرة على قصيدة البردة لكعب بن زهير يوجد أنه ابتدأها بمقدمة غزلية على طريقة جاهلية مسلوكة يصف فيها حبه لحبيبته والحزن على فراق عشيقته، فيقول كعب: لقد فارقتني حبيبتي سعاد، ولكن قلبي أسير حبه، وفؤادي مكبول بأغلال عشقها، وعند الرحيل كانت حبيبتي تبدو جميلة جدا ويلازم عينيها الحياء، ولكنها أخلفت الوعد، وفي الواقع فطرت هي على إخلاف الوعد ونقض العهد وهي تتغير كما يتغير الموسم فيقول الشاعر:

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ	مُتَيِّمٌ إثرها لم يُجزَ مكبولُ
وما سعادُ عداةَ البينِ إذ رحلوا	إلا أغنُ غضيضُ الطرفِ مكحولُ
هيفاءُ مُقبِلَةٌ عجزاءُ مُدبرَةٌ	لا يُشتكى قِصرٌ منها ولا طولُ
تجلو عوارضَ ذي ظلمٍ إذا ابتَسَمَت	كأنَّهُ مُنهلٌ بالراحِ معلولُ
شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءٍ مَحْنِيَةٍ	صافٍ بِأبطَحِ أضحى وهوَ مَشْمولُ
تجلو الرياحُ القذىَ عنه وأفرطهُ	من صوبِ ساريةٍ بيضٍ يعاليل <sup>٥٦</sup> .

فافتح كعب بن زهير قصيدته بمقدمة غزلية على عادة الشعراء الجاهليين حيث وصف حبيبته وصور تعلقه بها والفراق عنها، مع أن الشاعر أنشد القصيدة في الحضرة الشريفة. وكذلك حسان بن ثابت أيضا يفتح مدائحه بمقدمة غزلية على غرار الجاهليين، فعلى سبيل المثال قال قصيدة بمناسبة فتح مكة، فابتدأ بالحديث عن

<sup>٥٦</sup> مبارك، د. زكي، المدايح النبوية في الأدب العربي، ص: ١٩.

الحببية والمكان الذي تعيش فيها ويتحسر على ديار تحولت إلى خراب بعدما غادرتها  
الحببية، ثم يتدرج من وصف منزلها إلى حرقه العشق التي تتأجج نارها في قلبه ولا يجد  
شفاء، فهو يقول:

عَقَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ      إِلَى عَدْرَاءَ مَنْزِلِهَا خَلَاءُ  
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ      تُعَقِّمُهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ  
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أُنَيْسٌ      خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ  
فَدَعَ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ      يُؤَوِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ  
لِشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَّمَّتْهُ      فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءٌ<sup>٥٧</sup>.

فالمقدمة في مدائح حسان وكعب على غرار الشاعر الجاهلي، بينما مقدمة البوصيري  
مختلفة تماما، فقد استهل قصيدة البردة بمقدمة ولكن ليست على أسلوب الشعارين  
المذكورين، فلم يغازل حبيبته، ولم يقدم الشكوى إلى حبيبته، ولم يصف الحزن الناتج  
عن فراق حبيبته، ولم يذكر إخلاف وعد عشيقته، بل بدأ القصيدة بذكر هيامه تجاه  
النبي ﷺ حيث تسيل الدموع من عينيه عند ذكر الأمكنة التي توجد في ديار النبي صلى  
الله وسلم، فقال:

"أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِيْذِي سَلَمٍ      مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ  
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ      وَأَوْمَضَ الْبُرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ"<sup>٥٨</sup>.

<sup>٥٧</sup> حسان بن ثابت، *الديوان*، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٤م، ص: ١٧-١٨.

<sup>٥٨</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده  
بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١، ص: ١٩.

فالشاعر يخاطب نفسه ويقول لماذا تبكي؟ هل أبكتك لحظة تذكر الجيران الذين يعيشون بذى سلم؟ أو جاءت الريح من قبل كاظمة وهي ينبعث منها طيب النبي الحبيب الذي عطر روحك؟ لقد سالت الدموع فراقا له، ولم ينفعك محاولتك للامتناع من البكاء، لأنك عندما طلبت من العينين الامتناع من البكاء، فلم تمتنعا، وذلك لأن هذه الدموع دموع الشوق والعشق، والعشق يستقر في القلب، ولا يرضى القلب بالتخلي عن الحب، وطار الكرى بسبب طيف يخامرني، وهو طيف الحبيب، وأنا معذور، اقبلوا معذرتي يا أيها العاذلون، لأنه ليست لي قدرة على القلب، فلا تنصحوني بالهروب من الحب.

فالبوصيري ابتكر طريقة طريفة لاستهلال القصيدة على عكس العادة التي تعود عليها الشعراء في صدر الإسلام، ومن المناسب أن تكون المقدمة الغزلية في المديح النبوي كما صنعه البوصيري، لأن صدق العاطفة عنصر هام ينبغي أن تتصف به قصائد المديح النبوي، وهذا هو عنصر يميز بين فن المديح النبوي وبين صنف المدح الذي يمدح فيه الشعراء من يريدونه بأغراض يخفونها في قلوبهم.

فالشعراء كانوا يمدحون الملوك للحصول على مكانة عالية، ولكسب المال والأرزاق الواسعة، كما كان المتنبي يمدح سيف الدولة طمعا في المال، ولكنه عندما تجاوز طمعه خاف من سيف الدولة فهرب منه، وأما المديح النبوي فلا يطمع الشاعر من خلاله في أي شيء، بل صدق العاطفة يدفع الشاعر إلى قول الأبيات في مدح النبي ﷺ، ونظرا إلى ذلك من الأحسن أن تكون المقدمة الغزلية عبارة عن الحب النبوي دون حب العشيقة

الأخرى، لأن صدق العاطفة في حب النبي يتطلب العدل عن حب كل شيء، وامتزاج حب العشيقة بحب النبي شيء يخالف روح المديح النبوي، وأصبحت طريقة البوصيري - التي طرقت باب المقصود بدون مقدّمة غزلية طويلة - رائجة لدى الشعراء الذين قالوا بعدها أبياتا في المديح النبوي، فعلى سبيل المثال محمود سامي البارودي افتتح قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة"، مقدمة يخاطب فيها الهواء يطلب منه أن يذهب و يقود الغمام إلى مدينة حبيبه، وكذلك يصف في المقدمة جمال مدينة يعيش فيها الحبيب من نواح مختلفة، فهو يقرض سالكا على درب البوصيري:

يا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمُ دَارَةَ الْعَلَمِ	وَأَخِذْ الْغَمَامَ إِلَى حَيِّ بِنِي سَلَمِ
وَإِنْ مَرَرْتَ عَلَى الرَّوْحَاءِ فَأَمْرِ لَهَا	أَخْلَافَ سَارِيَةٍ هَتَانَةَ الدَّيْمِ
مَنْ الْغِزَارِ اللَّوَاتِي فِي حَوَالِهَا	رِيُّ النَّوَاهِلِ مِنْ زَرْعٍ وَمِنْ نَعَمِ
إِذَا اسْتَهَلَّتْ بِأَرْضٍ نَمْتَمَتْ يَدُهَا	بُرْدًا مِنَ النَّوْرِ يَكْسُو عَارِي الْأَكْمِ" <sup>٥٩</sup> .

فالشاعر محمود سامي البارودي يبدأ قصيدته بمقدمة مناسبة على سبيل البوصيري في البردة.

## الولادة الشريفة

يتكوّن المديح النبوي بعد المقدمة من عناصر مختلفة، من أهمها الخوض في وصف ولادته ﷺ كانهاض قائد ونزول رحمة وهدى، هبت ربح الربيع بولادته، وتبدد ظلام الظلم والجور بظهوره، ونالت الإنسانية الحرية المسلوبة بمجيئه، وخرجت البشرية من

<sup>٥٩</sup> البارودي، محمود سامي، الديوان، مطبعة الجريدة، مصر-١٣٢٧هـ، ص: ٤-٣.

ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام بزوع فجره، وتغنت البشرية

بغناء الفرح والرجاء بظهوره، كما أشار أحمد شوقي قائلاً:

"وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ      وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءٌ"<sup>٦٠</sup>.

وفي عيون الشاعر السوري سليم الزركلي، الولادة الشريفة بزوغ لنور الحق في

الصحراء حيث يصف في أبياته:

"تَبَلَّجَ صَبْحَ الْحَقِّ، فَانْمَاثَ بَاطِلٌ      وَتَلَكُ الْفِيَا فِي، فِي نَعِيمٍ وَسُودِدِ

إِذَا مَا نَسِيمِ الْوَحْيِ فَاحَ أَرِيحُهُ      وَنَادَى مَنَادِي اللَّيْلِ: يَا كُونَ فَاسْعِدُ"<sup>٦١</sup>.

أما عند البوصيري فتظهر وجوه الأعداء في قلبه حينما يتفكر في ولادته الشريفة:

"أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَن طَيِّبِ عُنْصَرِهِ      يَا طَيِّبَ مَبْتَدَأِ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفَرَسُ أَنَّهُمْ      قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كَسْرَى وَهُوَ مَنْصَدَعٌ      كَشَمَلِ أَصْحَابِ كَسْرَى غَيْرِ مَلْتَمِ"<sup>٦٢</sup>.

في هذه الأبيات فكرة تربط بين ولادة النبي ﷺ والتغيرات التي حدثت في الكون والمجتمع.

فهي توضح أن ميلاده لم يكن مجرد حدث عادي، بل لحظة مهمة غيرت العالم، حيث

انتهى الظلم والطغيان وانتشرت رسالة التوحيد والعدل.

## شمائل النبي الكريم

وكذلك من أهم عناصر المديح النبوي ذكر أوصافه الخلقية والخلقية وتصوير شمائله

وفضله على الإنسانية، وللشعراء خيار فيها، يصفون أوصافه حسب ما طاب لهم، لأن

<sup>٦٠</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٤٣.

<sup>٦١</sup> البوطي، محمد سعيد رمضان، مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، دار المعرفة، دمشق- ١٤٠٨ هـ، ط: ١، ص: ٦٠.

<sup>٦٢</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١، ط: ٢، ص: ٢٣١.

المجال واسع فيه، فعلى سبيل المثال عندما يبدأ البوصيري ذكر أوصافه فهو يصفه كسيد الكونين والثقلين الذي يشفع أمام الله يوم الحشر لأمته، وسيد الأنبياء الذي فاق جميع الرسل والنبين، تمنى جميع الأنبياء السابقين أن يغترفوا من بحره الذي لا ساحل له، فيقول البوصيري:

"محمّدُ سيدُ الكونين والثقلين  
والفريقين من عربٍ ومن عجم  
نبينا الأمرُ الناهي فلا أحدٌ  
أبرّ في قولٍ «لا» منه ولا «نعم»  
هو الحبيبُ الذي تُرجى شفاعتهُ  
لكلِّ هولٍ من الأهوالِ مُقتحمٍ  
دعا إلى اللهِ فالمستمسكون بهِ  
مستمسكون بحبلٍ غيرِ منقصمٍ  
فاق النبيين في خلقٍ وفي خلقٍ  
ولم يدانوه في علمٍ ولا كرمٍ  
وكلهم من رسول اللهِ ملتمسٌ  
عرُفاً من البحرِ أو رشفاً من الدّيم" ٦٣.

ويصف حسان جماله وصفا بارعا ويقول:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي  
وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ  
خُلِقْتَ مُبَرَّءً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ  
كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ" ٦٤.

ويصف أحمد شوقي شمائله ومكارم أخلاقه ويقول:

"زانتك في الخلق العظيم شمائلُ  
يُغري بهنَّ ويولعُ الكرماءُ  
أما الجمالُ فأنت شمسُ سمائهِ  
وملاحهُ الصديق منكَ أياءُ  
والحسُن من كرم الوجوه وخيرُهُ  
ما أوتي القوادُّ والرُعماءُ" ٦٥.

٦٣ البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، ص: ٢٢٩.

٦٤ حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٤، ص: ٢١.

٦٥ شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٤٥.

ثمّ يسترسل الشاعر في تعداد كل واحد من محاسنه قائلاً:

فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى      وَقَعَلْتَ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَاءُ  
وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا      لَا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجُهْلَاءُ  
وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمُّ أَوْ أَبٌ      هَذَا فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ  
وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّهَا هِيَ غَضَبُهُ      فِي الْحَقِّ لَا ضِغْنٌ وَلَا بَغْضَاءُ  
وَإِذَا رَضِيتَ فَذَاكَ فِي مَرْضَاتِهِ      وَرَضَى الْكَثِيرُ تَحَلُّمٌ وَرِيَاءٌ<sup>٦٦</sup>.

فمن حسان بن ثابت إلى البوصيري وأحمد شوقي، يوجد تنوع في الأساليب الشعرية التي تصور مكانة النبي الكريم وأخلاقه الحسنة وسجاياه الكريمة، سواء بمدحه كسيّد الخلق والشفيع يوم القيامة، أو بوصف جماله الباهر. ويميل شوقي في معظم أبياته إلى التركيز على الفضائل المعنوية أكثر من ملامحه الخارجية.

## معجزات الرسول الكريم

يُعدّ ذكر معجزات الرسول أيضاً عنصراً هاماً للمديح النبوي، ويذكر الشاعر المعجزات التي خص الله بها الرسول الحبيب ﷺ من أمثال الخوارق التي حدثت وقت المولد والطفولة، وسجود الأشجار له، وانشقاق القمر، وتظليل الغمامة له، وقصة هجرته إلى المدينة وما وقع خلاله حيث باض الحمام والعنكبوت شبكة مما امتنع الكفار من البحث عن النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في داخل الكهف، فمثلاً يقول البارودي عمّا وقع في بيت السيدة حليلة السعدية بقدم النبي ﷺ:

<sup>٦٦</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٤٥.

"فَفَاضَ بِالِدَّرِّ ثَدْيَاهَا وَقَدْ غَنَيْتَ  
وَأَهْلًا بَعْدَ انْقِطَاعِ رِسْلٍ شَارِفِهَا  
فَيَمَّمَتْ أَهْلَهَا مَمْلُوءَةً فَرِحًا  
وَقَلَّصَ الْجَدْبُ عَنْهَا فَهِيَ طَاعِمَةٌ  
وَكَيْفَ تَمَحَّلُ أَرْضٌ حَلًّا سَاحَتَهَا  
لِيَالِيًا وَهِيَ لَمْ تَطْعَمَ وَلَمْ تَنَمِ  
حَتَّى غَدَّتْ مِنْ رَفِيهِ الْعَيْشِ فِي طُعْمِ  
بِمَا أُتِيحَ لَهَا مِنْ أَوْفَرِ النَّعَمِ  
مِنْ خَيْرِ مَا رَفَدَتْهَا ثَلَّةُ الْغَنَمِ  
مُحَمَّدٌ وَهُوَ غَيْثُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ"<sup>٦٧</sup>.

ومن أشهر معجزات النبي ﷺ القرآن الكريم، فهو محور كل مادح من العصر الإسلامي

إلى العصر الحديث. يقول كعب بن زهير في لاميته:

"مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيط وتفصيل"<sup>٦٨</sup>.

وفي وصف آيات القرآن يقول البوصيري في البردة:

"دَعَنِي وَوَصَفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ  
فَالدَّرُّ يَزِدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ  
وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ"<sup>٦٩</sup>،  
"دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ  
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ"<sup>٧٠</sup>.

وفي هذه الأبيات جمال القرآن وآياته، ولكن لما قام د. زكي مبارك بتحليل هذه الأبيات

قال عن البيت الثاني إنه "غير واضح المدلول؛ لأن الدر الذي يتحدث عنه لا يصح أن

يكون صفة القرآن؛ لأنه لا يُهْمُ بنظم القرآن، ولا يصح أن يكون صفة لتقريظ القرآن،

إذ لم تسبق ذلك إشارة ولم يتقدمه دليل، فلم يبق إلا أن تكون هذه خطرة عرضت

للشاعر وعزّ عليه أن تضيع، فقيدها في ذلك البيت وهو في ذاته بيت جميل"<sup>٧١</sup>. وفي

<sup>٦٧</sup> البارودي، محمود سامي، الديوان، مطبعة الجريدة، مصر-١٣٢٧هـ، ص: ٧.

<sup>٦٨</sup> كعب بن زهير، الديوان، صنعة الإمام أبي سعيد السكري، دار الشؤاف للطباعة والنشر، الرياض - ١٩٨٩م، ط: ١، ص: ١١٤.

<sup>٦٩</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١، ط: ٢، ص: .

<sup>٧٠</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١، ط: ٢، ص: ٢٣١.

<sup>٧١</sup> مبارك، د. زكي، الموازنة بين الشعراء، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١١م، ص: ٢٠٩.

الحقيقة أن الدر ليس صفة القرآن بل هو صفة آية منه، وهنا وظّف الشاعر التشبيه لتوضيح فكرة جمالية تتعلق بالقرآن، وهي أن انتظام كلماته وأسلوبه يزيد بهاء وروعة، كما يزداد الدرّ حسنا عند انتظامه في عقد.

## رحلة الإسراء والمعراج

وكذلك رحلة الإسراء والمعراج نالت اهتماما كبيرا لدى العديد من الشعراء، ويعود فضلها إلى أنها معجزة وردَ ذكرها في القرآن الكريم، وأدهشت العقول بما تحمله من رسالة الرفعة والسمو. وقد كتب ابن يعقوب تاج الدين المدني - وهو من علماء المالكية - قصيدة بعنوان 'جواهر التاج في مديح صاحب المعراج'، ومما قال فيها:

"أسرى به الله ليلا ثم قرّبه وأمّ في ليلة الإسراء كلّ سري

وشرف الملاء الأعلى وجاوزه يخبّ من خلع التشريف في حبر" ٧٢.

كما أبدع بعض الشعراء في تصوير المشاهد التي شهدها النبي ﷺ خلال المعراج، وما ناله من رفعة وشرف. وبشكل عام، احتلت قصة الإسراء والمعراج مكانة مميزة في قصائد المديح النبوي، نظرا لكونها حدثا معجزا مثل القرآن الكريم.

وكانت المعجزات أهم محاور المدّاحين في العصور الوسطى، حتى أن يحيى بن يوسف الصرصري خصص قصيدة يقارن فيها بين معجزات الرسول الكريم ومعجزات الأنبياء السالفين، حيث يقول:

"وإن كان موسى نبع الماء من العصا فمن كفه قد أصبح الماء يطفح

٧٢ أحمد درنيقة، محمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، دار ومكتبة الهلال، بيروت - دت، ط: ١، ص: ١٠١.

ولو كانت الريح الرخاء مطيعة سليمان لا تألو تروح وتسرح  
فإن الصبا كانت لنصر نبينا برعب على شهر به الخصم تكلح<sup>٧٣</sup>.

## التضرع والابتهال

التضرع والاعتراف بالتقصير أيضا يعتبر ركنا من أركان القصائد في المدح النبوي، حيث يُظهر الشاعر الندم على ما اعترته الغفلة، وانتابه التكاثر في اتباع النبي ﷺ وإطاعة الرسول، ثم يعتزم الشاعر على تجنب المعاصي وكسر سلطة النفس الأمارة بالسوء والابتعاد مما يؤديه إلى الموبقات، والسير على الصراط المستقيم، وفي ذلك قال البوصيري.

"فإن أمارتي بالسوء ما تعظتُ من جهلها بندير الشيب والهيم  
ولا أعدت من الفعل الجميل قري ضيف الم برأسي غير محتشم  
لو كنت أعلم أي ما أوقره كتتم سرا بدالي منه بالكتم<sup>٧٤</sup>.

الصلاة والسلام على النبي أيضا من أهم أجزاء الأمداح النبوية، لأن الشاعر عندما يكون لسانه رطبا بأوصافه، يتجلى أمامه فضل النبي على الإنسانية فيندفع إلى ذكر الصلاة والسلام عليه.

يتضح مما سبق أن المديح النبوي يتضمن عدة عناصر، مثل استهلال القصيدة بمقدمة، ووصف ولادة النبي الكريم، وتعداد شمائله، وذكر معجزاته، إضافة إلى

---

<sup>٧٣</sup> الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-١٩٩٣ م، ط: ١، ج: ١٠، ص: ٢٧٣.

<sup>٧٤</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت-٢٠١١ م، ط: ٢، ص: ٢٢٨.

التعبير عن التقصير في اتباعه والانغماس في المعاصي، وختاما بالصلاة والسلام عليه. ومع ذلك، لا يوجد ترتيب ثابت لهذه العناصر، فالشاعر يتناولها وفق رؤيته الشعرية. وكذلك ليس من اللازم أن يتناول الشاعر جميع العناصر في قصيدته، بل يعالجها حسب ما طاب له، كما بدأ البوصيري وأحمد شوقي بعض قصائدهم بدون اللجوء إلى مقدمة تقليدية.

## الفصل الرابع: العلاقة بين المديح النبوي والشعب العربي

من المعلوم أن شخصية الرسول محببة لدى كلّ عربي مسلم، لأن حبه جزء من الإيمان، وبدون الحب النبوي لا يكتمل الإذعان، فلذا يهتم الشعب العربي على اختلاف طبقاته ومسالكه بالمديح النبوي، لأن القرآن يمدح النبي ﷺ، ويصف أوصافه كما قال الله جلّ شأنه في سورة الشرح "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ"<sup>٧٥</sup>. وكذلك أثنى القرآن على حسن علاقته مع أتباعه ورحمته عليهم ورأفته لهم، فيقول الله تعالى "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"<sup>٧٦</sup>. وكذلك يمدح الله الأخلاق الكريمة التي يتصف بها، فيقول في سورة القلم "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"<sup>٧٧</sup>. هذا المديح في

<sup>٧٥</sup> سورة الشرح، الآية: ٤.

<sup>٧٦</sup> سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

<sup>٧٧</sup> سورة القلم، الآية: ٤.

القرآن صار تحفيزاً للشعراء في السلوك على هذا الدرب، حتى إنهم اعتبر ذلك لونا من العبادة للتقرب إلى الله وإلى رسوله.

وكذلك تظهر مكانة المديح النبوي بانتمائه إلى شخصية عظيمة التي بُني الإسلام على حياتها، ومن المعلوم أن النبي ﷺ منبع الوحي ومصدر الرسالة، وعلاقة المسلمين به علاقة قوية لا يمكن التفريق بينهما في أي حال، ويجب على كل مسلم أن يحب النبي الكريم، فلأجل ذلك يقدم المسلمون في العالم كله محبة النبي على كل شيء، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تجاوز حب النبي من شخصيته العطرة إلى كل شيء يتعلق به.

فللمدائح النبوية - على أنها تتركز على شخصية تحظى بمكانة خاصة في قلوب الشعب العرب- تأثير بالغ متعدد الجوانب يمتد عبر العصور، حيث استُخدمت لتعزيز العناصر الروحية والاجتماعية، والثقافية.

### المديح النبوي كوسيلة للدفاع

يُعدّ الدفاع عن النبي ﷺ وتعاليمه من أهم أهداف المديح النبوي. فقد لجأ الشعراء عبر العصور إلى هذا النوع من الشعر كسلاح يواجهون به الحملات الفكرية والثقافية التي استهدفت الإسلام.

في العصر الإسلامي شعراء الرسول كانوا يتخذون المديح النبوي وسيلة للدفاع عن الشخصية النبوية حيث يرد حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة على الكفار. ومن المعروف أن حسان بن ثابت كان يقول البيت في المديح النبوي حيث يمدحه ويذود عن الإسلام والنبي، حتى وُضع له منبر في المسجد النبوي، كما شهد النبي ﷺ بأن روح القدس

يؤيد طالما يدافع عن الله والرسول من خلال أبياته، فقال النبي ﷺ "ما يمنع الذين نصرُوا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم. فقال حسان: أنا لها؟ وضرب بلسانه الطويل أرنبه أنفه وقال: والله ما يسرني به مقول ما بين بصرى وصنعاء! والله لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه، فقال له النبي: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال "أسلك كما تسل الشعرة من العجين، فقال اهجمهم ومعك روح القدس، فهجاهم فألمهم وأبكمهم ووقعت كلماته موقع السهام في غسق الظلام"<sup>٧٨</sup>. وفي رواية أخرى دعا له النبي "اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك"<sup>٧٩</sup>.

أما في فترات المحن، مثل الحروب الصليبية أو الاحتلال، فتحوّل المديح النبوي إلى قوة دافعة لمواجهة التحديات. ففي القرن السابع الهجري، استخدم البوصيري قصائده لتعزيز الروح المعنوية للأمة خلال الأزمات، وقدم حوارا جدليا مع أصحاب الأديان الأخرى كما قال في قصيدة الهمزية:

"خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِينَ مِنْ أَيِّ

بَنَاتِكُمْ تَثْلِيثِكُمْ وَالْبِدَاءُ

مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ

وَاعْتِقَادٌ لَا نَصَّ فِيهِ إِدْعَاءٌ"<sup>٨٠</sup>.

وأیضا في العصور الوسطى، كانت المدائح النبوية سلاحا معنويا يُذكر المسلمين بعظمة تاريخهم ويُحيي الأمل في نفوسهم. فالشعراء في هذه الحقبة استخدموها لطلب الشفاعة والنصر الروحي.

<sup>٧٨</sup> الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص: ١٥٢.

<sup>٧٩</sup> ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،

الرياض-١٩٩٩ م، ط: ٢، ج: ١، ص: ٣٢١.

<sup>٨٠</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١، ط: ٢، ص: ٢٦.

وفي العصر الحديث، ردَّ أحمد شوقي في قصيدة نهج البردة على المستشرقين الذين زعموا أن الإسلام دين حرب، حيث قال:

"قالوا غزوتَ ورُسُلُ الله ما بُعثوا لقتلِ نفسٍ ولا جاءوا لسفكِ دمٍ"<sup>٨١</sup>.

وبطريقة مشابهة قصائد أحمد شوقي كانت تعمل كأداة لتحرير الحماسة الإسلامية من الاحتلال الفكري والسياسي.

فهكذا، كان المديح النبوي ظاهرة فكرية وروحية تحمي الهوية الإسلامية، ويدافع عن النبي الكريم وتعاليمه. ومن العصر الإسلامي إلى العصر الحديث، ظل هذا الفن الشعري شعلة تُلهم الأجيال، وتبعث فيهم العزة والإيمان في مواجهة التحديات.

### المديح النبوي كمنصة للتعايش

تأثير القصائد المكرسة للنبي محمد ﷺ على المجتمع المسلم هو تأثير عميق ومتعددة الجوانب. لعبت هذه القصائد دورا حيويا عبر العصور في الاحتفال بحياة وتعاليم النبي الكريم وتعزيز الوحدة وتعميق الروابط الروحية، وهي تعزز الانتماء الديني والانسجام الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، كما توفر للمجتمع الإسلامي رابطا قويا مع تاريخه وهويته الدينية، مما يساعد على الثقة بالنفس.

وبلغت أهمية المدحة النبوية إلى أن المديح النبوي يعتبر مقدسا بعد القرآن الكريم والأحاديث النبوية، واعتاد المسلمون على أن يبدأوا المجالس بتلاوة القرآن وإنشاد القصيدة في المدح النبوي، فعلى سبيل المثال، قصيدة البردة لكعب بن زهير، التي قال

<sup>٨١</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٢٤٠.

فيها أبو جعفر الألبري: "حدثني بعض أسياخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب، ف قيل له في ذلك، فقال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قصيدة كعب أنشدتها بين يديك؟ فقال نعم، وأنا أحبها وأحب من أحبها، قال: فعاهدت الله أنني لا أخلو من قراءتها كل يوم، قلت: ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها، ويقتدون بأقوالها، تبركا بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه"<sup>٨٢</sup>.

وهكذا، اكتسب المديح النبوي مكانة رفيعة في وجدان المسلمين، حتى أصبح جزءا من ثقافتهم وتقاليدهم، يتبركون بإنشاده في المجالس ويؤكدون قريهم من النبي من خلاله. ومنذ قصيدة كعب بن زهير إلى الأيام الحالية، ظل الشعراء ينهلون من ينبوع، مقتدين بمن سبقهم، ومجددين حيمهم للنبي ﷺ.

قد اتضح أن صلة الشعب الإسلامي بالمديح النبوي عميقة جدا، ولا يخلو إنشاد المديح النبوي من العبادة، لأن الشعب الإسلامي ينشدون المديح النبوي تبركا وتيمنا، فلذا يعقدون حفلات ومجالس ينشدون فيها المدائح النبوية، وهذه عادة تعود عليها الشعب الإسلامي، فعندما يحتفلون بمولد النبي ﷺ ينشدون المدائح النبوية، ويقول الشعراء قصائد خاصة بمناسبة مولد النبي تسمى بالمواليد أو المولديات، تم كتابتها بالعديد من اللغات، بما في ذلك العربية والتركية واللغات الهندية. تركز المواليد بشكل رئيسي على مدح النبي، وغالبا ما تسلط الضوء على فضائله وتعاليمه وسلوكه الحسن. تعمل هذه

---

<sup>٨٢</sup> المقري التلمساني، أحمد بن محمد، كتاب نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج: ٢، ط: ٢، ص: ٦٨٩.

القصائد كوسيلة لأتباع الإسلام للتعبير عن تفانيهم واحترامهم للنبي الحبيب ﷺ. وقد يختلف اللغة والأسلوب في المولدات اعتمادا على الخلفية الثقافية واللغوية للشاعر. ومع ذلك، في بعض المناطق مثل كيرالا في الهند، قد تشمل المولدات أيضا مزيجا من النثر والشعر. يسمح هذا التوازن لتصوير أكثر تنوعا وشمولية لحياة وتعالى النبي الكريم. تتناول أقسام النثر غالبا الكرامة والطابع النبيل والسلوك المثالي للنبي الكريم، في حين يضيف الشعر عنصرا ليريا وعاطفيا للنص. فتكون هذه القصائد التي تكتب احتفالا للميلاد الشريف إنجازات سامية تنبع إثر فرحة عظيمة لأن الإنسان مفطور على الموسيقية والنغمة، كلما يفرح الإنسان تصدر نغمة الفرح منه، وكلما يحيطه الحزن تصدر نغمة الحزن منه، فالمسلمون عندما تهتز قلوبهم فرحا بسبب النعمة التي حملها النبي إلى البشرية يقولون القصيدة في المدح النبوي، كلما يسود جو الحزن والألم يقولون قصيدة مدحية نبوية يعرضون فيها المصائب التي تطرأ.

يرى سامولي شيلك، وهو أحد الباحثين في الأنثروبولوجيا، أن الاحتفال بالمولد النبوي يشبه في تأثيره اللحظات الثورية، مثل الثورة المصرية عام ٢٠١١م، حيث يمنح الناس إحساسا بالخروج عن الروتين اليومي والانطلاق في أجواء من الحرية الجماعية. في هذه المناسبات، ينسى الناس القيود المعتادة، ويعيشون لحظات من الفرح العفوي الذي يعكس ارتباطهم العميق بدينهم وتقاليدهم، كما أنه تجسد رؤية غير هرمية للحياة<sup>83</sup>

---

<sup>83</sup> Schielke, Samuli, *The Perils of Joy: Contesting Mulid Festivals in Contemporary Egypt*, Syracuse University Press, New York, Pg: 200.

وإلى ما ذكر، لعبت المولديات دورا هاما في عودة ثقافة الإسلام في البلدان المسلمة في الاتحاد السوفيتي السابق، بعدما تمّ قمع الأنشطة الدينية بشدة من قبل الدولة في العصر السوفيتي الذي استمر من عام ١٩٢٢ إلى ١٩٩١ م. كانت الحكومة قد قامت بتنفيذ سياسات ملحدة صارمة سعت للقضاء على الممارسات والمؤسسات الدينية، بما في ذلك الإسلام. تم إغلاق المساجد، واضطهاد الزعماء الدينيين، وتم حظر أو تقييد التعليم الديني بشكل كبير. ومع انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١ م، حدثت موجة من الإحياء الديني واستعادة الهويات الثقافية في الدول المستقلة الجديدة، بما في ذلك تلك التي تحتوي على نسبة كبيرة من المسلمين. شهدت هذه الفترة تحولا من اللادينية المفروضة من الدولة إلى حرية دينية جديدة.

في هذا السياق، أصبحت المواليد والأناشيد المتلوّة في المحافل تلعب دورا مهمّا في إعادة ثقافة الإسلام إلى الواجهة. أصبحت تجمعات المولد فرصا للمسلمين للتعبير بصراحة عن إيمانهم والاحتفال بحياة النبي ﷺ وإعادة وتأكيد هويتهم الدينية والثقافية. فبالاختصار، تظل المدائح النبوية والمولديات جزءا حيويا من الثقافة الإسلامية، تعبّر عن حب المسلمين لنبيهم وتعزز انتماءهم الديني. فهي ليست مجرد كلمات وألحان، بل تجسيد لعلاقة روحية وثقافية تمتد عبر العصور.

### المدائح النبوية كوسيلة للتعليم

المدائح النبوية ليست مجرد تعبير عن الحب والمشاعر، بل هي أداة تعليمية قوية تساعد في نشر القيم الإسلامية وتعاليم الدين بطريقة بسيطة ومؤثرة. فمن خلال الأبيات التي

تمجد النبي ﷺ، يتعلم الناس الأخلاق الحميدة مثل الصدق والتواضع والعفو، ويتعرفون على سيرته العطرة، فيسهم ذلك في ترسيخ العقيدة في أذهان الأجيال الناشئة. تعتبر مدائح الصحابة مصادر تاريخية شبه رسمية، حيث جاءت كردّ على المشركين وسلطت الضوء على الغزوات والأحداث المهمة مثل غزوة بدر وفتح مكة. وبالمثل، التزمت العديد من المدائح النبوية في العصور اللاحقة بالسرد التاريخي، حيث تناولت سيرة النبي ﷺ من ولادته إلى المواقف البارزة والمحطات الهامة في حياته. وهذا الأسلوب يجعل على المتلقي فهم سيرة الرسول الكريم سهلاً وحفظها بطريقة بسيطة وممتعة. كما تصبح حفلات المدائح منصات للتعليم الديني، من خلال الحكايات والمناقشات والمحاضرات. إلى جانب ذلك، تكون قصائد المدح مرجعاً تاريخياً للثقافة الإسلامية ووثيقة للأوضاع الاجتماعية والثقافية التي مرّ بها عصر الشاعر، وأشار إليه الدكتور محمد شداد الحراق "إن شعر المديح- بصفة مجملّة ومختصرة- هو شعر التغني بالنموذج والمثال، شعر يحتاجه الإنسان ويلجأ إليه حينما تفشل مشاريعه السياسية والاجتماعية، وحينما تنهار الخطابات والصور والتماثيل البشرية. يلجأ إليه الناس حينما تكتسي الحياة لباس الجِدَاد، وتنطفئ أنوار الهداية، ويعم الظلام أرجاء الأرض وباطنها. ولذلك نجد هذا الفن ملازماً للنكسات السياسية والنكبات الاجتماعية والإحباطات النفسية. فقد تحولت المدائح النبوية إلى بلسم للجراح الغائرة في كيان المجتمع، ودواء للتنظيف اليومي الذي يعيشه الناس في صراعاتهم من أجل البقاء، وفي نضالهم من أجل الكرامة والعدل والحرية. فقد واكب المديح النبوي سقوط الأندلس، وسجل نبضات القلوب

وذبذبات النفوس التي عايشت هذا الحدث، كما واكب هذا الفن المراحل الأخيرة للحضارة العربية الإسلامية، وما عرفته البلاد من تشرذم وتمزق وانحدار نحو المواقع الخلفية. وواكب أيضا الصراعات السياسية والكوارث الطبيعية والهزات الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات العربية"<sup>٨٤</sup>.

فكلما تحل مصيبة بالأمة الإسلامية يلجأ الشعراء إلى قرص المديح النبوي ويبلغون من خلال قصائدهم أحوال الأمة إلى النبي ﷺ، فعلى سبيل المثال، لما وقعت حادثة استيلاء اليهود على بيت المقدس وسيطرتهم عليه قرص الشاعر الهندي الدكتور كلیم عاجز أبياتا بإيماء من الشيخ منة الله الرحماني. يتجلى في أبياته الحب الصادق والشغف المتزايد، وهي تبين أسباب تخلف المسلمين وانحطاطهم وتكشف القناع عن المصائب والمعضلات التي أصابت المسلمين، وتزيل اللثام عن البواعث التي انتزع اليهود من أجلها المسجد الأقصى من أيدي المسلمين"<sup>٨٥</sup>.

وكذلك عندما يرى الشعراء أن الفتنة تتأجج نارها، يلوذ بالمديح النبوي، ويتوسل به، وأشار إلى ذلك الدكتور محمود علي مكي: "وفي هذه الظاهرة نرى تشابها بين المشرق والمغرب، في العامل الذي أدى إلى إكثار الأدباء من المديح النبوي، والتوسل للرسول، والبوح له بالهموم والأشجان، فقد كان في بلاد المشرق ما أصاب الأمة من محنة الغزو الصليبي القادم إليها من الغرب، والهجوم التتري الكاسح المنطلق من الشرق، وفي

---

<sup>٨٤</sup>: الحراق، دكتور محمد شداد، شعر المديح النبوي: حاجة اجتماعية ونفسية، موقع نور، ت-ن: ١٥-١٠-٢٠١١، ت-ت: ٢٥-٣-٢٠٢٣.

<sup>٨٥</sup>: عاجز، كلیم أحمد، وه جو شاعری کا سبب نبوا، حیدرآباد، هدی بلیکیشنز ١٩٩٦، ص: ١٨٣.

الأندلس ما تعرضت له البلاد من زحف مسيحي، لم تفلح في صد تياره جهود المرابطين ثم الموحدين، وهكذا شعر المسلمون هنا وهناك بالضعف وقلة الحيلة، ولم يكن لدى الأدباء والشعراء - وهم ضمير الأمة ولسانها الناطق- إلا أن يتوجهوا إلى الرسول ﷺ يستشفعون به ويطلبون منه العون والنصرة<sup>٨٦</sup>.

فمثلا يقول ابن حجة الحموي (ت. ٨٣٧هـ)، وهو يطلب الشفاعة في مديحه:

"عسى وقفة أو قعدة لابن حجة  
على بابكم يسعى بها وهو محرم

فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت  
وقدرك في يوم الشفاعة أعظم

وقد ناله في عنفوان شبابه  
هموم وسيف الهمم للظهر يقصم

وعارضه قد شاب في زمن الصبا  
عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم

فيا وردنا الصافي طيور قلوبنا  
عليك إذا ما ناهها الضيم حوم

عليك سلام نشره كلما بدا  
به يتغالى الطيب والمسك يختم<sup>٨٧</sup>.

فالمديح النبوي في طياته تعبير عن هوية الأمة الإسلامية وأداة لنقل تعاليم الدين وتوثيق أحوال المسلمين عبر العصور.

وفي المجمل، المدائح النبوية لم تقتصر على تمجيد شخصية النبي الكريم، بل تحولت

عبر الزمن إلى قوة فكرية وروحية ساعدت المسلمين في مواجهة التحديات الفكرية

والاجتماعية والسياسية. فقد كانت مصدر إلهام يعزز وحدة الأمة، ويمنحها القوة

<sup>٨٦</sup>: مكي، محمود علي، المدائح النبوية، ص: ١٣٣.

<sup>٨٧</sup> أحمد درنيقة، محمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، دار ومكتبة الهلال، بيروت - د.ت، ط: ١، ص: ٤٩.

والثبات في أوقات الأزمات. ولا تزال تلعب دورا مهما في ترسيخ الهوية الإسلامية، وتزويد

المسلمين بتراثهم العريق، وبالسيرة العطرة وتدريب الأجيال القادمة بالأخلاق العالية.

## الباب الثاني المديح النبوي في أعمال البوصيري

الفصل الأول	: التجربة الشعرية في عصر البوصيري
الفصل الثاني وخصائصه	: المديح النبوي في عصر البوصيري: دوافعه
الفصل الثالث	: محمّد بن سعيد البوصيري: حياته وأعماله
الفصل الرابع	: قصيدة الهزمية للبوصيري

### الفصل الأول: التجربة الشعرية في عصر البوصيري

مفهوم التجربة الشعرية

التجربة الشعرية هي الحالة التي يخوضها الشاعر عندما يتأثر بشيء ما بحيث يستهويه ذلك المؤثر ويسيطر عليه، فيستغرق الشاعر في الفكرة عنه ويعود إلى إقناع نفسه وتغذية شاعريته من خلال الكشف عن تلك الأفكار والمشاعر النبيلة. فالشاعر الذي يميل نحو رسم صورة شعرية من خلال تجربة صادقة، ليس هدفه بروز براعته في صياغة الكلمات، ولا مجرد التفاعل مع مشاعر الآخرين لجذب رضاهم، بل هو يسعى لشيء أعمق وأجمل، إذ "إنّ التجربة لتنبض بحياة تفتح عيوننا على حقائق قد لا تبين عنها حقائق الحياة أو حالات النفس كما تبدو لأكثر الناس".<sup>١</sup>

التجربة الشعرية لا تعني أن تكون المعاناة المقترنة بتجربة الشاعر معاناة حقيقية عاشها الشاعر في حياته الواقعية، بل يمكن أن تستقى من خياله وخواطره. يقول محمد مندور: "من غير المعقول أن نطالب الأدباء والشعراء أن يعيشوا كل تلك التجارب التي يصوغونها في قصصهم أو أشعارهم، وإلا لوجب أن نفترض أن أديبا عالميا كشكسبير أو بلزاك (Balzac)<sup>٢</sup> قد عاش حياة كل أولئك المجرمين والأفاقين والبخلاء والمستهترين الذين صوّر حياتهم في مسرحياته أو قصصه"<sup>٣</sup>. يمكن للكاتب المبدع ذي العقل الغني والخيالي، أو الكاتب ذي الملاحظة الدقيقة، أن يولد تجارب بشرية من خلال خياله قد تكون أعمق وأكثر ثراء من الحياة الفعلية. وكذلك، بقوة ملاحظتهم، يمكنهم تشكيل تجارب للآخرين مستمدة من بيئتهم البشرية. فليس من الضروري أن يصف الشاعر

<sup>١</sup> غنيمي هلال، د. محمد، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - ١٩٩٧م، ص: ٣٦٣.

<sup>٢</sup> أونوريه دي بلزاك \ Honoré de Balzac (١٧٩٩ - ١٨٥٠م) روائي من رواد الأدب الفرنسي.

<sup>٣</sup> محمد مندور، الأدب ومداهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - د.ت، ص: ١١-١٢.

المحدث القطار والطائرة كما كان الشاعر القديم يصف الناقة والفرس حتى تكون تجارهما صادقة. ولا يلزم في التجربة الشعرية أن تكون مطابقة للواقع بل لابد وأن تكون مطابقة لوجدان الشاعر وموضحة لحقيقة مشاعره، كالشاعر الأموي جرير ما كان معروفًا بين الشعراء بالعشق مع أن غزله كان الأول من نوعه.

بناء على هذا المفهوم للتجربة الشعرية، شعر المناسبات غالبًا لا يُعتبر ثمرة من ثمار التجربة الشعرية، حيث يعتمد على مجرد تصنع ولا يعكس مشاعر صادقة للشاعر، وربما يكون مهنة أو وسيلة للدعاية. وهذا النوع من الشعر ليس من الصدق والعمق بشيء، وليس له القدرة على الارتقاء بالفن أو كشف أعماق القلب الإنساني.

### التجربة الشعرية في عصر البوصيري

العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣ هـ \ ١٢٥٠-١٥١٧ م) هو الذي عاش فيه البوصيري. لم يحظَ الشعر في هذا العصر بشعبية كبيرة، وذلك لأن معظم الحكام لم يكونوا مهتمين بهذا النوع الرفيع من الأدب، وكان أكثرهم غير مألوفين باللغة العربية. وعلى الرغم من وجود العديد من الأعمال الأدبية في هذه الفترة، إلا أنها كانت قليلة بالنسبة إلى العصور السالفة. كما في حال قصائد المديح التي كُتبت لتمجيد الحكام والسلاطين، فإن جميع أشكال الشعر في ذلك الزمن كانت تحتاج إلى دعم السلطة الحاكمة من أجل تحقيق

---

٤ الدولة المملوكية، المعروفة أيضًا بالسلطنة المملوكية، كانت دولة إسلامية نشأت في مصر في نهاية العصر العباسي، وبعدها امتدت لتشمل مناطق الشام والحجاز. استمرت حكمها منذ سقوط دولة الأيوبيين في عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م)، حتى انضمت إلى الإمبراطورية العثمانية بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانية عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م). المماليك كانوا في الأصل محاربين من أصول رقيقة، جلبهم الخلفاء العباسيون من مناطق مثل تركستان والقوقاز (The Caucasus). كانوا حراسًا للخلفاء وقادة للجيش المسلمة. مع مرور الزمن، أصبحوا أقوى وسيطروا على الحكم بسبب ضعف الخلفاء وتراجعهم.

أقصى درجات التطور والازدهار. وهذا الدعم لم يكن متوفرًا بشكل كافٍ إبان العصر المملوكي. ونتيجة لذلك، تناقصت جميع فئات الأدب والشعر بما في ذلك قصائد مدح الزعماء والحكام.

ومع ذلك، انتحى الشعر في هذه الحقبة نحو شكل خاص، وشهد تجددًا في الموضوعات والأساليب والأنماط الشعرية، فخرج إلى النور دواوين طريفة. يذكر بروكلمان (Carl Brockelmann) تقريبًا عشرين ديوانًا من هذه الفترة، ويتزايد هذا العدد بشكل كبير عندما يضاف إليها المقتنيات في دار الكتب بالقاهرة، ومعهد جامعة الدول العربية للمخطوطات. ولا شك أن مجموعات أخرى، مثل تلك الموجودة في دمشق واسطنبول، ستزيد العدد الإجمالي.

ويمكن العثور على عدد كبير من القصائد العربية المحررة من فترة المماليك في مجموعة متنوعة من المصادر المنشورة، بما في ذلك السجلات التاريخية، مثل 'النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة' لابن تغري بردي (٨١٣ هـ - ٨٧٤ هـ)، والأعمال في التراجم، مثل 'الوافي بالوفيات' لصلاح الدين الصفدي (٦٩٦ هـ - ٧٦٤ هـ). وكذلك العديد من الأعمال الشعرية والمختارات، بما في ذلك 'خزانة الأدب وغاية الأرب' لابن حجة الحموي (٧٦٧ هـ - ٨٣٧ هـ). تمّ جمع بعض القصائد من هذه الأعمال المنشورة ومن غيرها في المجلد الثالث من 'تاريخ الأدب العربي' لعمر فروخ<sup>٥</sup>.

---

<sup>5</sup> Homerin, Th. Emil, *Reflections on Arabic Poetry in the Mamluk age*, Mamluk Studies Review, Middle East Documentation Center (MEDOC), The University of Chicago – 1997, Pg: 63.

وَصَفَ بعضُ الباحثين والكتّاب عصرَ الدويلات بما فيه العصر المملوكي بأنه فترة ضعف وانحطاط، حيث اعتبروا أن وسائل التعبير فيها غير كافية. ومع ذلك، بجانب هذا الرأي، شهد هذا العصر تطورا ملحوظا في فن العمارة وتوسعا في مجالات الفنون الزخرفية، وظهرت فيه موسوعات كبيرة وأعمال عظيمة في مختلف مجالات المعرفة. والحقّ أنّ الباحثين تركّزوا على الفترات الإسلامية المبكرة التي شهدت صعود الدولة الإسلامية العربية وفتوحاتها وازدهار حضارتها. عندما وصلوا إلى العصر المملوكي، ربما قل اهتمامهم واكتفوا بالأراء السائدة حول هذا العصر، دون التفكير في التنوع الثقافي الذي عرفته هذه الفترة. يُعتبر الأدب المملوكي عموما بأنه يشتمل إلّا على الزخارف والألعاب اللفظية الخالية من الإبداع، وربما كان هناك بعض الحقيقة في هذا الوصف، ولكن هذا لا ينطبق على جميع الأدب المملوكي، وخاصة فيما يتعلق بالشعر. فهناك أمثلة مجيدة من أعمال شعرية في هذا العصر، وفيه ما هو غير ذلك كما هو الحال في جميع العصور الأدبية. وكذلك توجد أشعار مختلفة الجودة من شاعر واحد. علاوة على ذلك، لا يمكن الحكم على عمل أدبي من حقبة معينة بأنه أقل جودة استنادا إلى معايير حقبة أخرى، لأن الناس كانوا يعتادون على قبول شعر عصرهم والاستمتاع به والمشاركة في التفاعل معه، وهذا يعكس طبيعة التغير في الأذواق الأدبية عبر العصور.

### أهم مصادر التجربة الشعرية

برزت عدة ألوان من الشعر في العصر المملوكي استقاء من مصادر التجربة الشعرية المتنوعة، فتشكلت تجليات متعددة تُعبّر عن الطبيعة والمشاكل الاجتماعية وروح

الجهاد في سبيل الله، بالإضافة إلى الحبّ النبوي الذي يمثل محورا هاما. واستمد الشعراء من هذه المصادر موادّهم وأفكارهم، من أبرزها

### البيئة والطبيعة

كانت البيئة أو الطبيعة في العصر المملوكي كالينبوع الفياض الذي ارتوى منه الشعراء، حيث انغمسوا فيها واستمدوا منها إلهامهم الخلاب. برعوا في تجسيد هذا الإلهام في أعمال أدبية عديدة، تحوي رؤى فريدة لعوالمهم الداخلية وتجاربهم الروحية.

كانوا يرصدون البشر والحيوانات والنباتات والأجسام الصلبة، يتوقفون عند تفاصيلها الدقيقة وأحوالها المتعددة، ويصوّرونها ببراعة فائقة، فكأنهم يخلقون لوحات فنية مدهشة بأسلوبهم الساحر. يُعبّرون عن هذه العوالم المتعددة بأسلوب ينم عن خيال جامح وقدرة على ابتكار صور وأشكال لا تُلاحظ في عالم ملموس.

وفي هذه اللوحات الشعرية، تنعكس تأثيرات تلك العناصر الطبيعية في نفس الشاعر. وهكذا ينقل الشاعر تجربته الشعرية بصدق، حيث يدخل القارئ إلى عالمه الداخلي ويشعر بحيوية هذه التجربة.

وفيما يتعلق بالإنسان، هو مصدر من المصادر الهامة لتجربة المبدع عبر مختلف العصور، وليس العصر المملوكي استثناء منه. ولكن "قلّما عني شعراء هذه الحقبة بوصف الهيئات الإنسانية بتفاصيل أجزائها ومعالمها الخارجية، فوقفوا عند الملامح

العامّة، أو التأثيرات والانطباعات، يصورونها تصويراً خاطفاً، مستعينين على ذلك  
بضروب التشبيه وبعض الاستعارات. كقول الشهاب محمود<sup>٦</sup> في ملاحظة حراث:

عشقتُ حَرَائِثاً مليحاً غداً      في يده المسّاسُ ما أجمَلهُ  
كأنه الزهرةُ قُدَّامَهُ اللّث      ورُ يراعي مطلعَ السنبلةِ<sup>٧</sup>.

وكذلك الشاعر سراج الدين المَحَار<sup>٨</sup> قام بتصوير لحية ببراءة، حيث استعان بتقنيات  
فنية، ليظهر تفاصيلها بأوجهها المميزة والبارزة، فقال:

"أرى لا بن سَعْدٍ لحية قد تكاملت      على وجهه واستقبلت غير مُقبل  
ودارت على أنف عظيم كأنه      كبير أناس في بجادٍ مُزَمِّل"<sup>٩</sup>.

لقد بذل الشاعر جهداً ملحوظاً في نقل الهيئة الخارجية من مسارها المادي المحدود إلى  
مسار حركي لا محدود، لامست فيه عتبة الابداع، واقتربت كثيراً من صاحب لحية ابن  
الرومي<sup>١٠</sup>، في تكاملها على وجه صاحبها واستقبالها من الأشياء ما لا يسهل أو يمكن  
استقباله بغير هذه اللحية الضخمة الهائلة<sup>١١</sup>.

إلى جانب الإنسان، كانت الحيوانات أيضاً من مصادر التجربة الشعرية في العصر  
المملوكي، إلا أنّ وصفها أقل شيوعاً مقارنة بباقي العناصر الطبيعية. في ديوان الشاعر

<sup>٦</sup> شهاب الدين أبو الفناء محمود بن سلمان بن فهد (٦٤٤-٧٢٥هـ) عالم حافظ وأديب ماهر من مواليد دمشق.

<sup>٧</sup> الدكتور ياسين الأيوبي، *آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي*، جزّوس برس، طرابلس لبنان - ١٩٩٥م، ط: ١، ص: ١٩٣.

<sup>٨</sup> هو عمر بن مسعود الأديب، صاحب الموشحات، والأزجال توفي بدمشق في سنة ٧١١هـ.

<sup>٩</sup> يريد الشاعر بعجز البيت أنّ صاحب اللحية سيد أناس ملتف بكساء مخطط. صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد، *فوات*

*الوفيات*، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - ١٩٧٤م، ط: ١، ج: ٣، ص: ١٤٧.

<sup>١٠</sup> قال ابن الرومي يهجو رجلاً أطال لحيته وحاول التشبّه بالعلماء: إن تَطَلَّ لحيَةً عليك وتعرض\ فالمخالي معروفة للحمير\ علّق الله  
في عذاريك مخلّاةً ولكنها بغير شعير.

<sup>١١</sup> الدكتور ياسين الأيوبي، *آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي*، جزّوس برس، طرابلس لبنان - ١٩٩٥م، ط: ١، ص: ١٩٤.

صفي الدين الحلي (٦٧٧ - ٧٥٢ هـ)، قام بتخصيص باب خاص بعنوان 'في الطرديات وأنواع الصفات'، وقد ضم هذا الباب أربعين صفحة. تضمنت معظم هذه الصفحات وصفا للحيوانات، حيث احتل الكلب والفرس حصة كبيرة منها. بينما تناولت الصفحات الباقية أنواعا مختلفة من الطيور، مثل الصقور والباز<sup>١٢</sup> والنعام. ولم توجد أوصاف شعرية لعدد كبير من الحيوانات التي كثر الحديث عنها في العصور السابقة، مثل الحيات والعقارب والأسود والنمور والظباء، كما وجد اهتمام بها لدى الشعراء في العصور السابقة. هذه الأبيات تبرز قدرات فنية عالية ومشاعر صادقة تستحق الإعجاب، وهي لا تقل قيمة عن قصائد الشعراء الأقدمين.

ومن جميل وصف الحلي، وصف كلب في رحلة صيد:

"وَأَهْرَتِ مِنَ الْكِلَابِ أَخْطَلِ      أَصْفَرَ مَصْقُولِ الْإِهَابِ أَشْعَلِ  
أَعْصَمَ مِثْلِ الْفَرَسِ الْمُحْجَلِ      يُخَالُ مَرْحُوضاً وَإِنْ لَمْ يُغْسَلِ  
مُخْتَصِرِ الشَّلْوِ ثَقِيلِ الْمَحْمَلِ      مُنْفَسِحِ الْهَامَةِ نَاتِي الْمُقْلِ"<sup>١٣</sup>.

يحاول الشاعر من هذه الأوصاف الرائعة العريقة في الكلاب أن ينقل الكلب الموصوف كصورة مثالية لكلب الصيد. ويتحدث عن ملامح هذا الكلب المميز، حيث يشير إلى ساقيه القصيرتين ويديه ورجليه الأوليان قصيرتان والأخريان طويلتان ذواتا أظفار مزدحمة. والذيل لديه قصير ليتناسب مع باقي جسمه بتناسق ورشاقة.

<sup>١٢</sup> هذا نوع من الصقور، يستخدم في الصيد.

<sup>١٣</sup> الأهرت: الواسع الشدين، والأخطل: الطويل الأذنين مسترخيها، مصقول الإهاب: لامع الجلد، والأشعل: الذي في ناصيته أو ذنبه بياض، أو كانت عينه إلى الحمرة خلقة. والمرحوض: المغسول، والأعصم: ما له بياض في أحد الذراعين أو كليهما وسائرهما أسود أو أحمر، والشلو: العضو، والهامة: الرأس، والأبطل: الخاصة. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت - دون تاريخ. ص: ٢٦٣.

بعد وصف الملامح الخارجية للكلب، ينتقل الحلي إلى أفعاله ومزاياه، فيصف غضبه ليكون ذلك أدعى إلى التنكيل بفريسته التي هربت منه فلجأت بأعالي الجبال، ثم يتوقف عند سرعته، فيواصل الحديث عن ملاحقة فريسته، فيجعله كالسهم المارق، أو كلمح الطرف.

وكذلك الخيل أيضا كان محورا مهمًا لدى الشاعر، فتحدث في غالبية أبياته عن مظاهر الجمال والروعة في هذه الكائنات، حيث صور هيئة الخيل وألوانها بشكل مفصل، وكيفية بروز قوتها وسرعتها أثناء الركض، بالإضافة إلى توصيفات أخرى محببة في الخيل. وهكذا استمرّ صفي الدين الجليّ في وصف مجموعة متنوعة من الحيوانات، ولا يوجد فيه إلا ما يشاهده ويرصده رجل عادي غير مبدع، دون إشارة إلى أفكار أو مبادئ تمهل من خلال سلوكيات هذه الحيوانات أو تعاملاتهم. وأحيانا يتكرّر الأوصاف هنا وهناك غير أنّها تختلف في الصياغة واللون البلاغي.

أمّا وصف المناظر الطبيعية فكانت تمتلك جزء كبيرا من آثار الشعراء في عصر المماليك. وقد تجلّى في هذه الأوصاف صدق التجربة، حيث عكست بشكل أوضح من غيرها تأثيرات مشاهداتهم وتجاربهم، لأنّ الطبيعة مصدر غنيّ بالجمال والإلهام، يستقي منه الشعراء والفنانون والفلاسفة في مختلف العصور على حد سواء. ولا يتوقف الأمر على تصوير الجمال الظاهري فقط، بل يمتد إلى استقاء الأفكار الخفية والتأثيرات الداخلية. إذا تمّ تسليط الضوء على الموضوعات الطبيعية التي تناولها شعراء هذه الحقبة،

سيكون هناك عدد كبير. المصادر التي نهل منها هؤلاء الشعراء تندرج تحت الأرض والسماء، مع ما بينهما من بحار وأنهار وكواكب ونباتات، بالإضافة إلى الليل والنهار. على سبيل المثال، العفيف التلمساني<sup>١٤</sup> - وهو على طليعة الشعراء الذين أشرقوا هذا الباب في هذا العصر - يصف في شعره رياضاً كأنّ الندى ينام فيها منشوراً ويستيقظ منظوماً، وكذلك النرجس (Narcissus) الذي تناوب فيه حالتا الصحو والإغفاء. ويمضي الشاعر في رسم عناصر اللوحة الطبيعية في إطار التشبيه والمقارنات البلاغية من خلال حرف التشبيه (كأنّ) الذي أضحى منطلق الشاعر إلى تصويرات حسية ومعنوية. أداة التشبيه لم تغب أبداً عن الساحة الفنية في مختلف أشكال التعبير، وذلك لأنّ الشاعر يجد فيها وسيلة للكشف عن عمق أفكاره وتصوّراته، ولإحداث عوالم جديدة من الإبداع. وتعدّ هذه الأداة وسيلة سهلة لبناء ما لم يكن موجوداً سابقاً في ذهن القارئ أو المستمع، سواء أكان استخدام الأداة بصورة مباشرة أم إخفائها في طيات الأساليب البيانية الأخرى كالاستعارة والكناية.

يقول الشاعر:

رياض بكاها المزن فهي بواسم	وناحت لغير الحزن فيها الحمائم
يبيت الندى في أفقها وهو ناثر	ويضحى على أجيالها وهو ناظم
كأنّ الأفاحي والشقيق تقابلاً	خدود جلاهن الصبا ومباسم
كان بها للنرجس الغض أعيناً	تنبه منها البعض والبعض نائم

<sup>١٤</sup> عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني شاعر صوفي ولد في تلمسان - وهي مدينة في الجزائر - في سنة ٦١٠ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٩٠ هـ والشاعر الشهير الشاب الظريف ابنه.

كأن ظلال القضب فوق غديرها      إذا اضطربت تحت الرياح الأرقم  
كأن غناء الورق ألحان معبد      إذا رقصت تلك القدود النواعم  
كأن نثار الشمس تحت غصونها      دنانير في بعض وبعض دراهم  
كأن ثماراً في غصون توسوست      لعارض خفاقِ النسيمِ تمانم  
كأن القطوف الدانيات مواهب      ففي كل غصن ماسٍ في الروح حاتم<sup>١٥</sup>.

هذه الأبيات تعبّر عن جمال الطبيعة والمشاهد الخلّابة. يصف الشاعر رياضاً سقط عليها المطر فتفتحت فيها الأزهار وصاح فيها الحمام بفرح وحبور. وسقوط المطر يشبّه ببكاء الناس. ويسلط الضوء بعده على ظاهرة تكوّن الندى في الصباح على العشب والنباتات، ويبيّن أن هذا الندى تبقى على النباتات حتى الصباح. ثمّ يأتي تصوير تلاقي النباتات المختلفة وتفاعلها مع المكان، فيتغنّى الشاعر بتلك الزهور ويستخدمها كوسيلة لتصوير تأثير الجمال على النفوس المختلفة.

وثمار هذه الحقائق التي تتحرّك بتحريك الأنسام يعتبرها الشاعر تمانم تحرس أغصانها بعناية فائقة من شرور الحياة. وكذلك يشبّه القطوف الدانيات بمواهب أو عطايا قام بتوزيعها حاتم الطائي المشهور. هذا الوصف ليس مجرد تعبير سطحي أو عابر، بل هو جوهر الحركة الفنية المهدفة إلى إعادة صياغة الكائنات ومنحها هيئة جديدة وفريدة تماماً. وقد استخدمت المقارنات أو التشبيهات ببراعة لتوصيل الجمال الطبيعي والتأثير

---

<sup>١٥</sup> الأجيال جمع جبل، والأقاحي جمع أقحوان بمعنى نبات له زهر أبيض أو أصفر (Chrysanthemum)، والشقيق أيضاً نبات يعرف بشقيقة النعمان (Poppy Anemone)، الغضّ: الناعمة، الأرقم: الخفيف، القدود النواعم: الأغصان الخفيفة، الخفاق: المرفرف أو المتحرك. عبد الرحمن بن عبد الله، نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، دار العباد، بيروت - دون تاريخ، ج: ١، ص: ١٠٣.

الذي تحدثه الظواهر الطبيعية في المشهد. هنا كأنّ الشاعر العفيف التلمساني ينهج

منهج الشاعر ابن وكيع التنيسي المصري (ت: ٣٩٣هـ) في وصف الأزهار حيث يقول:

"من نرجس أبيض كالثغور كأنه مخانق الكافور

وروضةٍ تُزهر من بنفسج كأنها أرض من الفيروزج

قد لبست غلالة زرقاء وكايدت بلونها السماء

يضحك منها زهر الشقي ق كأنه مداهن العقيق

وازم بعينيك إلى الهمار فإنه من أحسن الأزهار

كأنه مداهن من عسجد قد سُمرت في قضب الزبرجد"<sup>١٦</sup>.

ظاهرة التشبيهات المتكررة كثيرا ما توجد في وصف المناظر الطبيعية. فعادة هذه

التشبيهات تعزز الصور البصرية القوية وتثير علاقات عاطفية من خلال مقارنة شيئين

مختلفين. ولكن بالنظر إلى الدراسات النقدية الجديدة، زيادة التشبيهات يمكن أن تخلق

نمطا ولونا متكررا في القصيدة، مما قد يؤدي إلى إجهاد القارئ أو عدم الاهتمام.

وكذلك، إذا تم استخدام التشبيهات بشكل مفرط، فإنها يمكن أن تجذب انتباه القارئ

بشكل كبير إلى عملية المقارنة، محولة تركيزه عن محتوى القصيدة ورسالته.

في أشعار العصر المملوكي، تأخذ الأشياء المزخرفة أيضا مكانة بارزة، حيث يُكرّس جزء

كبير من الشعر لتفصيل وصف مواد مثل القنديل وإبريق الفخار، والجسور، والمدن،

---

<sup>١٦</sup> الثغور: الأسنان، والكافور شجرٌ من الفصيلة الغارية، تستخرج منه مادة عطرية، ويريد الشاعر هنا زهره الذي يشبه زهر الأفيون، والمخانق: القلائد من زهر الكافور. الفيروزج: لغة في فيروز، وهو حجر كريم لونه أزرق سمائي، والهمار: نبات طيب الرائحة، والعسجد: الذهب، والزبرجد: حجر كريم. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، القاهرة - ٢٠٠٥م، ج: ١، ص: ١٧٣.

وأحياناً حتى أعواد الطرب، لأنّ هذه كلّها ممّا له أثر مباشر في الحياة الإنسانية في تلك الأونة.

## الأصل والنسب

من مصادر التجربة التي أثارت اهتمام الشعراء في عصر المماليك الأصل والنسب. وكانوا يعرضون لحقائق تاريخية حدثت في قبائلهم، وللمناقب الخلقية الحميدة لنسبهم، وبشكل خاص عندما يشعرون بالتنقيص أو التقليل من قيمتهم أو عندما يكون عليهم الدفاع عن سمعتهم والتصدي للشائعات والتشهير الزائف. ولم يكن هذا التفاخر ينحصر فقط في الإشادة بالذات أو النسب في العصور السابقة، بل امتد إلى التميز والبسالة في ميادين الحرب. وكان العرب في جميع الأماكن يغتوّن به كوسيلة تربية. يقول شوقي ضيف: "ولا ريب في أن وتر الفخر الذي شدّه الشعراء إلى قيثاراتهم كان وتراً خصباً، إذ وقّع الشعراء عليه كثيراً من الألحان الخلقية الرفيعة، مما يتصل بالمروءة والكرم والوفاء والكرامة وغير ذلك من الفضائل الحميدة، كما وقعوا عليه كثيراً من الألحان الحماسية التي تصور بسالتهم الحربية وما أذاقوه أعداءهم من الهزائم الساحقة"<sup>١٧</sup>.

رغم وجود الافتخار بالنفس والنسب في قصائد هذه الحقبة لم يمثّل حركة نشطة على غرار ما شاع في الأعصر السابقة، ولم يوجد فيها شاعر فخور متخايل كأبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني. وذلك لأنّ شعراء هذا العصر كانوا في غالبيهم ينتمون إلى

---

<sup>١٧</sup>الدكتور شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات مصر (تاريخ الأدب العربي ٧)، دار المعارف، القاهرة - دون تاريخ، ط: ٢، ص: ٢٩٧.

أوساط اجتماعية متشابهة، ولم يوجد لديهم الاهتمام الكبير لأصولهم النسبية، باستثناء فئة صغيرة من شعراء الشيعة في بلاد فارس والعراق. هؤلاء الشعراء كانوا يعتزون بنسبهم الهاشمي العلوي بشكل كبير، وخاصةً في مدائحهم النبوية، وقصائدهم التي تنتقد أعدائهم.

ومن المهتمين بالفخر في العصر المملوكي ناصر الدين محمد بن قانصوه (٨٥٠ - ٩٢٢ هـ) <sup>١٨</sup> وكان الشاعر يتباهى بنسبه الجركسي العريق، والذي يمتد إلى جيلة بن الأيهم الغساني، الذي اعتنق الإسلام بين يدي الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. يصف الشاعر تاريخ الجراكسة:

"حَبِّدَا مَنْ زَانَهُ أَدْبُ      وله من جركسٍ نَسَبُ  
أَيُّهُمْ الْمَذْكُورُ جَدُّهُمْ      مَنْ إِلَى غَسَانٍ يَنْتَسِبُ  
وَأَبُوهُمْ مِثْلَهُ مَلِكُ      وكذا آبائه النجب  
مَلِكُوا مِصْرًا وَأَوَّلُهُمْ      ملكُ بَرْقُوقٍ وَأَنْجَلِبُوا  
وَاسْتَمَرَ الْمَلِكُ إِزْثَهُمْ      وهمو من قَبْلُ فِيهِ رُبُّوا  
وَخِيُولُ الْعَزَّ تَحْتَهُمْ      بسروجِ كُلِّهَا ذَهَبٌ" <sup>١٩</sup>.

يُجْمَدُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَتِهِ مَأْثَرَ الْجِرَاكِسَةِ الْبَاهِرَةِ، حَيْثُ يَسْتَعِيدُ ذِكْرِيَاتِهِمْ وَأَيَّامَهُمْ الزَّاهِيَةَ، وَيَسْلُطُ الضُّوْءَ عَلَى قِصَصِ مَلُوكِهِمْ وَأَنْتِصَارَاتِهِمْ الْكَبِيرَى. هَذِهِ الْقَصِيدَةُ تَمْتَدُ

<sup>١٨</sup> قانصوه كان من مماليك السلطان الأشرف قانت باي فأعتقه وتمّ توليه عدة مناصب في مصر حتى أصبح وزيرًا في عهد طومان باي (٩٠٦ هـ). وكان شاعرا وله قصائد بالعربية والتركية.

<sup>١٩</sup> ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة - دون تاريخ، ج: ١ (القسم الثاني) ص: ٣١٥.

إلى أربعة وأربعين بيتاً، وتنقل فكرة قائمة عن الفخر في عهد المماليك، مؤكدة أن الفخر في تلك الحقبة ليس في الغالب متميزاً بين أمثاله في العصور السابقة.

ومن رائدي الإبداع في هذا النوع من الشعر في هذا العصر صفي الدين الحلبي الذي أنشد في صباه شعراً يستعرض مآثر أهله وأقربائه بعد أن نالوا الانتقام من الجناة الذين قتلوا خاله صفي الدين بن محاسن. كانت هذه القصيدة تشكل فخره الشخصي وتشبه في نبرتها ومضمونها أناشيد الملاحم القتالية التي تروي تجارب الأمم والشعوب. يقول الشاعر:

"سلي الرماح العوالي عن معالينا  
واسْتَشْهَدِي البيضَ هل خاب الرجا فينا  
وسائلي العُربَ والأتراكَ ما فعلت  
في أرض قبر عُبيدالله  
أيدينا"<sup>٢٠</sup>.

ويُقدّم الحلبي تفصيلاً لأحداث الثأر وأنواع القتال، مُلقياً الضوء على أبطال المعارك والفرسان وأفعالهم المشجعة أثناء مواجهتهم لأعدائهم. بعد ذلك، يقف الشاعر بصفة رمزية أمام قومه، مستعرضاً الصفات الجميلة التي يتحلى بها أبناء شعبه، ويصف الكبرياء القومي الذي يتنفسه كل عربي، حيث يشعر بالفخر والتفوق نتيجة للجذور العربية العريقة التي تجري في عروقه منذ العصور.

"إِنَّا لِقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفًا  
أَنْ نَبْتَدِيَ بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُوْذِينَا  
بيضُ صنائِعُنَا، سُودٌ وَقَائِعُنَا  
خُضْرٌ مَرَابِعُنَا، حُمْرٌ مَوَاضِينَا"<sup>٢١</sup>.

<sup>٢٠</sup> ديوان صفي الدين الحلبي، دار صادر، بيروت - دون تاريخ، ص: ٢٠.

<sup>٢١</sup> المواضي جمع الماضي بمعنى السيف الحاد. ديوان صفي الدين الحلبي، دار صادر، بيروت - دون تاريخ، ص: ٢١.

يقدم الشاعر فكرة جليلة، وذلك أن العرب يجب أن يظلوا ذوي الأخلاق الحميدة والتصرف المثالي في وجه الأشخاص الذين لا يسببون لهم ضرراً مع الحفاظ على الشجاعة والشكيمة في المعارك، وأنه يمكن أن يكون منهم تأثير إيجابي على المجتمع والأماكن التي يعيشون فيها. وكان الشاعر المبدع قد تأثر بمقاومة العرب ضد التتار الذين أتوا على الأخضر واليابس في العراق عموماً وفي بغداد بشكل خاص، وهذه الأحداث التي شهدتها أثرت بشكل كبير على تجربته الشعرية.

لاشكَّ أن صدق التجربة يزيد الأثر الفني رونقا وجمالا وتأثيرا وخلودا، فيتأثر به ويتناقله جيل بعد جيل. يقول الناقد اللبناني ياسين الأيوبي: "ولا زلتُ أذكر كيف كان هذان البيتان الأخيران يتصدران الشعارات الخطية والخطابية للتظاهرات الكبرى التي شهدتها المدن اللبنانية والعربية في المناسبات والأحداث القومية التاريخية في الخمسينيات من هذا القرن؛ إن دل ذلك على شيء فعلى صدق النبوة الشعرية وعمق التجربة النضالية التي انطوى عليها الشعر والشعور الفخري المصاحب لهما"<sup>٢٢</sup>.

وهذا ما يتعلّق بأشعار الفخر المستقلة التي يتجلّى فيها الاعتزاز بالذات وبالقوم أكثر من غيرها. ومع ذلك، قد قام شعراء العصر المملوكي بمدح أبطال ذلك العصر وأعمالهم الغالية. وعناصر الشعر الفخري التي تم تسليط الضوء عليها تظهر بوضوح في قصائد هؤلاء الشعراء أيضاً.

---

<sup>٢٢</sup>الدكتور ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، جزوس برس، طرابلس لبنان - ١٩٩٥م، ط: ١، ص: ٢٣١.

## الجهاد والنضال

هو مصدر من مصادر الشعر ذو أهمية كبيرة خلال صراع العرب المسلمين مع الفرنجة والتتار. فقد قام الشعراء برفع راية الإلهام والتحفيز لجنودهم من أجل المشاركة في معارك النضال. كانت المعارك التي خاضها المسلمون ضد التتار والصليبيين مصدرا حيا لإلهام هذه الأشعار، حيث يجلى فيها بأبهى صورها التضحية من أجل العقيدة. عندما يُتصفح شعر العصر المملوكي، يوجد كمّ كبير من القصائد التي تناولت موضوع الجهاد والنضال بأسلوب مؤثر. فبعضها تلقي الضوء على تفاصيل المعارك، بينما يلمس البعض الآخر وجدان المتلقي بحزنهم على سقوط بغداد كشمس الدين الكوفي (٦٢٣هـ - ٦٧٥هـ)<sup>٢٣</sup>، وهو يقول:

"إن لم تُقَرِّحِ أدمعي أجفاني      من بعد بُعدكم فما أجفاني  
إنسان عيني مذ تناءت داركم      ما راقه نظر إلى إنسان  
ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم      ووقفت فيها وقفة الحيران  
وسألتها لكن بغير تكلمٍ      فتكلمتُ لكن بغير لسان  
ناديتها يا دار ما صنع الأولى      كانوا هم الأوطار في الأوطان"<sup>٢٤</sup>.

على غرار ما قام به الزنكيون والأيوبيون في التصدي للاحتلال الفرنجي، تحمّل المماليك الدفاع والصد عن التهديد المغولي. وتمكن الملك المملوكي سيف الدين قطز من هزيمة

<sup>٢٣</sup> شمس الدين محمود بن أحمد بن عبد الله من مواليد بغداد، وكان شاعرا وأديبا، وقام على شراء الأطفال العباسيين الذين تم أسرهم على يد المغول بعد سقوط بغداد تحت هجوم هولاكو. وله قصائد كثيرة تعبّر عن حزنه وألمه في نكبة بغداد.

<sup>٢٤</sup> قَرِّح: جرح جرحا شديدا، ومن بعد بعدكم: من بعد فراقكم، وما أجفاني: ما أثقلني، وإنسان عيني: سوادها، وتناءت: بعدت. موقع بوابة الشعراء، <https://poetsgate.com/poem.php?pm=116328>، ت.ن: ٢٠١٢/٠٨/١٠، ت.ت: ٢٠٢٣/٠٨/٢٢.

المغول وصدهم بعد أن سيطروا على مدن مهمة مثل حلب وحماة ودمشق. تعتبر معركة عين جالوت (٦٥٨ هـ) واحدة من أبرز الصراعات في تاريخ المسلمين، وتُصنف بجانب معارك مهمة أخرى مثل معركة اليرموك ومعركة القادسية. هذه الحروب والصراعات أثرت بشكل كبير على الشعراء في تلك الفترة. فقد قاموا بتصوير هذه الأحداث والشخصيات القائدة في قصائدهم.

ومن الشعراء في هذا العصر شهاب الدين محمود الذي نظم قصيدة مدح فيها الأمير الظاهر بيبرس<sup>٢٥</sup> بسبب انتصار المسلمين في عين جالوت فقال:

"سِرْ حيث شئت لك المهيمن جار  
واحكم فطوع مرادك الأقدار

لم يبق للدين الذي أظهرته  
يا زُكْنه عند الأعادي ثارُ

لما تراقصت الرؤوس وحركت  
من مطربات قسيك الاوتار

حملتك أمواج الفرات ومن رأى  
بحرا سواك تقله الأنهار"<sup>٢٦</sup>.

يشجع الشاعر على السير في الحياة بثقة واستقلال، كما يُظهر أهمية الثبات في الدين والعقيدة في مواجهة التحديات والأعداء.

بعد وفاة الظاهر بيبرس، أعاد المماليك برئاسة المنصور قلاوون بناء طرابلس الشام، التي دُمرت بوحشية من قبل التتار. ولم تكتف المماليك بذلك، بل قاموا أيضا بتحرير 'عكة' على يد ثامن سلاطين الدولة المملوكية الأشرف خليل بن منصور قلاوون.

<sup>٢٥</sup> كان الظاهر ركن الدين بيبرس رابع سلاطين الحكم المملوكي، تولى الحكم بعد سيف الدين قطز سنة ٦٥٨ هـ واستمر حتى ٦٧٦ هـ. سيف الدين قطز كان قد اغتيل في طريق عودته من دمشق إلى القاهرة بعد معركة عين جالوت، ومن المؤرخين من يقول إن مقتله كان على نفس يد الظاهر بيبرس.

<sup>٢٦</sup> الصلّابي، علي محمد محمد، المغول [التتار] بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة، مصر - ٢٠٠٩ م، ط: ١، ص: ٣٦٧.

وفي عام ٧٦٧ هـ، هاجم الفرنجة مدينة الإسكندرية وقاموا بنهبها وقتل جزءا كبيرا من

سكانها، فقام برثائها شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني (٧٢٥ - ٧٧٦هـ):

"أتاها من الإفرنج سبعون مركبا وحاطت بها الفرسان في البر والبحر

وصيّر منها أزرق البحر أسودا بنو الأصفر الباغون بالبيض والسمر"<sup>٢٧</sup>.

باختصار، أثرت النزاعات والصراعات التي وقعت في عصر المماليك بشكل كبير على

الشعراء في تلك الفترة. بعضهم كان يستخدم أشعاره ليُلهِم المقاتلين ويمدحهم، في حين

كان آخرون يصوِّرون المشاكل والإبادة والمجازر التي شاهدها في أشعارهم. وغالبا ما

تتضمن هذه القصائد التهاني بالانتصار، وزيادة توقعات بانتصارات جديدة، ووصف

المدن والحصون المفتوحة، وأخيرا الدعاء والحمد والشكر لله.

## الحب والغرام

كان الحبّ الطبيعي أو الغرام مصدرا من مصادر أساسية للتعبير الشعري في العصر

المملوكي، حيث بذل الشعراء أهمية فائقة للغزل من خلال تقديم قصائد مستقلة له

وإدراجه في مطالع مدائحهم. وتجلّى هذا النوع من الشعر في أشكال مختلفة تعبيرا عن

مشاعر متنوعة، بدءًا من العتاب والرضى وصولا إلى الافتتان والشكوى. وقد تميز هذا

الشعر بأنواعه، حيث جمع بين التقليد والتجديد، رغم أنّ أكثر الشعراء استمدوا

تجارهم من مفاهيم جمالية تقليدية في كثير من الأحيان، كما توزّعت هذه الأشعار بين

<sup>٢٧</sup>ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة - دون

العفة العذرية في بعض الأحيان وبين الجوانب الإباحية في أحيان أخرى. ومع ذلك، كانت

العفة العذرية تحظى بأهمية كبيرة مقارنةً بالجوانب الأخرى المادية والإباحية.

ومن أبرز الشعراء في الغزل في هذه الحقبة برهان الدين القيرواني (٧٢٦-٧٨١هـ). وكان

يقرض هذا النوع من الشعر من أجل الوصول إلى محبوبته، راجياً اللقاء معها. وهو

دائماً ما يُثير مشاعر الحنين والألم، ويصف الألم والشوق والوله الذي لا يُطفأ في قلوب

أولئك الذين يعيشون هذه التجربة. ويتميز هذا الغزل بمشاعر عميقة وكلمات جذابة

وأساليب شعرية رائعة كما يقول في أبياته:

"بأبي لحظُ غزالٍ                      قائلٍ في الفلوات

أخذتُ بابلُ عنه                      بعض تلك النفثات

حسنات الخد منه                      قد أطالت حسراتي

أعشق الشامات منه                      وهي أسباب مماتي

إنّ للموت بأقدا                      ح جفوني سكرات

قلت قد مت غراما                      قال لي مت بحياتي"<sup>٢٨</sup>.

الشاعر يندم على الغزال الذي يقضي أوقاته نائماً في الفلوات، كما يجذب كل من حوله

بجمال خدوده التي أثرت في قلب الشاعر وأحاطته بالحسرة والأسى، لأنه يتمنى أن يكون

قريباً منها ليستمتع بجمالها والشامات التي تزيدها جمالا. يصف شوقه لها بأنه يذوب أو

يموت وجداً. وفي لحظات الموت، سكرات تغشى جفون عينيه، ويتوسل للغزال قائلاً إنه

مات من شدة الحب، لكن الغزال يضحك بسخرية ويرد عليه: مت بحياتي.

<sup>٢٨</sup> الدكتور شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات مصر (تاريخ الأدب العربي ٧)، دار المعارف، القاهرة - دون تاريخ، ط: ٢، ص: ٢٩٣.

اختار بعض شعراء هذه الحقبة الغزل كموضوع رئيسي لشعرهم، ومن بين هؤلاء شمس الدين محمد بن سليمان التلمساني، المشهور بلقب 'الشاب الظريف'، والذي توفي في عام ٦٨٢ هـ، وقد اتسمت معظم إبداعاته الشعرية بالغزلية، ومن أبياته:

"لا أسهر الله طرفا نام عن سهري وعذب القلب بالأشجان والفكر

ولا سقى داره يوما - إذا سقيت داري بدمعي - إلا وابل المطر

يا قوم قد شقني وجدي ببدر دُجى على قضيب أراك ناعم نضر

ظبي من الانس لولا سحر مقلته ما بتُّ فيه بليل غير ذي سحر

في حاجبيه وعينيه ومنطقه شبه من القسي<sup>٢٩</sup> والأسهام والوتر

روض الجمال وأفق الحسن فهو لذا قد راح يجمع بين الغصن والقمر"<sup>٣٠</sup>.

الشاعر في هذه الأبيات الجميلة يمزج بين وصف ملامح حبيبه بشكل رائع ووصف حالته النفسية، حيث يجمع بين الجمال الظاهري لحبيبه وعمق مشاعره الداخلية. ويعبر عن سهره وبكائه نتيجة حبه الشديد، ويصور سعادته عندما ينام حبيبه بطريقة ملموسة. إنها أبيات تنقل بصدق مشاعر الشاعر واللوعة التي يعيشها في حبه، ويتضح ذلك من خلال دعائه لله بإبعاد كل شربما فيه الدموع والسهر عن حبيبه.

إحدى الظواهر الغريبة التي كانت شائعة بين شعراء العصر المملوكي هي التغزل بالغلما. على الرغم من أن أصول هذه الظاهرة تعود إلى العصر العباسي، إلا أنها

<sup>٢٩</sup> القسي: جمع قوس.

<sup>٣٠</sup> ديوان الشاب الظريف، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف، النجف الأشرف - ١٩٦٧م، ص: ١٣٧-١٣٨.

انتشرت بشكل كبير في هذه الفترة. يقول صفي الدين الحلي متغزلاً بشابٍ تركي، ويكثر فيه صفات جمالية مميزة بصياغة مبتكرة:

"أوضحت نارُ خدِّه للمجوس حُجَّةً في السجود والتقديس  
وأقامت للعاشقين دليلاً واضحاً في جواز نهب النفوس  
رشاً من جاذرِ الثُّركِ، لكن حاز إرث الجمال عن بلقيس  
لابساً من بهائِهِ ثوبَ بدرٍ، ومن الوشي حُلَّة الطاووس"<sup>٣١</sup>.

تعبر الأبيات عن جمال وجاذبية شابٍ مذكور، وتصف مدى تأثيره وتألقه على الآخرين. يُشبهه الشاعر خدّ هذا الشخص بنار تضيء أمام المجوس، وهذا يعني أن جماله وسحره يثيران إعجاب الناس حتى يصلون له كما يفعل المجوس في عبادتهم وتقديسهم. وكذلك يكون الشخص مصدر إلهام للعاشقين، ويعتبر مثالا واضحاً على كيفية جذب القلوب ونيل الأمور التي يتمنونها، حتى يمكن وصفه بأنه دليل لهم. وفيما تشبيهه أيضا بولد الطَّبَّية من جذور تركية كما يشبّه بالبدر والطاووس، مما يعني أن الشاب يملك جمالا طبيعيا ولافتا مثل بدر الليل وألوان جناحات الطاووس التي تثير الإعجاب والدهشة. ينتهج الشاعر في التغزل بالغلمان منهج الشعراء في التشبيب بالنساء حيث يصوّر جمالي الشاب الحسّيّ والباطنيّ. هذه النزعة كانت سائدة في هذه الحقبة حتى أنّ بعض العلماء

---

<sup>٣١</sup> رشاً: ولد الطَّبَّية إذا قويّ وتحرك ومشى مع أمّه، ووَشِي الثُّوبُ: نَفَسُهُ بِالْأَلْوَانِ. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت - دون تاريخ، ص: ٤٢٢.

الوقورين لم يسلم منها كشراف الدين الأنصاري (٥٨٦- ٦٦٢هـ)<sup>٣٢</sup>. "ويظهر أن الشعر كان لا يروج ويقبل عليه الناس إلا إذا جرى العصر في هذا النوع من الغزل. يقول ابن الوردي:

أستغفر الله من شعر تقدم لي في المرء قصدي به ترويج أشعاري

ولا نكاد نفتح ديوانا من الشعر إلا وجدنا فيه هذا النوع من الغزل مهما كانت أخلاق صاحبه. وقد تصدى كثير من المصلحين لمحاربة هذا الشذوذ ومن هؤلاء ابن قيم الجوزية وانضم إليهم في محاربتها بعض الشعراء كابن الوردي<sup>٣٣</sup>.

وإلى جانب قصائد الغزل المستقلة، كان الغزل يحتلّ مكانة في مقدّمات المدائح النبوية في العصر المملوكي بشكل عامّ، والبديعيات بشكل خاصّ. هذه المقدمات غالبًا ما تكون أصدق وأعمق من من شعر المدح نفسه، نظرًا لأنها تعبر عن عواطف إنسانية متقدمة تجاه حب المرأة والجمال.

هنا تم التركيز على أبرز المصادر التي أثرت على تجربة الشعراء في العصر المملوكي. بالإضافة إلى هذه المصادر، هناك العديد من مصادر الإلهام التي ساهمت في تطوير الشعر في هذه الفترة. الحب النبوي النقي كان مصدر إلهام غني استفاد منه الشعراء في هذا العصر بقدر كبير، وسيتم التطرق إلى هذا في الفصل القادم.

---

<sup>٣٢</sup> هو عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري، عرف بشيخ شيخو حماة لأنه كان قاضي قضاة بها. سمع الحديث الشريف والفقهاء على أعلام عصره ببغداد.

<sup>٣٣</sup> نعيم الحمصي، نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية (١٩٨١-١٩٨٢م)، جامعة تشرين باللاذقية، ج: ١ ص: ٣٠٥.

## الفصل الثاني: المديح النبوي في عصر البوصيري

### دوافع ازدهار المديح النبوي في هذا العصر

ظهرت معالم المديح النبوي واستقرت في عصر البوصيري، وأصبحت لها تقاليدها وأسسها الخاصة. تألق الشعراء في هذا النوع من الشعر وأصبحوا ماهرين فيه بشكل لافت. بدأت المدائح النبوية بالتسلل إلى دواوين الشعراء، حيث أخذت تشكل جزءا كبيرا من محتوى أعمالهم الشعرية. فيما بعد، تطورت هذه المدائح لتصبح دواوين مستقلة خاصة بها، فصارت حيث لم يكن هناك نوع آخر من الشعر يمكن مقارنته بشعبيتها وانتشارها. كان معظم الشعراء في ذلك الوقت مشاركين في المديح النبوي، ووصلت بعض المدائح النبوية إلى طول لم يسبق له مثيل في الشعر العربي، حيث تجاوزت عدد أبياتها المئتين.

وراء هذا الانتشار الواسع لفن المدائح النبوية أسباب ودوافع تشمل العوامل السياسية، كما تشمل العوامل الاجتماعية. وكانت العوامل الدينية تلعب دورا مهما، حيث كان المديح النبوي يُعتبر وسيلة للتعبير عن حب النبي الكريم وتكريمه، بالإضافة إلى الالتزام بالاتجاه الشائع والتقليد.

### دوافع سياسية

تولّى المماليك الحكم في سياق اضطراب سياسي كبير، وذلك أثناء تعرض البلاد العربية الإسلامية لغزوات شديدة من الشرق والغرب. كانت مملكات الصليبيين مستمرة في بلاد

الشام، ولم تتراجع تماما. وبدلاً من الانحسار، قاموا بالتوسع مجدداً في تلك المنطقة، ونفذوا حملات عسكرية استهدفت مصر. كما قاموا بالاستيلاء على المناطق في الأندلس بشكل تدريجي، وسفهم هاجمت الثغور العربية بهدف احتلال تلك المناطق واستيطانها ونهب ثرواتها.

بدأ الغزو المغولي للشرق العربي قبيل هذه الفترة، حيث اجتاحوا العراق وأسقطوا الخلافة العباسية، وسيطروا على معظم أراضي الشام، واتجهوا نحو مصر، مخلفين وراءهم الرعب والدمار. هذا الاتحاد بين التهديد المغولي والتهديد الصليبي أدركه العرب المسلمون كتهديد حقيقي لوجودهم، حيث بدأوا في التصدي لهذه الغزوات الهمجية بقيادة المماليك بهدف صدها عن أراضيهم وحمايتهم.

وفي هذا السياق، شارك الشعراء بفعالية في حملة الجهاد لمواجهة الغزاة، حيث استخدموا شعرهم للتشجيع والتحفيز، وحثوا الناس على التضحية والمشاركة في الجهاد. قاموا بمهاجمة الغزاة وإلقاء اللوم عليهم، ونشروا رسائل دعم للمسلمين في هذه الفترة الصعبة. واستخدم البعض الآخر منهم الدين كوسيلة للتأكيد على الوحدة والتضامن، ودعوا إلى الصلاح والتوبة كوسيلة للتغلب على النكبات والمحن.

وفيما يتعلق بالصليبيين، اتخذوا الدين سخرياً واعتدوا عليه، فانتقد الشعراء هذه الظاهرة، ودافعوا بشدة عن الإسلام والنبي محمد ﷺ، معربين عن حبهم واعتزازهم به. إلى جانب هذه الاضطرابات السياسية الخارجية، قد تأثر الشعراء بالقضايا السياسية الداخلية بين العرب والمماليك، حيث دفعتهم إلى التعبير عن غضبهم واحتجاجهم على

حكم المماليك واعتبارهم أنفسهم أحق بالسلطة. كان العرب يعتبرون أنهم أصحاب البلاد وأن رسول الله ﷺ منهم، مما جعلهم يشعرون بالاستياء والقلق من هذه السيطرة والاستبداد الذي كانوا يعانونه تحت حكم المماليك، فحاولوا القيام بثورة تجاه السلطة. وعلى مقدمهم فرقة العُربان الذين هاجروا من قبائل العرب المختلفة إلى مصر، وكانوا عاكفين على بيئتهم البدوية، ومُصرِّين عليها<sup>٣٤</sup>.

وأیضا كان بعض العرب يُظهرون هذا الشعور والإحساس من خلال تجمعهم حول آل البيت، مزجا بين الشعور السياسي والشعور الديني. لأنَّ آل البيت عرب أقرباء لرسول الله ﷺ، وعلى ما رأوه أحقَّ بالسلطة، كما قال حصن الدين ثعلب بن يعقوب<sup>٣٥</sup> وأصحابه عندما قادوا ثورة ضد المماليك: "أنا أحق بالملك من المماليك"<sup>٣٦</sup>.

كان الشعراء الذين كانوا يفتخرون بعروبيتهم يسعون دائما للتعبير عن هذا الشعور، حتى في قصائدهم الغزلية باللغة العربية خلال عصر شهد تمجيدا لكل ما هو تركي. تجلى هذا الأمر بشكل واضح في المدائح النبوية حيث ذكر الشعراء العرب عروبة رسول الله ﷺ وأشادوا بها. ومدح الرسول ﷺ في هذا السياق يندكر العرب بأن الرسول ومن معه في الأمة من أصحابه هم جزء منهم، وأنهم هم الذين نقلوا رسالة الإسلام إلى العالم،

---

<sup>٣٤</sup> يرجى الاطلاع على كتاب 'القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى' للدكتور عبد الله خورشيد البري.

<sup>٣٥</sup> حصن الدين ثعلب كان زعيم الجعافرة آنذاك، وهي قرية تقع حاليا في محافظة أسوان في جمهورية مصر.

<sup>٣٦</sup> المقرئزي، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: فردناد واسطون فيلد (Ferdinand Wüstenfeld)، جوتنجن (Göttingen)، ألمانيا - ١٨٤٧ م. ص:

مما يجعلهم يفخرون بعروبهم وتاريخهم العريق، ويحثون على استعادة أمجادها والاحتفاء بها.

وكانت المدائح النبوية في العصر المملوكي تحمل رسائل سياسية واجتماعية هامة. فقد تضمنت هذه المدائح إشارات ورموزاً تلمح إلى الوضع السياسي الصعب الذي كان سائداً في تلك الحقبة، مثل التهديدات الخارجية التي كانت تواجه الدولة الإسلامية واستغلال فئة صغيرة للحكم وإهمال الأكرثية العربية. وهذه المدائح صارت وسيلة للتعبير عن هذه المشاعر والآراء السياسية بطريقة آمنة. وهذا جعلها أكثر قبولا من قبل الجماهير. فالدوافع السياسية هي إحدى المحركات الأساسية للمدائح النبوية في العصر المملوكي، حيث نقلت مشاعر المقاومة والنضال. وقد استخدمها الشعراء لحشد الهمم ضد الغزوات الصليبية والمغولية، مؤكداً على ضرورة الدفاع عن الأرض والدين. كما عكست هذه المدائح الغضب تجاه سيطرة المماليك، حيث رأى العرب أنهم الأحق بالحكم.

### دوافع اجتماعية

كان المجتمع المملوكي مجتمعا طبقياً مع نظام عسكري يهيمن عليه. الطبقة الحاكمة هم من المماليك، الذين كانوا يستحوذون على الثروة الوطنية والوظائف الهامة في الدولة، ولا يمنحونها لأي شخص آخر. ومع ذلك، لا يمكن القول أن كل المماليك كانوا ظالمين، فبعضهم كان يسعى إلى العدل ورفع الكرب عن الناس. ولكن أكثرهم كانوا يعيشون حياة فاخرة ويتركون عامة الناس في فقر وجوع وعرضة للأوبئة والكوارث. وكانت العامة تعبر

عن سخطها تجاه هذه المظالم وتنتفض بين الحين والآخر للدفاع عن حقوقها. كان بعض العلماء يتحدثون بصدق وينبهون المماليك على واجباتهم ومسؤولياتهم تجاه الشعب.

ولم يكن الشعراء أيضا بعيدين عن الواقع الصعب الذي عاشه الناس. سجلوا في قصائدهم غضبهم من الفقر والبؤس. وإذا لم يكن لديهم الشجاعة للتعبير بشكل مباشر، اختاروا اللجوء إلى الثناء على النبي الكريم كمثال على العدل والرحمة. قاموا بمقارنة حال المسلمين الأوائل بالوضع الحالي، راجين في أنه يمكنهم أن يحثوا حكامهم على تحسين الأوضاع، وأحيانا يكون الناس واعين بحقوقهم ويبدؤون في المطالبة بها. وكذلك كانت فترة المماليك مليئة بالأزمات والكوارث الطبيعية والمجاعات، مما دفع الناس إلى الدعاء والاستشفاع برسول الله للتخفيف من هذه الآثار الكارثية.

علاوة على ذلك، كان هناك تفشٍ لبعض السلوكيات السلبية مثل اللهو وشرب الخمر خاصة في أعياد النصراري، مما أثر سلبا على المجتمع. يقول المقرئزي: "ومما كان يُعمل بمصر عيد الشهيد<sup>٣٧</sup>..... ترحل إليه النصراري من جميع ويركبون فيه الخيل، ويلعبون عليها، ويخرج عامة أهل مصر على اختلاف طبقاتهم، وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو، ولا رب ملعوب ولا بغي، ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق إلا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم

---

<sup>٣٧</sup> يوم الشهيد هو اليوم الثامن من شهر بشنس في التقويم القبطي، حيث كان المسيحيون في مصر يقومون برمي تابوت خشبي في نهر النيل. هذا التابوت كان يحتوي على إصبع من أصابع أجدادهم المتوفين. كانوا يفعلون ذلك بسبب اعتقادهم القائل بأن مستوى مياه النيل في مصر لا يزيد عن حده العادي في كل سنة إلا بعد أن يتم هذا الإجراء.

لا يحصيهم إلا خالقهم، وتُصرف أموال لا تنحصر، ويتجاهر هناك بما لا يُحتمل من المعاصي والفسوق، وتثور فتن، وتُقتل أناس ويباع من الخمر خاصة في ذلك اليوم"<sup>٣٨</sup>. في أيام بعض السلاطين، تطورت الأمور إلى حد غريب، حيث أصبحوا يحمون ويضمنون للخمارات وأماكن الفسق. كانوا يحمون هذه السلوكيات الفاسدة مقابل مبالغ مالية دفعت للدولة. كانت هذه الظواهر تتغير حسب ظروف الدولة، من حالة حرب أو سلام، وكانت تتأثر أيضا بشخصية السلطان الحاكم. فإذا كان السلطان مغرما بالمتع ومجاهرا بها، فإن الناس كانوا ينخرطون في المعاصي بشكل علني وكانوا يستمتعون باللهو. وإذا كان السلطان جادا ومتجنبًا للملذات المحرمة، فإن الناس كانوا يبتعدون عن اللذات الرخيصة وكانوا يهدمون أماكن الفسق والمجون.

ربما كان اختلاط العناصر المختلفة والأجناس المتباينة سببا في انتشار الفساد الاجتماعي وظهور عادات غريبة للعرب والإسلام. وأيضا قد يكون الناس انجذبوا للهو والمجون كوسيلة للهروب من قسوة الحياة والظلم والعسف. ومع ذلك، لم تكن هذه الحياة اللاهية مقبولة للكثيرين، وقد انتقدها رجال الدين ورأوا فيها سببًا للمصائب التي تحل بالأمة.

بعض الشعراء ردوا على هذا الوضع بالدعاء إلى الله لتنقية المجتمع من هذه المفسد، وبالتوسل برسول الله ﷺ. قدموا مدائح للنبي الكريم تعبيرا عن توبتهم ورجبتهم في

---

<sup>٣٨</sup>المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١٨ هـ ط: ١، ج: ١، ص: ١٢٩، كامل حسين، محمد، أدب مصر الإسلامية (عصر الولاة)، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة - ٢٠١٧ م، ص: ١٤٩.

الغفران والثواب. نظموا القصائد الدينية والمدائح النبوية ليذكروا الناس بتعاليم الدين وحدوده، ويساهموا في نشر الروح الدينية ومقاومة هذه الأمور الشنيعة. وكذلك كان المسلمون يحرصون على زيارة قبر النبي الشريف شوقاً إليه وخوفاً من الأمور الفاحشة والشرور. وهم يبتغون شفاعته، ويحتفظون برغبة دائمة في الأماكن المقدسة المتعلقة بالنبي ﷺ، ويعبرون عن هذا الشوق بكل جمال من خلال الشعر والتحيات والدعاء، كالشاعر جمال الدين الصرصري (٥٨٨هـ — ٦٥٦هـ) الذي يقول:

"ألا ليت شعري هل أزور قباها  
فتحمدُ فيها العيسُ شدي ورحلتي  
وأنشد في أكنافها متعرضاً  
لمن نظمُ مدحي فيه تاجي وجليتي  
ألا يا رسول الله أنت وسيلتي  
إلى الله إن ضاقت بما رُمْتُ حيلتي"<sup>٣٩</sup>.

وكذلك عبد الرحيم بن أحمد البُرعي يعتبر زيارة رسول الله ﷺ وسيلة لتخفيف معاناته ورفع ثقل ذنوبه. وإنه يجعل الزيارة فرصة للتوبة ومغفرة الذنوب، ويقول بكلمات مؤثرة:

"وليس معي زادٌ ولا لي وسيلة  
بل هاشمي بالهاء متوجُّ  
ألوذ إلى ذاك الجنب فأحتمي  
بمن هو عند الكرب للكرب يفرُّج  
وأدعوه في الدنيا فتقضى حوائجي  
وإني إليه في القيامة أحوج"<sup>٤٠</sup>.

يتضح من خلال هذه المعطيات أن المجتمع المملوكي كان يعاني من أزمت اجتماعية شديدة. وقد انعكست هذه الأوضاع على الإبداع الأدبي، حيث وجد الشعراء في المديح

<sup>٣٩</sup> ديوان الصرصري، تحقيق الدكتور مخيمر صالح، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك، ص: ٧١.  
<sup>٤٠</sup> ديوان البُرعي في القصائد الربانية والمحمدية والصوفية، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة- دون تاريخ، ص: ١٣٤.

النبي وسيلة للتعبير عن آمالهم في الإصلاح والخلص من الفساد والظلم. وكانوا يستلهمون صورة النبي كنموذج للعدل والرفعة التي فقدوها في واقع حياتهم.

## دوافع دينية

في القرنين السادس والسابع، تجلى تأثير الروح الدينية بوضوح في أمصار العرب الإسلامية. شهدت هذه الفترة اضطرابات عنيفة نتيجة للغزوات الخارجية والنزاعات السياسية الداخلية. ومن هذا المنظور، كان الدين وشعائره ملجأً للراحة والاستقرار في بعض الأوقات، وسلاحًا في مواجهة التحديات في أخرى.

فالغزو الفرنجي للأراضي العربية تحول إلى حروب صليبية مشحونة بالأبعاد الدينية. لم يكتفوا بالطمع في الأرض والثروات، بل شنوا هجمات على الإسلام ونبيه، مما دفع المسلمين للرد بجدل ديني أثر على بعض المعتقدات والأدب والفكر.

في نفس الوقت، كانت هناك منافسة سياسية وعقائدية بين الدولتين العباسية والفاطمية، وتأثرت العصور المملوكية بآثار هذا التنافس. وكذلك ازدادت قوة التصوف وانتشرت تيارات متعددة منه، مما أسهم في ظهور تيارات مختلفة ومناقشات دينية. هذا النشاط الملحوظ في الحركة الدينية تجلى في اهتمام الناس بعلوم الدين وزيادة الكتب الدينية، وأيضًا في الأدب الصوفي وإعلاء القيم الروحية، بالإضافة إلى تأليف المدائح النبوية.

وفي ميدان الأدب، طرأ تغيير جذري بظهور التوجه الديني، وكان قد اشتعلت المناظرات والمجادلات بين المسلمين وأهل الكتاب على نحو مماثل. وبلغت هذه النزاعات ذروتها

خلال الحروب الصليبية، حيث قام المسلمون بالدفاع بشدة عن دينهم ونبهم، وقدموا أدلة لإثبات نبوة نبهم. ونتج عنه الكثير من الكتب والمؤلفات، وتناولت المدائح النبوية مضامين ذات صلة بها بشكل وافٍ.

ظهرت هذه النزاعات في الشعر بشكل واضح، ولاسيما في أعمال الشاعر البوصيري، الذي لم يتردد في مجادلة أتباع الديانات المختلفة، بشأن معتقداتهم الدينية. قام البوصيري بمقارنة معتقداتهم بالعبقيدة الإسلامية في قصيدة طويلة ألفها وسماها 'المخرج والمردود على النصارى واليهود'. في هذه القصيدة، أظهر البوصيري معرفته الواسعة بالتوراة والإنجيل، وقام بدراسة دقيقة لكتب أتباع الديانات الأخرى، حيث استخدم محتوياتها لدعم نبوة محمد ﷺ. وعلى سبيل المثال، أشار إلى إشارات في هذه الكتب التي تسلط الضوء على قدوم نبي جديد:

"تُخبركم التوراة أن قد بشرت

قديماً: بأحمد أم بإسماعيلاً

طوبى لموسى حين بشر باسمه

ولسامع من فضله ما قبلاً

وجبال فاران<sup>٤١</sup> الرواسي، إنها نالت على الدنيا به التفضيلاً<sup>٤٢</sup>.

بعد ذلك، قام البوصيري بتثبيت نبوة النبي محمد ﷺ بما يؤمن به المسلمون، مع ما ورد في التوراة والإنجيل. وهذا يظهر أن الجدل القائم بين أهل الكتاب حول نبوة الرسول ﷺ

<sup>٤١</sup> فاران، التي ذكرت في في التوراة والإنجيل، كانت مأوى لهاجر وابنها إسماعيل. وفي الكتاب المقدس، وردت أيضًا إشارة إلى أن الله تالاً من جبل فاران. وهي تُفسر بوجهين: يرى المسلمون فيها بشاراً بخروج نبي من هذا المكان، حيث يعتقدون أنه جبل من جبال في مكة. أما المسيحيون فيربطون ذلك بمنح الشريعة لموسى.

<sup>٤٢</sup> ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١، ص: ١٤٥-١٤٦.

لا يعود إلى اختلاف في القضايا الدينية، بل ينبع من دوافع سياسية وأحقاد تاريخية. إذ النبي محمد ﷺ انتصر عليهم وكشف عن انحرافهم عن الحقيقة والمبادئ السماوية. وكان الناس في عصر المماليك يُبدون اهتماماً بارزاً بالمظاهر الدينية، وقاموا بالاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية بشكل بارع بهدف التواصل مع الناس واعتباره وسيلة لتكفير ذنوبهم. وكانوا يُودعون مواكب الحج، حيث كانوا يظهرون الفرح في شوارع القاهرة بارتداء حلة رائعة قبل المغادرة إلى مكة المكرمة. ولم يكتفوا بذلك فقط، بل قاموا بملء تلك المواكب بالأموال والمساعدات لأهل مكة. كان هذا الاهتمام بمحمل الحج له تأثير كبير في تعزيز الأبعاد الروحية المرتبطة بالحج وزيادة شغف الناس بأداء هذه الفريضة المقدسة. ولم يقتصروا عند هذا الحد، بل حثوا الشعراء على كتابة قصائد تشجع على زيارة الأماكن المقدسة وتمجيد النبي محمد ﷺ، مما ساهم بشكل كبير في تعزيز الجوانب الدينية والروحانية.

يقول الشاعر نجم الدين القحفازي عندما كان يستقبل الحجّاج:

يا نياق الحجيج لا ذقتِ سهداً	بعدها لا ولا تجشمتِ وخدا
لا فدينا سواك بالروح منا	أنت أولى من بات بالروح يفدى
يا بنات الذميل كيف تركتن	شعاب الغضا وسلعاً ونجدا
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً	بوجوه رأّت معالم سعدي <sup>٤٣</sup> .

<sup>٤٣</sup> النياق جمع ناقة، وتجشمت عناء السفر: تحمّله عن كره ومشقة، والوخذ مصدر وخذ البعيرُ بمعنى أسرع، الصّفديّ، صلاح الدين أبو الصّفاء خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات، ج: ٦، ص: ٣٨٩.

في العهد المملوكي، كانت هناك اهتمامات مشابهة تجاه الاحتفالات الدينية المختلفة والمناسبات المقدسة. ومن بين هذه المناسبات كان المولد النبوي يحظى بعناية خاصة. وكان الناس يحتفلون بالمولد النبوي بشكل عظيم، حيث شارك في هذه الاحتفالات جميع فئات المجتمع. وأثناء هذا الاحتفال، تم تنظيم ولائم وقراءة القرآن الكريم، وأداء قصائد المديح النبوي. هذه الجهود كانت تهدف إلى تذكير الناس بعظمة النبي محمد ﷺ وفضله على أمته، وزيادة مشاعر المحبة والاحترام له. وكان الشعراء يحضرون قصائد خاصة لهذه المناسبة، وكانت تحمل فيها مديحا وتمجيذا للنبي محمد ﷺ. ومنها قصيدة صفي الدين الحلي المبدوءة بـ:

"خدمت لفضل ولادك النيران  
وانشق من فرح بك الإيوان  
وتزلزل النادي وأوجس خيفة  
من هول رؤياه أنو شروان  
فتأول الرؤيا سطوح وبشرت  
بظهورك الرهبان والكهان"<sup>٤٤</sup>.

إلى جانب ذلك، كان لدى الناس أكبر اهتمام بكل ما يتعلق برسول الله ﷺ، حيث تم تصميم البنايات في المواقع التي يقرأ فيها المولديات، وتم تجهيزها بأفخم الزخارف، وكانوا يعتبرونها أماكن مقدسة، يتمنى الناس زيارتها للبركة.

في هذا العصر، أصبح التصوف جزءا هاما من الثقافة. وكان من الصوفية شعراء عبّروا عن مبادئهم الروحية، وأظهروا شوقهم للتجربة الروحية والمقدسات. وركز هؤلاء الشعراء على تناول رسول الله ﷺ في أشعارهم، حيث قدموا مديحا له بأسلوبهم

<sup>٤٤</sup> ديوان صفي الدين الحلي، ص ٧٩.

الخاص، وأظهروا مكانته في عالمهم الروحي. بالنسبة للصوفية، كان لديهم مكانة خاصة لرسول الله ﷺ، حيث اعتبروا أنفسهم ورثة له وأنهم يمتلكون تفاصيل عميقة من وراثته الروحية. هم قسموا الناس إلى ثلاثة أصناف: العالم، والعابد، والعارف الصوفي، وقالوا إن كل واحد من هؤلاء يمتلك نصيبًا من الوراثة النبوية. العالم ورث علمه، والعابد ورث تقواه وعبادته، والصوفي ورث الأصول الروحية والتجارب الروحية.

في شعر المدائح النبوية، برز العديد من الشعراء الصوفية البارعين، مثل البوصيري الذي كان ينتهي إلى الطريقة الشاذلية. تميزت مدائحه النبوية بالنفحات الصوفية والروحانية. كان بعض قصائده يُنظم خصيصًا ليتم غناؤها وترتيلها في حلقات الذكر والصلاة. على سبيل المثال، قصيدته التي تبدأ بـ "يا ربِّ صلِّ على المختار من مضر..." تظهر موقفه كشاعر صوفي يبدي محبته واحترامه للنبي محمد ﷺ. بهذا الشكل، كان التصوف والأدب والشعر جزءًا لا يتجزأ من الحياة الثقافية في هذا العصر، وكان للصوفية دور مهم في إثراء الأدب والشعر بالمفاهيم الروحية والمقدسة. منذ بزوغ فجر القرن السابع، لم يترك أي شاعر في مصر موضوع المديح النبوي دون أن يلامسه بأسلوبه الخاص. هؤلاء الشعراء يتنوعون بين من قدموا مدائح متفردة ومن منحوا النبي ﷺ حفا وافرا في دواوينهم الشعرية. لا شك أن ازدهار الفكر الصوفي قد أسهم في هذه الظاهرة الأدبية.

فبالمجمل، في زمن البوصيري، انتشر شعر المديح النبوي بشكل كبير وبلغ قمة ازدهاره، بسبب عدة أسباب سياسية واجتماعية ودينية. فعلى المستوى السياسي، كانت الحروب

الصليبية والمغولية تهدد العالم الإسلامي، فاستعمل الشعراء المدائح النبوية كوسيلة للدعوة إلى الجهاد والمقاومة، كما عبّروا من خلالها عن الصراعات الداخلية بين العرب والمماليك، مؤكدين على حق العرب في القيادة. أما من الناحية الاجتماعية، فكان الناس يعانون من الفقر والظلم، فصار النبي في شعرهم رمزا للعدل والمساواة، وأصبحت المدائح وسيلة للتعبير عن آمال الناس في التغيير والإصلاح. أما دينيا، فكان الناس متمسكين بدينهم في وجه الحملات المعادية، وكان للتصوف تأثير كبير، فصار المديح النبوي تعبيرا عن الحب الصادق للنبي، وتعزيزا للروح الدينية والدفاع عن العقيدة.

### خصائص المديح النبوي في هذا العصر

في العصر المملوكي، تطوّر فن المديح النبوي بشكل واضح، وأصبح نوعا أدبيا مستقلا له مميزات الخاصة. فقد تميز بوصف جميل لصفات النبي ﷺ، وجمع بين الأسلوب التقليدي والديني، كما شاعت المعارضات الشعرية والزينة اللفظية مثل المحسنات البديعية.

### التصوير الجمالي للصفات الشكلية للنبي ﷺ

لم يقتصر شعراء المديح النبوي في هذا العصر على إبراز الصفات الخلقية للنبي ﷺ، بل أبدعوا أيضا في تصوير جماله الظاهري، معبرين عن إشراق وجهه ونور طلعتة بأبهى الصور البلاغية. وقد تجلّى ذلك في قصائدهم التي استخدموا فيها تشبيهات مستوحاة من الطبيعة والكون، كما في قول ابن نباتة المصري:

"واذكر ببدر طلعةً نبويةً  
من مفردٍ يسمو ابنَ عشرٍ وأربع

ما البدر في كبد السما كسناه في قلب الخميس ولا بصدر المجمع

تفدي البدورُ بيوم بدرٍ وجهه ما بين معشره البدور الطلّع"٤٥.

وكما تتجلى أوصاف النبي ﷺ في أبيات الشاعر ابن مليك الحموي، حيث يقول:

"جميل المحيا أزهر اللون أبلج بريق الثنايا أكحل أدعج أقى"٤٦

وهذه الأوصاف مستمدة من الأحاديث التي رواها الصحابة في وصف النبي ﷺ، فتدل

على جمال وجهه، وصفاء لونه، وتناسق ملامحه، ويقول في موضع آخر:

"يريك محيًّا بالحياء مهللاً فمن قاس جهلاً بالأهله فرقه

تراه إذا ما جئته ضاحكا طلقا فذاك الذي أخطاه لم يشهد الفرقا"٤٧

فالنبي الكريم كان صاحب وجه منير طلق، يتهلل بالبشر والحياء، يبتسم في وجوه الناس.

ومن ظن أن وجهه كاللهلال فقد جهل؛ إذ لا مقارنة بين نور وجهه وإشراق الأهلة، فهو

أبهى منها نورا وأعظم إشراقا.

وتناول الشعراء أيضا تفاصيل ملامحه، مثل بريق عينيه، وبياض بشرته، واعتدال

قامته، مستخدمين في ذلك أساليب بلاغية متنوعة كالتشبيه والاستعارة والكناية.

٤٥ ديوان ابن نباتة المصري، شركة علاء الدين، بيروت، دت، ص: ٢٩٢.

٤٦ ابن مليك الحموي، علاء الدين علي بن محمد، ديوان النفحات الأدبية من الزهرات الحموية، تقديم وتحقيق: إسراء أحمد فوزي الهيب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق- ٢٠١٠م، ص: ٣٧.

٤٧ العتيبي، د. فلاح بن مرشد بن خلف، المدائح النبوية في شعر ابن مليك الحموي دراسة استقرائية تحليلية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، ص: ٢٣٦٩.

## تأثر الشعراء بنزعة صوفية

تأثر العديد من شعراء العصر المملوكي بالتصوف، حيث انعكست هذه النزعة في استخدامهم لمصطلحات صوفية ورموز دينية في مدائحهم. فقد عبّروا عن حبهم للنبي ﷺ من خلال رموز مثل 'النور' و'السر الإلهي'. تجسّد هذه الرموز المفاهيم الصوفية التي ترى في النبي الكريم النور الأول ومصدر الوجود. وكذلك عبّر الشعراء عن شوقهم إلى الأماكن المقدسة، مثل مكة والمدينة أكثر مما كان في العصور القديمة. وتصدرت المحبة في المدائح النبوية حيث استخدمت كلمتي الحُب والحبيب بشكل كبير كما قال البوصيري في قصيدة البردة:

"هو الحبيب الذي تُرجى شفاعتهُ لكل هَوٍ من الأهوال مقتحم" <sup>٤٨</sup>.

وكما قال في قصيدة أخرى:

"نبيُّ كامل الأوصافِ تَمَّتْ محاسنُه فقليل له الحبيب" <sup>٤٩</sup>.

وفي أبيات رائعة يقول صفي الدين الحلي:

"لِلَّهِ لَدَّةٌ عَيْشٍ بِالْحَبِيبِ مَضَّتْ فَلَمْ تَدُمْ لِي وَعَيْرُ اللَّهِ لَمْ يَدُمْ" <sup>٥٠</sup>

وكذلك في العصر المملوكي، برزت فكرة 'النور المحمدي' كعنصر محوري في قصائد المديح النبوي، متأثرة بالتصوف الذي اعتبر النور المحمدي أصل الوجود ومصدر الهداية. تجلّت هذه الفكرة في أعمال شعراء بارزين مثل البوصيري وصفي الدين الحلي،

<sup>٤٨</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١، ط: ٢، ص: ٢٢٩.

<sup>٤٩</sup> نفس المصدر، ص: ٥٩.

<sup>٥٠</sup> ابن معصوم المدني، السيد علي صدر الدين أنوار الربيع في أنواع البديع، مطبعة النعمان النجف، ١٩٦٨م، ج ١، ص ١٧٦.

حيث عبّروا عن النور النبوي بأساليب رمزية وروحية عميقة. ومن الشعراء المعروفين في

هذا العصر علاء الدين ابن العطار، هو الذي يقول:

"نور النَّبِيِّ المصطفى المختار أربت محاسنه على الأنوار

مرآه يخجل بهجة الأقمار نور ينجّي من عذاب النَّار"<sup>٥١</sup>.

وفي بعض آثار المَدَّاح تحظى فكرة الحقيقة المحمدية بمكانة عالية، فيكونون

مسترسلين فيها كما قال ابن مليك الحموي في إحدى مدائحه:

"لولاه ما كان لا شمس ولا قمر ولا سماء ولا أرض ولا جبل

ولا بحار ولا ملك ولا ملك ولا سماك ولا حوت ولا حمل"<sup>٥٢</sup>.

فبالخلاصة تُظهر المدائح النبوية في العصر المملوكي تجربة صوفية، حيث أصبحت

المدائح وسيلة للتعبير عن التوق إلى الكمال الروحي والاتصال بالذات النبوية.

### كثرة استخدام المحسنات البديعية

في العصر المملوكي، بزغ نجم المدائح النبوية كفن مستقل، يعبر عن المحبة والإجلال،

ومع ذلك يُجسّد روعة البلاغة وجمال الصياغة. فلم تكن المدائح النبوية مجرد كلمات

تقال في مناسبات، بل أصبحت وسيلة ليتبارى بها الشعراء لإبراز براعتهم في استخدام

المحسنات البديعية. وبرزت في هذا السياق 'البديعيات' كشكل فني جديد، اتخذ البديع

أساساً لبنائه، وجعل في كل بيت لونا من ألوان الزخرفة والبلاغة والجمال.

<sup>٥١</sup> المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - ١٩٧٧م، ج ٧، ص ٤٨٥.

<sup>٥٢</sup> محم، الدكتور محمود سالم، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق - ١٩٩٦م، ج ١، ص: ٢٥٣.

وكان لقصيدة 'البردة' للبوصيري الريادة في هذا التحول الشعري، فقد ألهمتهم في طريقة مدح النبي محمد ﷺ والتعبير عن محبته. اتبع الشعراء أسلوب البوصيري، وأضافوا عليه بعض المحسنات البلاغية التي زادت جاذبية النص وقوته. ساروا على نهجها وأضافوا إليها تجارهم وأذواقهم.

ولم يكن استخدام المحسنات البديعية ترفاً لفظياً، بل كان وسيلة لإثراء المعنى وتكثيف الإحساس، حيث وظّف الشعراء أساليب البديع كالجناس والطباق والسجع والتورية لخدمة المعنى، لا للزينة فقط. وكان الشعراء يبدعون في استخدام هذه المحسنات بطرق مختلفة، فمنهم من صحّح بها مثل صفي الدين الحلي، الذي كان يضع أسماء المحسنات أمام الأبيات، بينما عز الدين الموصلي أشار إليها ضمن النص نفسه. وهكذا، تحول المديح النبوي في العصر المملوكي إلى مرآة تعكس إخلاص الشعراء في المحبة والتدين، ومهارتهم في الذوق الأدبي. مثلاً صفي الدين الحلي أودع أنواعاً من البديع في كل بيت من قصيدته حيث يقول في الكافية:

"خير النبيين والبرهان متضح في الحجر عقلاً ونقلاً واضح اللقم"<sup>٥٣</sup>.

تكمّن التورية في لفظة 'الحجر'، "فإن الحجرَ العقلُ، ومراده سورة الحجر، لقوله تعالى لرسوله ﷺ فيها ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ))، ومعنى لعمرُك: وحياتك"<sup>٥٤</sup>.

---

<sup>٥٣</sup> صفي الدين الحلي، عبد العزيز بن سرايا، شرح الكافية البديعية، ت: الدكتور نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت-١٩٩٢م، ط:

٢، ص: ١٣٥.

<sup>٥٤</sup> نفس المصدر، ص: ١٣٦.

وفي البيت التالي يُوظّف الشاعر أسلوباً بلاغياً آخر من المحسنات اللفظية، هو

التوشيع، حين قال:

”أُمِّي خَطَّ أَبَانَ اللَّهِ مَعَجَزَهُ بِطَاعَةِ الْمَاضِيَيْنِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ“<sup>٥٥</sup>.

فالماضييين' في الشطر الثاني وردت مثني مهمماً، ثم جاء بعده تفسيره بالسيف والقلم، حيث عُطف الثاني على الأول، وهذا هو التوشيع.

ويُعدّ التوشيع من أساليب الإطناب، هدفه إشباع توقّع المتلقي، إذ إن الإيهام في المثني يثير في النفس شوقاً لمعرفة المقصود، ثم يأتي التوضيح لاحقاً ليمنح المعنى قوة وترسيخاً.

يُلاحظ أن الشاعر يوظّف المحسنات، في جميع أبياته عن قصد ووعي. وهذا الميل

الشديد إلى العناية بالشكل واللفظ، على ترك الاهتمام بالمعنى أحياناً، جلب عليه

انتقادات من بعض النقاد، الذين رأوا أنه يُهمل عمق الفكرة ومضمونها، عندما يفضّل

الزخرف اللفظي. وهذه الانتقادات ليست خاصة به بل بمعظم الشعراء في العصر

المملوكي كابن الوردي والصفدي وابن نباتة.

في ضوء ما سبق، يتضح أن المدائح النبوية في العصر المملوكي كانت فضاء شعرياً واسعاً

للتعبير عن حب صادق والمشاطرة بتجربة صوفية وإبراز موهبتهم في مجال الأدب.

وهكذا أصبحت شعراً يجمع بين الإحساس الصادق والفن الرفيع، يُظهر محبة النبي ﷺ

ويعبر عن روح العصر.

## الفصل الثالث: محمد بن سعيد البوصيري: حياته وأعماله

## حياة الشاعر

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حمّاد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال البوصيري. اتفق على اسمي أبيه وجده الأوّل جميعاً من ترجموا له، والجزء الباقي اختلف فيه المقرّبي وابن حجر الهيتمي. وجميع المصادر تصرّح بأنّ نسبه ينتهي إلى قبيلة صنهاجة من القبائل المغربية، وقد كان الشاعر واعياً لهذا الانتماء ومعبّراً عنه حيث قال في إحدى قصائده:

"فقلّ لنا: من ذا الأديب الذي زاد به حبّي ووسواسي؟  
إن كان مثلي مغربياً فما في صحبة الأجناس من باس  
إنّ مثلي عنده اليوم كالصّخرّة عند الجبل الرّاسي  
وإن يكذبّ نسبي جنّته بجبّي الصوف ودقّاسي"<sup>٥٦</sup>.

ولد الشاعر بقرية دلّاص من قرى بني سويف من صعيد مصر، وهي موضع أمّه على ماصرّح به بعض المترجمين ونشأ ببوصير إحدى قرى مديرية نفس بني سويف. وكان الشاعر قد نحت لنفسه لقب الدلاصيري، نسبة إلى هتين القريتين، لكنّه لم يشتهر به كاشتهاره بالبوصيري. وسنة ولادته قد اختلف فيها كما اختلف في تحديد نسبه الكامل، ومن الروايات فيها ٦٠٦هـ، ٦٠٧هـ، ٦٠٨هـ، ٦١٠هـ.

لم تكن المعلومات حول مراحل حياته الأولى متاحة بكلّ تفاصيلها. ولهذا سلك محقق ديوانه محمد سيد كيلاني سبيل الاجتهاد بالافتراض تارة، وبالقياس والاستنتاج تارة

<sup>٥٦</sup>دقّاس كلمة أمازيغية تستخدم في الدارجة المغربية بمعنى القميص. ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١، ص: ١٢٦

أخرى. فقال: "يمكن القول أنه بدأ حياته الدراسية كما كان يبدأها معاصروه، وذلك بحفظ القرآن، ثم جاء إلى القاهرة، والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر، حيث درس العلوم الدينية، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب، وجانبا من التاريخ الإسلامي، وبخاصة السيرة النبوية. وربما يكون قد درس في مساجد أخرى غير مسجد الشيخ عبد الظاهر"<sup>٥٧</sup>. وتلمذ البوصيري على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه كثير من العلماء المشهورين مثل أبي حيان محمّد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، وأبي الفتح محمّد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي ثمّ المصري المعروف بابن سيّد الناس، والعزّ بن جماعة. وكان مجيدا في الخط، وقد أخذ أصول هذا الفنّ وتعلّم قواعده على يد إبراهيم بن أبي عبد الله المصري، وقد أخذ عنه هذا العلم الآخرون البالغ عددهم ألف طالب في كلّ أسبوع.

وكذلك لا يُفهم تاريخ مناضلته ومقاومته إلا من خلال قصائده، منها قصيدته المعنونة بـ'المُخرج والمردود على النصارى واليهود'، وهي قصيدة طويلة تتضمّن تعليقات نثرية بعد كل بضعة أبيات، يظهر من القصيدة أن البوصيري كان على علم ودراية دقيقة بالكتب الدينية السماوية من التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم. ويبدو أنّه اتجه إلى هذه الوجهة بسبب الحفاظ على دين الإسلام وكتابه المقدس، وعلى تعاليم نبيّه الكريم ﷺ، عندما كانت تشنّ الحملات والحروب الصليبية على الإسلام والمسلمين من الداخل والخارج. ويقول الشاعر في تعليقه: "لما رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينكرونه من

---

<sup>٥٧</sup> نفس المصدر، ص: ٦.

بعث النبي ﷺ، وفيها القول بخلاف ما يدعونه من ألوهية المسيح، ومن صلبه، وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود، وما لا يخفى، تعرضتُ في هذه القصيدة إلى ذكر ما سهل نظمه من ذلك، وأردت أن أورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها ولا بترتيبها"<sup>٥٨</sup>.

البوصيري في أبياته مناقش كلاميٍّ حادٍّ، يريد به البحث عن حقيقة ما بين الكتب السماوية، ومجادلة أعداء الدين في عصره، وإبطال معتقداتهم، وردّ هجوماتهم ضد الإسلام بأدلة عقلية ونصية. والحقيقة أن القارئ لهذه القصيدة، والردود والتعليقات التي أضافها البوصيري إلى قصيدته ضد ادعاءات أعداء الإسلام وعقائدهم، سيقنع بقدرته الكلامية، وبكفاءته في إفحام الخصم بالحجة والبرهان. ولعل هذا ما جعل ابن حجر الهيثمي، يقول عنه: "كان من عجائب الله في النثر والنظم"<sup>٥٩</sup>.

وكان البوصيري رجلاً متديناً تزوّد من مبادئ الصوفية، ويبدو أن كان لديه اهتمام خاصّ بشيخ طريقة من طرائق التصوّف أبي الحسن الشاذلي وتلميذه أبي العباس المرسي<sup>٦٠</sup>. فقد ظل الشاعر محبّاً ومتبعاً لهما ولمنجهما في حياتهما، ومادحا لهما بعد موتهما. وله قصيدتان فيهما مطلع الأولى:

"كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ      بَغْضَاءَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرْدِ"<sup>٦١</sup>

<sup>٥٨</sup> ديوان البوصيري، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١، ص: ١٢٨.

<sup>٥٩</sup> ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن محمّد بن علي الهيثمي، المنح المكية في شرح الهمزية، دار المنهاج، بيروت - ٢٠٠٥م، ط: ٢، ص: ٦٠ أبو الحسن الشاذلي (٥٧١ - ٦٥٦هـ) هو واحد من أبرز أقطاب الصوفية، ولد في المغرب. وتلميذه أبو العباس المرسي (٦١٦ - ٦٨٦هـ) - من مواليد الأندلس، التقى بشيخه بتونس.

<sup>٦١</sup> ديوان البوصيري، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١، ص: ٦٩.

ومطلع الثانية:

"أَمَّا المحبةُ فهي بذل نفوس فتَنَعَّيْ يا مُهْجَتِي بالبُوسِ"<sup>٦٢</sup>.

يلاحظ المترجمون أن ارتباط البوصيري بهذه الطريقة يعود لسببين: أولهما أن الشاذلي ينتهي نسبه إلى الرسول ﷺ، وحب الشاعر له من حبه للنبي الكريم وآله، أما السبب الثاني فيرجع لطبيعة الطريقة الشاذلية ومبادئها، إذ هي طريقة معتدلة لا تدعو إلى مقاطعة الدنيا وسبل عيشها، بل هي دعوة إصلاحية تؤمن بالجهاد ومحاربة الفساد. وكان الشاعر على ما يقتضيه طريقته مصلحاً حياً في عصره، ولهذا واجه عدة مضايقات واضطهادات بكل ما في الكلمة من معنى.

وقد تقلّب البوصيري في العديد من المناصب في القاهرة والأقاليم الأخرى، فعمل في شبابه في صناعة الكتابة، كما تولى إدارة مديرية الشرقية مدة قليلة، وفي الوقت نفسه كان قلبه قد ضاق بالمستفيدين منه بعد أن ظهرت منهم أخلاق سيئة ومساوئ غير مسموحة بها، حتى إنه نظم فيهم عدداً من الأبيات يهجوهم ويذكر عيوبهم فيها، منها قصيدته النونية التي مطلعها:

"فقدت طوائف المستخدمين فلم أر فيهم رجلاً أميناً"<sup>٦٣</sup>.

صَبَّ الشاعر غضبه على الجميع بغضّ النظر عن عقائدهم ومذاهبهم، فلم ينج من هجائه أحد، وصوّر في سطره النزاع والصراع الذي يمزق المصريين ويشتت شملهم،

<sup>٦٢</sup> ابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد بن عبد الكريم، *لطائف المنن*، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة - ٢٠٠٦م، ط: ٣، ص: ١٨٤.

<sup>٦٣</sup> وفي بعض المطبوعات 'نقدت' بدل 'فقدت'، *فوات الوفيات*، الكتبي، محمد بن شاکر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - ١٩٧٤م، ط: ١، ج: ٣، ص: ٣٦٢.

"فهو يذكر أن الموظفين كانوا يسرقون الغلال، وأنه لولا ذلك ما لبسوا الحرير، ولا شربوا الخمر، وأن من الكتاب طائفة تنسكت وعُدت من الزهاد مع أنها تملأ بطونها بالسحت، وتأكل مال اليتيم، ويذكر أن القضاة خانوا الأمانة، وبرروا خيانتهم بتأويل القرآن والحديث، ويذكر أن المسلمين والأقباط كانوا مختلفين، فكان المسلمون يقولون: لنا بمصر حقوق، ونحن أولى الآخذين، وكان القبط يقولون: نحن ملوك مصر، ومن سوانا هم الغاصبون، وكان اليهود يستحلون مال الطوائف أجمعين"<sup>٦٤</sup> هيّج ذلك العداوة عليه من المستخدمين فسعوا ضدّه بالدسائس والفتن والوشايات، فوقع في نفسه الملل تجاه الوظائف والموظفين، واستقال من جميع الوظائف الحكومية. وتوفّي الشاعر البوصيري عام ستمائة وستة أو سبعة وتسعين من الهجرة على ما ذكره ابن حجر الهيثمي نقلا عن المقرئ. وضريح البوصيري على القرب من ضريح شيخه أبي العباس المرسي مشهور بالإسكندرية، يتصل بمسجد كبير تدرس به العلوم الدينية.

### المدائح النبوية للبوصيري

خلف البوصيري عددا وفيرا من الأشعار، قام محمد سيد كيلاني، الذي تم ذكره سابقاً، بجمعها في ديوان. وكان اهتمام الشاعر الكبير قرص القصائد في النبي ﷺ. وله العديد من القصائد التي ألفت في هذا الغرض النبيل، منها ما كتبه قبل أن يتوجه إلى الحج، ومن أبرز هذه القصائد القصيدة التي ألفها لمعارضة كعب بن زهير، وأيضا في ردّه على أهل الكتاب. واختتم هذه القصائد بتعبير عن شوقه الشديد لزيارته.

<sup>٦٤</sup> مبارك، د. زكي، الموازنة بين الشعراء، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة - ٢٠١١م، ص: ١٦٦.

ولديه أيضا قصائد ألفها أثناء رحلته لأداء الحج، وقام بتأليف بعض القصائد أمام الضريح النبوي في المدينة المنورة، وكتب قصائد أخرى بعد أداء الفريضة. وبعدها عاد إلى مصر، قام بتأليف أشهر مدائحه التي أبدعها. وهما قصيدتان همزيتة التي سماها 'أم القرى في مدح خير الورى'، والبردة التي دعاها 'الكواكب الدرية في مدح خير البرية'.

فمجموع مدائحه النبوية أربع عشرة قصيدة بالطريقة التالية:

مطلع القصيدة	وزنها	عدد أبياتها	
كيف ترقى رقيك الأنبياء	الخفيف	456	1
إلى متى أنت باللذات مشغول	البسيط	204	2
جاء المسيح من الإله رسولا	الكامل	183	3
أمن تذكر جيران بذي سلم	البسيط	160	4
وافاك بالذنب العظيم المذنب	الكامل	115	5
بمدح المصطفى تحيي القلوب	الوافر	107	6
أزمعوا البين وشدوا الركابا	المديد	98	7
إلهي على كلّ الأمور لك الحمد	الطويل	98	8
سارت العيسُ يرددن الحنيننا <sup>65</sup>	الرمل	60	9
أم مدائح لي فيك أم تسبيح؟	الكامل	58	10
يا ربّ صلّ على المختار من مضر	البسيط	39	11
محمد أشرف الأعراب والعجم	البسيط	16	12
مدح النبي أمان الخائف الوجل	البسيط	10	13
الصبح بدا من طلعه	المتدارك	8	14

<sup>65</sup> وفي نسخة الديوان الأخرى: سارت العيسُ يُرَجِّعُن الحنيننا.

هذه مدائح البوصيري النبوية المعثور عليها، أكثرها بيتا همزيتها النبوية التي عني بها هذا البحث.

في غضون أشعاره الرائعة، تتصدّر قصيدته الشهيرة 'البردة'. وعلى الرغم من أنها جاءت بعد "بانة سعاد" وغيرها من مدائح الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- بمرور أكثر من ستة قرون، إلا أن هذه القصيدة تعتبر بلا منازع أفضل مدائح الرسول ﷺ، بسعة شهرته وبأسلوبه الأدبي، نجح الشاعر في تصوير فضائل النبي وسماته العظيمة بشكل يلامس أعماق القلوب وينثر السلام والمحبة. في هذا العمل الرائع، اجتمعت قوة الموهبة الشعرية وعمق المحبة الصادقة. وبفضل هذا التوازن الفريد، حققت القصيدة هذا النجاح الكبير والشهرة الواسعة في العالم الإسلامي. وهذا ما دفع أحمد شوقي إلى قول:

"المادحون وأرباب الهوى تَبَعُ لصاحب البردة الفيحاء ذي القَدَمِ

مديحه فيك حُبٌّ خالصٌ وهوى وصادق الحُبِّ يُملي صادق الكَلِمِ"<sup>٦٦</sup>.

تعتبر "البردة" نموذجا فذا من الشعر النبوي الذي قدم الإلهام والتأثير العميق في الأدب الإسلامي. قام شعراء المديح النبوي باتباع هذه القصيدة الرائعة واستلهموا منها لنسج قصائدهم. لذلك، أصبحت هذه القصيدة دافعا قويا ألهم الشعراء في زمانها وما تلاه للإكثار من نظم المدائح النبوية. ولم تكن هذه التشجيعات محصورة على شعراء المديح فحسب، بل أصبحت أيضا مثالا يحتذى به لأصحاب البديعيات، وهي فن شعري مميز في المدائح النبوية خلال العصر المملوكي، حيث نظم الشعراء قصائد متعددة على بحر

<sup>٦٦</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٢٣٩.

البيسط، ملتزمين بروي الميم المكسورة كما التزم به البوصيري في قصيدة البردة. لم تكن هذه القصائد مجرد مدائح تقليدية، بل اتسمت بإبراز فنون البديع المختلفة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك قصيدة 'نظم البديع في مدح خير شفيح' لجلال الدين السيوطي (ت. ٩١١هـ) و'تلميح البديع بمدح الشفيح' لشهاب الدين الحميدي (ت. ١٠٠٥هـ)،

ومن خلال ملاحظة المعطيات المطروحة يمكن الوقوف على أن مدائح البوصيري تنوع من حيث الطول، حيث توجد قصائد مطوّلة تصل إلى أربعمئة وستة وخمسين بيتا، وهي من المدائح التي تتسم بالتفصيل في المعاني والصور البلاغية، وهي تمنح الشاعر مجالا واسعا للتعبير عن إعجابه بالنبي الكريم وفضائله. في المقابل، توجد قصائد قصيرة جدا مثل 'الصبح بدا من طلعه' التي لا تتجاوز ثمانية أبيات، وتقتصر على إبراز فكرة محددة بشكل مكثف ومباشر. وبين هذين الطرفين، عدد من القصائد المتوسطة الطول، مثل 'جاء المسيح من الإله رسولا' التي تتكون من مائة وثلاثة وثمانين بيتا، مما يدل على أن البوصيري استخدم أساليب متعددة في المديح، تتراوح بين الإيجاز والتكثيف حسب السياق والغرض الشعري.

أما من حيث الأوزان، فقد وظّف البوصيري البحر البسيط أكثر من غيره، حيث استعمله في خمس قصائد، وهو بحر يتميز بإيقاع سلس يناسب أسلوب القصائد التي تتخذ للإنشاد والتلحين في المحافل الدينية. وإلى جانب ذلك، ظهر في شعره البحور الأخرى من الكامل والوافر والطويل والمديد والرمل والمتدارك والخفيف، مما يكشف عن قدرته على تطويع مختلف الأوزان لخدمة أغراضه الشعرية.

وعند النظر إلى الاتجاه الفني والموضوعي في مدائح البوصيري، يظهر أنه لم يقتصر على مجرد الثناء المباشر، بل وسَّع نطاق المدائح حيث يشمل التأمل في عظمة النبي عليه الصلاة والسلام ومكانته بين الأنبياء، بالإضافة إلى الدعوة إلى التوبة والزهد، كما يتجلى في بعض قصائده ذات الطابع الوعظي. كذلك، يوجد في بعض مدائحه أسلوب الاستغاثة والدعاء لله، وهو يعكس الجانب الروحاني العميق في شعره. ويبدو أن البوصيري استفاد من التقليد الشعري العربي في بناء قصائده، حيث استخدم أحيانا الأسلوب التقليدي في المقدمة ثم ينتقل إلى المديح، بينما يلتزم بالشروع المباشر في الموضوع في أكثر قصائده.

النقطة التي يجب تأكيدها هي أن البوصيري استخدم مدائحه النبوية كأداة للردّ على الشبهات التي انتشرت بشكل كبير في عصره. كان من الطبيعي أن يكون هذا الشاعر، الذي كان لديه اهتمام بالدين والوطن، مشغولا بالرد على التحديات التي واجهها المسلمون نتيجة للهجمات الصليبية والتتارية، والتي كانت متعددة الأبعاد، سواء على الصعيدين العسكري والاجتماعي والثقافي.

### مدح البوصيري لذوي الجاه والسلطان

وكان للبوصيري في طور من أطوار حياته علاقة صميمية بذوي الجاه والسلطان، وله ستّ عشرة قصيدة كلها قيلت في ثلاث فئات من ذوي الجاه والسلطان- الملوك، والوزراء، والأمراء أو الولاة. د. محمّد فتح الله مصباح صنّف هذه القصائد على الشكل الآتي:

١. الملك المنصور قلاوون (ت ٦٨٩م) - المدح بمناسبة بنائه للمارستان<sup>٦٧</sup> المنصوري الكبير ومدرسة الحديث سنة ٦٨٤هـ.
٢. سلطان مصر والشام - رسالة وجهها الشاعر إلى الملك يشكو فيها عامل أسوان والمستخدمين من الأقباط.
٣. الملك الصالح - رسالة وجهها إلى الملك على لسان مسجد الشيخ عبد الظاهر يشكو فيه حرمانه من إعطية الملك.
٤. صاحب زين الدين أحمد - يمدحه ويعتذر له عن غيابه عنه.
٥. وزير لم يذكر اسمه - رسالة إلى الوزير يشكو فيها خدام الدولة من قضاة وأقباط ونواب ونظار.
٦. صاحب شمس الدين عيسى - يمدح الوزير ويعرض بالمستخدمين من النصارى.
٧. صاحب بهاء الدين علي بن محمد - يمدح الوزير في الجزء الأول ويستغيثه في الجزء الثاني.
٨. وزير لم يفصح عن اسمه - يمدح الوزير ويشكو إليه سوء حاله.
٩. صاحب زين الدين أحمد - يمدح الوزير ويبرر عزله من الوزارة وزهده فيها.
١٠. صاحب بهاء الدين علي بن محمد - يمدح الوزير ويشكو إليه سوء حاله.
١١. صاحب زين الدين يعقوب - يمدح الوزير.

---

<sup>٦٧</sup> مارستان بمعنى المستشفى.

١٢. الأمير عزّ الدين أيبك - يمدحه ويعزّيه في شمس الدين معرّضا بالمستخدمين.

١٣. الأمير شمس الدين - يمدحه ويهنّئه بمنصبه، ويعرّض بالمستخدمين.

١٤. أمير لم يذكر اسمه - يمدحه ويستعفيه من الاشتغال بالكتابة والحسبة.

١٥. الوالي فخر الدين عثمان - يمدحه ويهنّئه بمقدمه، ثمّ يعرّض بالمستخدمين من

النصارى.

١٦. الأمير سنجر الشجاعي - يمدحه ويشيد ببنائه للمدرسة والمارستان

المنصوريين<sup>٦٨</sup>.

على الرغم من غزارة إنتاج البوصيري الشعري، فإن قصائده التي نظمها في مدح الوزراء والأمرء لم تلقَ اهتماما يُذكر، إذ افقدت حرارة العاطفة وصدق الإحساس، حيث كان ينظمها بدافع الحاجة إلى المال، وليس تعبيراً عن مشاعره الحقيقية، فصار مجرد صناعة شعرية ليس لها التأثير العميق في القارئ. وكذلك استعمل الشاعر المحسنات البديعية في مدائح النبوية، وأودعها معاني دقيقة أكثر ممّا في نتائجه الشعرية الأخرى، بالإضافة إلى شعبية كبيرة لهذا الفنّ في ذلك العصر، حتى استطاع أن يوصل الشاعر قصيدة المديح النبوي إلى نهاية نضجها.

<sup>٦٨</sup>فتح الله مصباح، د. محمّد، بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠١١م، ص: ٤٩-٥١.

## الفصل الرابع: قصيدة الهمزية للبوصيري

الهمزية النبوية، والمعروفة أحياناً باسم المهموزة، هي قصيدة عظيمة نظمها محمد بن سعيد البوصيري في مدح النبي ﷺ. تُعتبر هذه القصيدة واحدة من أعظم الأعمال الشعرية التي ألفها الشاعر، حيث تجمع أكبر عدد من الأبيات وتعبّر عن أعظم المعاني في النبي الكريم، وتُعد من أبرز الأعمال التي أنتجها في هذا السياق.

تتميّز القصيدة بحسن الديباجة وفخامة المعنى ومثانة التركيب والصياغة البديعية والصور الفنية التي كلّل الشاعر بها القصيدة كما قال سليمان الجمل في مقدّمة شرح الهمزية: "من أبلغ ما مُدِحَ صلى الله عليه وآله به من النظم الرائع البديع، وأحسن ما كشف عنه عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع ما صاغه صوغ التبر الأحمر، ونظمه نظم الدرّ والجوهر، الشيخ الإمام العارف الكامل الهمام، المتفنّن المحقّق، البليغ الأديب المدقّق، إمام الشعراء وأشعر العلماء، وأبلغ الفصحاء، وأفصح الحكماء، الشيخ شرف الدين، أبو عبد الله محمّد بن سعيد بن حمّاد بن محسن الصنهاجيّ، من قصيدته

الهمزية المشهورة العذبة الألفاظ الجزلة المعاني النجبية الأوضاع العديمة النظير  
البديعة التحرير".

الهمزية النبوية سمّاها البوصيري ب'أمّ القرى في مدح خير الورى'، لأنّ هذه القصيدة  
حوت أكثر المدائح النبوية على ما ذكر في كشف الظنون<sup>٦٩</sup>، وأنها قرّضت بعد ما حجّ وزار  
الناظم القبر الشريف كما ذكر في الفصل السابق، وتشتمل القصيدة المكتوبة بوزن  
الخفيف على أربع مائة وستة وخمسين بيتاً، وناقش النقاد والباحثون المهتمّون بهذه  
القصيدة حول طولها كمدايح الطوال الأخرى فعلّوه بأنّ الإطالة في تعداد شمائل  
الرسول والتغني بحبه، أسلوب التجأ إليه البوصيري ليطول وقوفه أمام حضرة الحبيب  
سواء بواسطة الرحلة إليه عبر الذاكرة والمخيلة، أم بواسطة الرحلة الواقعية عندما  
ذهب الشاعر إلى الحج، حتى يرتوي ويستنزف لحظة الوقوف عن آخرها، وهذا الأسلوب  
نفسه هو الذي استعمله موسى عليه السلام مع ربّه حين كلّمه وسأله: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ  
يَا مُوسَى"<sup>٧٠</sup>، فأجاب: "هِيَ عَصَاي"<sup>٧١</sup>. وكان مما ينبغي أن ينتهي الخطاب هنا، لأنّه  
يفي بالمراد. لكن ما ترك موسى عليه السلام فرصة الكلام مع الرب عز وجل فقال: "هِيَ  
عَصَاي، أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى"<sup>٧٢</sup>. وقد أفصح الشاعر في  
آخر الهمزية عن غزارة محبّته للحضرة المقدّسة وسبب إطالة القصيدة فقال:

<sup>٦٩</sup> حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد - ١٩٤١م، ج: ٢، ص:

١٣٤٩.

<sup>٧٠</sup> سورة طه، الآية: ١٧.

<sup>٧١</sup> سورة طه، الآية: ١٨.

<sup>٧٢</sup> سورة طه، الآية: ١٨.

"لم أُطلُ في تعداد مدحك نطقي ومرادي بذلك استقصاءً

غير أني ظمأنُ وجدٍ ومالي بقليل من الورود ارتواءً"<sup>٧٣</sup>.

في هذه القصيدة شرع الشاعر في الموضوع مباشرة بدون مقدمة تقليدية، فقال:

"كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك في علاك وقدحا ل سنا منك دوئهم وسناء

إنما مثلوا صفاتك للننا س كما مثل النجوم الماء

أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء"<sup>٧٤</sup>.

وهذه الأبيات تبرز بوضوح مكانة النبي من خلال بنية فنية مؤثرة وأسلوب راقٍ وتصوير ملائم لجلال الموقف. تظهر الاستفهامات التعجبية التي تتخلل هذه القصيدة منذ بدايتها، وتعبّر عن قوة إعجاب الشاعر بحبيبه عليه الصلاة والسلام.

هذه النزعة ليست بارزة في الهمزية فقط بل في بعض مدائحه الأخرى كما هي ليست مختصة بالبوصيري بل الشاعر الأموي الكُميت هو أوّل من أقلع من البكاء على الدّمن وذكر المحبوبة ووصف الناقة. حاول بعض النقاد أن يثبت أن الشاعر تمرّد على الاستهلال الطللي بعد مرحلته الأولى، ولكن لم يوجد في الحقيقة ما يدلّ على أنه التزم بنمط واحد في حقبة وانتقل منه إلى نمط آخر في حقبة. والأمر الذي تجدر الإشارة إليه أن التحقيب في حياة البوصيري الأدبية احتماليّ قام به أوّل محقّق ديوانه محمّد سيد

<sup>٧٣</sup> ديوان البوصيري، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١،

ص: ٢٨.

<sup>٧٤</sup> نفس المصدر، ص: ٢.

كيلاني على ضوء المعلومات التاريخية القليلة أحيانا وعلى مفهوم النصوص الشعرية أحيانا، وذلك أنه وزّع قصائد البوصيري على مرحلتين: مرحلة ما قبل الحجّ ومرحلة ما بعد الحجّ. لم يبتعد الشاعر عن المقدمات التقليدية في كلتا المرحلتين، مع أنه قال:

"مدحُ النبي أمانُ الخائفِ الوجِلِ فأمُدحُه مرتجلاً أو غير مرتجِلِ

ولا تُشَبِّبْ بأوطانٍ ولا دِمِينِ ولا تُعَرِّجْ على رُبْعٍ ولا طَلَلِ

وصِفْ جمالَ حبيبِ اللهِ منفرداً بوصفه فهو خير الوصف والغزل" <sup>٧٥</sup>.

ومن القصائد التي قرضها البوصيري بعد الحجّ ميميته الشهيرة التي استهلها بقوله:

"أمن تذكّر جيران بني سلم مزجتَ دمعاً جرى من مُقلّة بدم

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم" <sup>٧٦</sup>.

سار الشاعر في بداءة هذه القصيدة مسير الأقدمين حيث صاغ كثيراً من الأبيات الأولى في قالب المقدمات التقليدية، فالمقدمة الغزلية في قصائد البوصيري ليست مختصة بحقبة معينة.

ربما اقترض البوصيري هيكل هذه القصيدة واستلهم القافية الهمزية من صاحب المعلقة الحارث بن حلزة اليشكري البكري. ويبدو أنه قد أسهم بعدد من عناصر قصيدة الحارث في إنشاء قصيدته النبوية الطويلة. قصيدة الحارث تبدأ بـ:

"أذنتنا بينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

<sup>٧٥</sup> نفس المصدر، ص: ١٨٥.

<sup>٧٦</sup> نفس المصدر، ص: ١٩٠.

بعد عهد لها ببرقة شما ء فأدنى ديارها الخلصاء<sup>٧٧</sup>.

هذه القصيدة أيضا في وزن الخفيف. قدّم الشاعر هذه القصيدة خلال فترة خصومته مع الشاعر التغلبي عمرو بن كلثوم. استخدمها الشاعر كرد على معلقة عمرو بن كلثوم، التي كانت حاملة بالتهديد والتوعّد. في هذه القصيدة، قام الحارث بن حلزة بتغيير أسلوب شعري من الصخب والنزق الذي كان يستخدمه الجاهليون إلى محاولة للتأثير الفكري على القارئ. استخدم أسلوب الحوار في هذه القصيدة، وهو أمر كان نادراً ما يُستخدم في شعر الجاهليين.

ويظهر بوضوح استقاء البوصيري من قصيدة المعلقة وتفاعله معها وشدة إعجابه بها بسبب الطابع المتوازن والحجاج المنطقي الذي استخدمه في الرد على ادعاءات الخصوم. قام بذلك من خلال مجموعة من الأسئلة الإنكارية التي تأتّر في القارئ. يقول صاحب المعلقة:

"أعلينا جناح كندة أن يغ	نم غازيهم ومنا الجزاء
أم علينا جرى إياد كما ني	ط بجوز المحمل الأعباء
ليس منا المضربون ولا قي	س ولا جندل ولا الحداء
أم جنايا بني عتيق فإنا	منكم إن غدرتم برآء
وثمانون من تميم بأيدي	هم رماح صدورهن القضاء
تركوهم مُلحَّبين وآبوا	بنهاب يصم منها الحداء

<sup>٧٧</sup> الزُّرُوتِي، حسين بن أحمد بن حسين، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، بيروت- ٢٠٠٢م، ط: ١، ج: ١، ص: ٢٦٩.

أم علينا جرى حنيفة أم ما جمعت من محارب غبراء<sup>٧٨</sup>.

تأثر البوصيري بهذه الأبيات، واعتمد عليها في استخدام السخرية الهادئة من خلال أسلوب الاستفهام. ومن خلال تكرار كلمة 'أم' في سلسلة من الأبيات، يتضح هذا التأثير في حجاجه ضد أصحاب المعتقدات الأخرى، ومقاومة هجماتهم الخبيثة على نبي الإسلام بمناقشة عقائدهم وتفكيك حججهم.

"أأله مرَّكب ما سمعنا  
بإله لذاته أجزاء  
أفلكلٍ منهم نصيب من الملئ  
لِ فهلا تميَّز الأنصباء  
أتراهم لحاجة واضطرار  
خلطوها وما بغى الخلطاء  
أهو الراكب الحمار فيا عَجْ  
زَ إليه يمسه الإعياء  
أم جميع على الحمار لقد جَ  
لَ حمارٌ بجمعهم مَشَاءُ  
أم سواهم هو الإله فما نسُ  
بهُ عيسى إليه والانتماء  
أم أردتُم بها الصفاتِ فلمِ خُصْ  
صتُ ثلاثٌ بوصفه وتُناء  
أم هو ابنُ لله ما شاركته  
في معاني البنوة الأنبياء<sup>٧٩</sup>

أمَّا بالنسبة لمضمون قصيدة الهمزية فاحتوت على معلومات أكثر ممَّا حوته الميمية، فقد تضمَّنت ذكر الصفات والمعجزات والكمالات الخُلقيَّة والخُلقيَّة التي اتسم به النبي ﷺ وحوادث السيرة النبوية، كما جاء فيها ذكر آل الرسول ﷺ وصفاتهم وحوادث حياتهم بإيجاز، وهو مالم تحتو عليه الميمية قطّ. مشيدا بالقصيدة ومشيرا إلى

<sup>٧٨</sup> نفس المصدر، ص: ٢٨٤.

<sup>٧٩</sup> ديوان البوصيري، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١، ص: ١٥.

محتوياتها قال الحافظ ابن حجر الهيثمي: "لطلاوة نظمها، وحلاوة رسمها، وبلاغة جمعها، وبراعة صنعها، وامتلاء الخافقين بأنوار جمالها، وإدحاض دعاوي أهل الكتابين ببراہين جمالها، فهي - دونَ نظائرها - الآخذةُ بأزمةِ العُقُول، والجامعةُ بين المعقول والمنقول، والحاويةُ لأكثر المعجزات، والحاكيةُ للشمائل الكريمة"<sup>٨٠</sup>.

## موضوع القصيدة

انطوت قصيدة الهمزية على معاني مختلفة تتصل بالذات الشريفة، وهي كما تلي:

- استهلال يتضمّن مدح النبي ﷺ وولادته وذكر الحوادث التي وقعت بعدها (١-٢٧)
- مرحلة الرضاعة في أسرة حليلة السعدية وذكر شق الصدر وغيره من الوقائع التي جرت فيها (٢٨-٤٨)
- زواج الرسول الكريم من خديجة وتصوير العلاقة الوطيدة بينهما (٤٩-٥٦)
- الدعوة الإسلامية وحقيقة الدين الحنيف (٥٧-٦٥)
- عداوة قريش والهجرة إلى المدينة المنورة (٦٦-٧٢)
- الإسراء والمعراج والآيات التي شاهدها النبي ﷺ (٧٣-٨٦)
- إجابة سريعة لدعاء النبي ﷺ على خمسة نفر من أعدائه (٨٧-٩١)

<sup>٨٠</sup> ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الهيثمي، المنح المكية في شرح الهمزية، دار المنهاج، بيروت - ٢٠٠٥م، ط: ٢، ص: ٧١.

- نقض صحيفة الحصار في شعب أبي طالب والإشادة بمن قاموا به من قريش (١٠٦-٩٥)
- إخفاق قريش في محاولة الاغتيال تجاه النبي ﷺ وخسارة أبي جهل وغطرسة حمالة الحطب أم جميل (١١٤-١٠٧)
- نطق الشاة بعد أن سمّتها اليهودية للنبي ﷺ (١٢٧-١١٥)
- سرد أخلاق النبي ﷺ وشمائله البارزة من الرحمة والحزم والعزم والوقار وغيرها الكثير (١٤٥-١٢٨)
- دعاء النبي ﷺ للغيث بعد أن صعد على المنبر، وملامح وجهه الكريم وقبس من معجزاته (١٨٥-١٤٦)
- فضائل القرآن الكريم وهو أكبر المعجزات النبوية (١٩٨-١٨٦)
- مواقف سيئة ومفاهيم خاطئة لليهود والنصارى (٢١٧-١٩٩)
- الدعاوي الزائفة للنصارى واليهود من التثليث والبداء، وتسفيه نسبة بعض الصفات الموجودة في المخلوقات إلى الخالق (٢٥١-٢١٨)
- وقوع يهود المدينة في مصيدة المنافقين حيث حالف المنافقون اليهود على استأصال محمد وأصحابه في غزوة الأحزاب ثم خالفوهم (٢٦٢-٢٥٢)
- وبال سب النبي ﷺ (٢٦٨-٢٦٣)
- فتح مكة الأعظم وصفح النبي ﷺ عن أعدائه (٢٨١-٢٦٩)

- رحلة الشاعر إلى المدينة المنورة و ذكرُ مطيته والأماكن التي شاهدها ووصفُ  
المشاعر التي صار قلبه مُفعماً بها عندما كان في حضرة النبي ﷺ (٢٨٢-٣٣٠)
- مدح فاطمة الزهراء وريحانتها الحسن والحسين رضي الله عنهم والتعبيرُ عن  
حادثة كربلاء المأساوية (٣٣١-٣٥٤)
- مناقب أبي بكر وعمرَ وعثمان وعليّ رضوان الله عليهم أجمعين والتوسّل بالنبي  
ﷺ والصلاة والسلام عليه (٣٥٥-٤٥٦).

فقصيدة الهمزية تُصوّر جوانب مختلفة من حياة النبي ﷺ وتسيرُ مع الميمية كصنوين  
يغرسان المحبة والقيم الخالدة من صفحات السيرة في قلوب الناس إلا أن الأولى لم  
تترجّع على عرش النفوس كالآخرة، كما قال زكي مبارك من "أن الجماهير في مختلف  
الأقطار الاسلامية لم تحفظ قصيدة مطوّلة كما حُفظت البردة، فقد كانت ولا تزال من  
الأوراد: تقرأ في الصباح وتقرأ في المساء"<sup>٨١</sup>.

تتميّز الهمزية من سائر مدائح البوصيري على أنّها ترتبط بفترته ارتباطاً وثيقاً حيث تعبّر  
عن دعاوي أعداء المسلمين والمحتلين، والشبهات التي كانوا يرفعونها تجاه الأمة والردود  
عليها، لأنّ هناك صراعاتٍ ومحننا واجهها الشاعر وأقرانه خلال الفترة بصورة غزوات  
صليبية قادمة من الغرب، وهجمات التتار القادمة من الشرق.

أبيات البوصيري، وبشكل خاص تلك التي تصف رحلة الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ  
ومسجده، تتميز بالروحانية والصدق في التعبير. إنه ينقل تجربته بصدق، لا يمكن

<sup>٨١</sup> مبارك، د. زكي، الموازنة بين الشعراء، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة - ٢٠١١م، ص: ١٢٩.

فهّمه بشكل مميّز إلا من خلال تجربة شخصية قام بها. ففي تلك الأبيات، يصف لحظة وصوله بكل واقعية وعمق:

"أَيُّ نُورٍ وَأَيُّ نُورٍ شَهِدْنَا      يَوْمَ أَبَدْتِ لَنَا الْقَبَابَ قَبَاءَ

قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اصْطَبَارِي      فدموعي سيلٌ وصبري جُفَاءٌ"<sup>٨٢</sup>

بتعبير بسيط وجميل، يصف البوصيري لحظة التحية والسلام على رسول الله ﷺ:

"وَقَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ      مِنْ حَيْثُ يَسْمَعُ الْإِقْرَاءَ

وَذَهَلْنَا عِنْدَ الْلِقَاءِ وَكَمْ      أَذْهَلَ صَبًّا مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءٌ"<sup>٨٣</sup>

يتّضح صدق النية و التجربة بشكل كبير في أبياته الموجهة إلى النبي الكريم في مناجاته، ويرتل الشاعر أغاني الحب النبوي بكل عذوبة، ينادي الحبيب بأنه إغاثة للملهوفين، ويصف حالهم الضعيفة، ويطلب الحب والإرشاد منه، ويعبر عن حبه الصادق وتفانيه في ذكر النبي ﷺ، ويعتبره طبيبا يقدر على علاجه، فيقول:

"يَا نَبِيَّ الْهَدَىٰ إِغَاثَةَ مَلْهُو      فِي أَضْرَتِ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءِ

يَدْعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو      ءَ وَمَنْ لِي أَنْ تَصَدَّقَ الرَّغْبَاءِ

كَيْفَ يَصْهَدَا بِالذَّنْبِ قَلْبَ مَحَب      وَلَهُ ذِكْرُ الْجَمِيلِ جِلَاءِ

هَذِهِ عَلْتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي      لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءٌ"<sup>٨٤</sup>

<sup>٨٢</sup> ديوان البوصيري، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-١٩٥٥م، ط: ١،

ص: ٢٠٠.

<sup>٨٣</sup> نفس المصدر، ص: ٢١.

<sup>٨٤</sup> نفس المصدر، ص: ٢٧.

يرى د. محمد سعيد رمضان البوطي أن قصيدة الهمزية للبوصيري تفوق البردة في الرصانة والبلاغة، إذ تتميز بجزالة الأسلوب وعمق الشعور والتصوير الشعري، إلا أنها لم تحظَ بنفس الشهرة الواسعة التي نالتها البردة. والسبب في ذلك يعود إلى القصة المرتبطة بها، حيث يُروى أن البوصيري سُفي من مرضه بعد إنشادها<sup>٨٥</sup>.

## خدمات إبداعية للهمزية

كما امتازت الميميّة بعناية فائقة من أهل العلم والأدب والشعر؛ امتازت الهمزية بعناية العلماء إذ شرحوها وعلّقوا عليها وجارَوْها وعارَضُوها، وشروْحُها وحواشيها المعثور عليها هي الآتية:

١. المنح المكيّة في شرح الهمزيّة (أفضلُ القرى لقرّاء أمّ القرى) لأحمد بن حجر

الهيتمي المكيّ الشافعي (ت. ٩٧٣هـ)

٢. خير القرى في شرح أمّ القرى لمحمّد بن عبد المنعم بن محمّد المصري الشافعي

الشهير بالجوجري (ت. ٨٨٩هـ)

٣. العقود البكريّة في حلّ القصيدة الهمزيّة لمحمّد بن مصطفى بن كمال الدين

الصديقيّ البكريّ الدمشقي الحنفي (ت. ١١٩٦هـ)

٤. العيون الفخريّة في شرح الهمزيّة لقاسم بن محمد الحلبي، الحنفي (ت. ١١٦٩هـ)

<sup>٨٥</sup> البوطي، د. سعيد رمضان، الهمزية.. تلك الرائعة التي انشغل الناس عنها بالبردة، موقع نسيم الشام، ت.ن: ٢٠١٥/٢/٢٠م،

ت.ت: ٢٠٢٥/٢/١٤م. <https://naseemalsham.com/subjects/view/52197>

٥. الفرائد السنّية شرح الهمزّية لأحمد بن محمّد الخلوتي الصاوي الفقيه المالكي  
(ت. ١٢٤١هـ)

٦. الفيوضات الإلهية في شرح الهمزّية لأحمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني (ت.  
١٣٤٠هـ)

٧. كشف الرّموز الخفية بشرح العقُود الهمزّية لحسن بن علي بن منصور الفيومي  
المكيّ، زين العابدين (ت. ١١٧٦هـ)

٨. لمحّ الخريدة العزّية في شرح القصيدة الهمزّية لمصطفى بن كمال الدين  
أبي المعارف، الصديقيّ البكريّ، قطب الدين، الدمشقي الحنفيّ (ت. ١١٦٢هـ)

٩. لوامع أنوار الكوكب الدرّي في شرح همزّية الإمام البوصيري لمحمّد بن أحمد  
بنيس الحضرمي (ت. ١٢١٤هـ)

١٠. المنحّ الأحمديّة بتقريب معاني الهمزّية لمحمّد عليّ بن محمّد علّان بن إبراهيم  
الفاسي المكيّ الشافعي (ت. ١٠٥٧هـ)

١١. حاشية الفتوحات الأحمديّة بالمنحّ المحمّديّة على شرح ابن حجر للهمزّية، وهي  
لسليمان بن عمر بن منصور العجلي المصري الأزهري الشافعي المعروف بالجمّل  
(ت. ١٢٠٤هـ)

١٢. المواهب الإلهية على المنحّ المكيّة شرح الهمزّية لمحمد بن أحمد بن إسماعيل  
البغداددي (ت. ١٢٦٥هـ)

١٣. حاشية على شرح الهمزية لابن حجر: لعبد البر بن عبد القادر الفيومي المصري

الحنفي المفتي بالقدس (ت. ١٠١٧هـ)

١٤. الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري لابن عجيبة أبي العباس

أحمد بن محمد (ت. ١٢٢٤هـ)

١٥. حاشية على الهمزية لمحمود بن محمد بن عبد الرحيم شابه (ت. ١٣٠٨هـ).

أعجب الشعراء بالهمزية بقدر كبير، فكتبوا لها معارضات وتشطيرات وتخميمات

ومنها:

١. همزية الحرّ العامليّ لمحمد بن الحسن الحرّ العامليّ (ت. ١١٠٤هـ)

٢. همزية التميميّ لصالح بن درويش بن زيني التميميّ (ت. ١٢٦١هـ)

٣. همزية عبد الرحمن بن العباس الحسيني العراقي المالكيّ (ت. ١٣١٤هـ)

٤. المنح الوهبية في تخميس القصيدة الهمزية البوصيريّة للسيد عبد الوهاب

الخطيب (ت. ١٣٤٦هـ)

٥. نيل المراد في تشطير الهمزية وبانت سعاد لعبد القادر سعيد الرافعي الفاروقي

الطرابلسي (ت. ١٢٨٣هـ)

جهود العلماء والأدباء في خدمة الهمزية النبوية للبوصيري تُبرز مكانتها الأدبية وتميزها

الفريد. واستقبل الشاعر ثناء عالياً من قبل العلماء، مثل محمد بن عبد الباقي الزرقاني

الذي صرّح بأن رجلاً شاعراً بارعاً، مثل شرف الدين البوصيري، ليس هناك شك في أنه

كان يتمتع بقدره شاعرية قوية تمكنه من صياغة ما يشاء من قصائد راقية. وتجلّى هذا

الجانب الشعري من شخصيته بشكل واضح في قصيدته المعروفة بالهمزية، التي تتناول مدح أفضل الخلق، ﷺ.

فعلى ما يتبين من هذا التحليل، قصيدة الهمزية هي نص أدبي فريد يجمع بين الجمال الفني والعمق الروحي والتاريخي. لقد تمكّن البوصيري من توظيف المعاني الجديدة والأسلوب الفكري

كما تظهر من قراءة القصيدة ارتباطها بسياقها الزمني والاجتماعي، وتفاعلها مع القضايا الدينية والفكرية السائدة في عصر الشاعر، فتتأكد مكانتها في التراث الأدبي الإسلامي، وتزداد قيمتها في ساحتي العلم والأدب

## الباب الثالث

### المديح النبوي في أعمال أحمد شوقي

الفصل الأول	: التجربة الشعرية في عصر شوقي
الفصل الثاني	: المديح النبوي في عصر شوقي
الفصل الثالث	: أحمد شوقي: حياته وأعماله
الفصل الرابع	: الهمزية النبوية لأحمد شوقي

## الفصل الأول: التجربة الشعرية في عصر شوقي

### الانفتاح على الثقافة الغربية وتنوع المصادر الشعرية

وفقا للنقد الحديث، الشاعر الحقيقي هو من يدرك تجربته وينظمها بإحكام قبل الكتابة. وقد شبهها البعض بولادة الجنين أو صيد الغزال، حيث تتطلب الانتظار والترقب حتى تتحقق اللحظة الإبداعية. الشعر الصادق هو الذي يحمل إحساسا عميقا وجماليات لغوية، ويُعد عملا فنيا مبتكرا يجسد الحياة بطرق جديدة. إذا كانت القصيدة ثمرة تجربة صادقة، فإنها ستكون حيوية وجميلة، حتى لو كانت قليلة الأبيات. ووفقا للمفهوم الحديث للشعر، لا دور لطول القصيدة وصغرها في عظمتها وجماليتها. هذه التحولات الجذرية وقعت في الشعر العربي الحديث، بسبب احتكاك العرب بأوروبا. تأثر الشعر العربي بشكل كبير بالاحتلال والتفاعل المستمر مع أوروبا، مما أدى إلى تنوع مصادر التجربة وحدوث تغييرات هامة داخل هذا النوع من الأدب. لعب الأوروبيون دورا حاسما في غرس روح القومية بين العرب، كوسيلة لتنفيرهم من الأتراك العثمانيين، ونجحوا في تحقيق هذا الهدف. ومع ذلك، حدث شيء آخر لم يكونوا يتوقعونه. شهد العالم العربي طفرة وصحوة جديدة تتجلى في ميادين الفكر والأدب. وهذه الروح المجددة كانت أكثر وضوحا في قلوب شعراء مصر ولبنان والعراق، وهذا الوعي الجديد هو الذي قام بوضع أسس الشعر العربي الحديث. تتمثل ركائز هذا الشعر في الرغبة في تحقيق الحرية، والمبادرات الاجتماعية للإصلاح، والحماس للرد على تناقضات الحياة اليومية، ورفض الأعراف والقيود، والالتزام بالتراث السابق، والرغبة في إثراء وتجميل الكنوز

الأدبية. يشير إلى ثمرة الاختلاط بين العرب والأوروبيين الكاتب د. محمد عبد المنعم الخفاجي: "وكان لذلك صداه البعيد، وأثره القوي على الأدب فأخذ الأدب يتحرر من الضعف والمبالغة والكذب، ومن العيِّ واللُّكنة، ومن الصور الباهتة، والعواطف الزائفة، ومن كل ما يتنافى مع الفطرة والطبع والموهبة الأدبية الصادقة"<sup>١</sup>.

وفي عام ١٧٩٨ م، غزا نابليون بونابرت مصر في محاولة لتوسيع إمبراطوريته. أمضى ثلاث سنوات في مصر. قبل وصوله، كانت مصر تحت حكم الأتراك. في هذا الوقت، كانت أوروبا تتقدم بنمو ملحوظ في مجالي الأدب العلم. لكن الأتراك اعتمدوا أسلوباً قديماً في مجالي التعليم والمعرفة. وحتى لو كان هناك تعليم ديني، فإنه كان متاحاً فقط لقطاع محدود من السكان. وكذلك كانت اللغة التركية أكثر أهمية من اللغة العربية في تلك الأيام، والأكثر إثارة للدهشة هو أن التركية كانت وسيلة تعلم اللغة العربية حتى في الدول العربية. وقد أدى ذلك إلى الاختراق المفرط للكلمات التركية في اللغة. وليس من الخطأ وصف هذه الفترة بأنها العقد الأكثر تراجعاً في الأدب العربي نظراً إلى هذا الوضع الرديء. في ذلك الوقت كان الشعراء العرب يكتبون الشعر باللغة التركية.

وكان تأثير اللغتين الإنجليزية والفرنسية واضحاً لأول مرة في سوريا ولبنان. وهي المناطق التي كان يعيش فيها المسيحيون. وكان للمسيحيين أيضاً علاقة روحية بهذه اللغات. ومنهم من جاء إلى مصر خوفاً من الحكام العثمانيين. وبعد مصر وصلت سوريا ولبنان إلى مستوى المعرفة في الوطن العربي، لأن أصل حركة المجمع العلمي كان هناك، وتم

---

<sup>١</sup> الخفاجي، د. محمد عبد المنعم، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت - ١٩٩٢م، ج: ١، ط: ١، ص: ١٦.

إنشاء كليات الطب وكليات الحقوق والكليات التقنية في عهد الملك إسماعيل. كل هذه كانت خطوات صبيانية نحو التقدم.

كان غزو نابليون نعمة في جانب، ليست لمصر فقط بل للعالم العربي بأكمله، لأن العرب قد استيقظ. وكان هذا الإحياء هو الذي مهد الطريق لجميع التطورات اللاحقة في النثر والشعر والصحافة وغيرها من المجالات. وفي هذا الوقت أيضاً بدأ العرب بالتفكير في بعض مجموعاتهم الفنية القديمة. لقد تقدموا لصقلها وتوحيدها. أصبح إحياء الأدب الكلاسيكي أحد أهدافهم الرئيسية. وقد صدرت في هذه الفترة العديد من الكتب الأصلية باللغة العربية مثل المقدمة والأغاني وغيرها بطريقة جميلة. وفي وقت لاحق، وتحت تأثير الغرب، وصلت هذه الموجة من الإثارة إلى أقصى إمكاناتها. وقد استوعب العرب بقدر الإمكان الأدب الأوروبي. وهذه هي الخلفية التاريخية التي بدأ عليها الأدب العربي الحديث ينشر جناحيه من التقدم.

وفي إطار النهضة التي شهدها الأدب العربي عموماً، حظي الشعر أيضاً باهتمام كبير. كان هناك فئتان رئيسيتان من الشعراء. قامت إحدى المجموعات بتقليد الغرب بشكل كبير، بينما قامت مجموعة أخرى بكتابة الشعر اقتداءً بالكلاسيكيات العربية كنماذج. كانت هاتان الموجتان الفكريتان ظاهرتين يمكن العثور عليهما في أي مكان في الأدب العربي الحديث. وكان من بين المحافظين على التراث العربي والمقتدين به محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري. لكنهم لم يكونوا محافظين بالمعنى السلبي، بل سُموا بذلك لأنهم كانوا يميلون إلى الحفاظ على النماذج العربية

القديمة، خاصة في العصر العباسي. تكشف قصائدهم عن استجابتهم لروح العصر وفهمهم لدور الفن في المجتمع. وعلى الرغم من أنهم كانوا مقلدين، إلا أن تقليدهم لم يكن أعمى. وصحيح أنهم اعتمدوا الأساليب العباسية. وفي الوقت نفسه تمتزج الحداثة والابتكار في أعمالهم الشعرية. أعاد أحمد شوقي إحياء الثقافة المصرية القديمة أو الثقافة الفرعونية من خلال شعره، كما سعى حافظ إلى إحياء الشعر الكلاسيكي بقدر المستطاع. قصائده في حب الوطن والوعي الاجتماعي تجعله فريداً بين أقرانه. وأعطى البارودي وصبري أهمية أكبر لمشاكل الحياة في الشعر أكثر من غيرهما.

ومن هذا يتبين أن الشعراء العرب في العصر الحديث الذين نظروا إلى شعر العصر العباسي كنموذج لم يكونوا مجرد مقلدين. وبدلاً من ذلك، كانت المواضيع والأفكار الجديدة التي طرحها الحداثة جزءاً من قصائدهم. وقد عبر البارودي في مقدمة ديوانه عن موقف جديد تجاه وظيفة الشعر والموضوع الذي يعتمد عليه. ولهذا أطلق عليهم بعض الناقدين لقب 'المعتدلين' بدلاً من المقلدين.

فالتجربة الشعرية عند الشعراء المحدثين ليست مقتصرة على مصادرها القديمة، بل كانت ممتدة إلى معانٍ متنوعة مثل الحرية والاعتماد الذاتي والثقة بالنفس، كحافظ والبارودي حيث كتبوا كثيراً من القصائد السياسية. وكان لهذه القصائد دور ليس بالقليل في إزالة الوضع المأساوي الذي ابتلي به الوطن العربي برمته. وقد تأثر هؤلاء الشعراء بشكل كبير بالفكر الإسلامي والأفكار التي طرحها قادة عصر النهضة.

ومن السمات المهمة التي تُميز هؤلاء الشعراء عن غيرهم هو الوعي بالحياة الملموسة الموجود في قصائدهم. لقد اتخذوا الشعر جزء من الحياة العامة عن طريق التخلص من العديد من الأعراف والاتفاقيات والشروط التي كانت تعتبر ضرورية على نطاق واسع حتى ذلك الحين.

ومع ذلك ما كان في قصائدهم إلا تأثير محدود للحركات الفنية الغربية، كما لاحظ طه حسين حينما قال: "وكما كان علم البارودي بالأدب محدودًا، لا يتجاوز الأدب القديم يحفظه، وقلما يفقه عميقه، فقد كان علم حافظ محدودًا كذلك؛ كان حافظ يلم بالفرنسية، ولكنه لم يكن يتقنها لا نطقًا ولا فهمًا. كان شوقي في أول أمره مثقفًا يحب الثقافة، وديشتد في طلبها والتزيد منها، ولكنه كان كغيره من الشبان المصريين يسرون في الدرس والتحصيل على غير هدى، ولا سيما حين يدرسون في أوروبا، لا يقرءون من الأدب الفرنسي مثلًا إلا ما لا بد للرجل المثقف من قراءته"<sup>٢</sup>.

سيطر هؤلاء الشعراء الكلاسيكيون الجدد على المشهد الأدبي منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر واستمروا في ذلك طوال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين على الأقل.

والفئة الثانية هي شعراء التجديد. وكان الحماس للابتكار هو السمة المميزة لشعرهم. ولم يأخذوا في الاعتبار أيًا من العناصر التي تم الحكم عليها عمومًا بأنها ضرورية في الأدب الكلاسيكي، ويؤمنون بأن القيم والحركات الفنية الأوروبية هي الحقيقة المطلقة. وهذه

---

<sup>٢</sup> حسين، طه، حافظ وشوقي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٤م، ص: ١٢٣، ١٢٥ بتصرف.

الحركة الفكرية التي نشأت في مصر احتضنت جوانب الحياة وأبرزت عظمة الفكر. كان عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري هم أبرز قادة هذه الحركة المعروفة باسم مدرسة الديوان. أصبحت العاطفة والطبيعة والتقدم ومشاكل الإنسان موضوع قصائدهم. وكانوا يكرهون القصائد التي تمدح القادة.

وكان هناك عدد من الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا لاجئين ومتكسبين. وكانوا أكثر دراية بالفكر الغربي. ولهؤلاء الشعراء دور كبير في نشر روح التجديد في الأدب العربي، من أبرزهم ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران. وأصبح عمل ميخائيل 'الغريبال' أكبر دعم لهذه الحركة التجديدية.

لم يكن هؤلاء الشعراء غير مبتعدين تماما عن التقاليد العربية. لديهم ارتباط وثيق وإمام كبير بأعماق الحياة العربية، وبالشعر العربي الكلاسيكي. لقد درسوا التراث الأدبي العربي والأدب الغربي في نفس الوقت.

وهذه النزعة الأوروبية والموجة الجديدة ما كانت منحصرة في الشعر فقط، بل كانت في جميع الأنواع الأدبية وفي مجالات الحياة المتنوعة حتى قال طه حسين: "إنني أفكر بالفرنسية وأكتب بالعربية"<sup>٣</sup>.

وكجزء من هذا التغيير الجذري في مجالات المعرفة والأدب، تغيرت وتنوعت في العصر الحديث مصادر التجربة الشعرية. وبالإضافة إلى المواضيع التي كانت موجودة في الشعر

---

<sup>٣</sup> الخفاجي، د. محمد عبد المنعم، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت - ١٩٩٢م، ج: ١، ط: ١، ص:

القديم، أصبحت العديد من المحاور الاجتماعية والدينية والسياسية موضوع الشعر العربي الحديث. وظهرت اتجاهات جديدة في القصيدة العربية، مثل الاتجاه السياسي، والقومي، والاتجاه الإنساني، والإسلامي، والوطني، واختفت بعض الظواهر الأدبية القديمة مثل تراجع شعر الفخر بالذات والعشيرة، والهجاء الذي كان يتضمن الانتقاد والتجريح للأفراد أو الجماعات بطريقة ساخرة أو غير مباشرة.

### مواجهة الاحتلال ومقاومته

كانت المقاومة من أهم المصادر التي صاغ منها الشعراء في العصر الحديث أعمالهم، لأن الأمة الإسلامية والقوم العربي في مسيس الحاجة إليهما. فبرز فيها شعراء وظهرت ملامح المقاومة في إبداعاتهم بما فيها من دعوة الشعوب المظلومة إلى التحرك والنهوض بأنفسهم للتغلب على الظلم والاستعباد، والتشجع على اعتماد العلم والتعليم الحديث، وكشف مؤامرات المحتلين وإظهار حقيقتهم، والتوكيد على دور العلماء والمثقفين في تحديد مصير المجتمع الإسلامي وتعزيز العدالة.

ومن أبرز مَنْ سَعَوْا في حشد القصاصد بمضامين المقاومة محمود سامي البارودي، وكان دائماً يحاول تنشيط روح الثورة في نفوس الناس، داعياً إياهم إلى المشاركة في المعارك ومواجهة العدو، حيث كان يحثهم قائلاً:

عديد الحصى إني إلى الله راجع	"أصبراً على مس الهوان وأنتم
وذلك فضل الله في الأرض واسع	وكيف ترون الدُّلَّ دارَ إقامة
فأينَ ولا أينَ السيوف القواطع	أرى أَرْؤُسا قد أينعت لحصادها

فكونوا حصيدا خامدين أو افزعوا إلى الحرب حتى يدفع الضييم دافع<sup>٤</sup>  
في البيت الأول، يعبر الشاعر عن استياءه من قومه وتقبلهم للذل والضعف أمام  
الحاكم، بينما هم كثير العدد. ويظهر في البيت الثاني إشارة إلى آية قرآنية تتحدث عن  
الاستسلام لله ورفض الذل، مما يوحي بالحاجة للنهوض والهجرة إلى أرض الله الواسعة<sup>٥</sup>.  
وتاليا يقول الشاعر بشدة عن ضرورة استعمال السيوف الحادة لمواجهة الحكام  
الظلمة. وفي البيت الأخير، يطرح خياراً بين الاستسلام للعدو وأن يكونوا فرائس  
لسيوفهم، وبين المشاركة في المعارك والدفاع عن كرامتهم وعزتهم.

أكد البارودي في أعماله الأدبية على ضرورة وجود قادة صالحين، لحث الشعب على عدم  
تسليم شؤونهم للسلطان الفاسد، بل ينبغي لهم اختيار قائد مؤهل يقودهم نحو النجاح  
والسعادة. وفي رؤية البارودي، تتضمن سمات القائد المثالي الشجاعة والرفق بالشعب  
والفتوة، إلى جانب البصيرة النافذة وقدرة التدبير. يُمثل القائد في نظره صقرا ذا نظرة  
حادة يرصد الأمور، أو كطبيب معالج. يقول الشاعر في قصيدته التي يذم فيها الحكام  
ويحض الناس على السعي وراء العدل والإنصاف، وينصح الشعب بأن يكلوا شؤونهم إلى  
قائد يتمتع بحنكته وخبرته:

"وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ شَهْمَا أَخَا ثِقَةٍ  
يكون رداء لكم في الحادث الجلل  
ماضي البصيرة غلابٌ إذا اشتبهت  
مسالك الرأي صاد الباز بالجلل

<sup>٤</sup> البارودي، محمود سامي، الديوان، مؤسسة هنداوي، القاهرة - ٢٠١٣م، ص: ١٧٤.  
<sup>٥</sup> الآية التي تمت الإشارة إليها: ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَبْسَعَةً فَأَجْرُوا فِيهَا)) الآية - النساء ٩٧.

قد يدرك المرءُ بالتدبير ما عجزتُ عنه الكمأة ولم يحملْ على بطل<sup>٦</sup>

في المصراع الأول، إشارة إلى القائد المتميز بالشهم، وهو تعبير يوحي بالقوة والصبر والنشاط. ينصح الشاعر الشعب بأن يلتفتوا إلى قادة يتمتعون بالبصيرة والشجاعة، والذين يستطيعون التغلب على التحديات بحيلة ودهاء، ويعبر عن هذا النوع من القادة بكلمة 'غلاب'، التي تعبر عن القوة والثقة التي يتمتع بها القائد في عيون الشعب. الشاعر يستخدم مثالا يقول فيه 'يصطاد الباز بالحجل'، ليظهر تفوق القائد في الحيلة والسياسة، حيث يستخدم الذكاء والدهاء لتحقيق أهدافه وحل المشكلات بأساليب ذكية وفعالة.

في العصر الحديث، خلال فترة ابتلاء الأمة العربية بالاستبداد، سواء أثناء الاحتلال العثماني للبلاد العربية أو الاستعمار الغربي والاستيطان الصهيوني، تجلّى دور الشعراء في مقاومة الاستعمار وفضح جرائمه. حثّ الشعراء الشعب على مواجهة الطغاة والمستبدين والمحتلين، وتمجيد الشهادة والشهداء، وتعزيز الوحدة الوطنية، والاعتماد على التفاؤل بالنصر على الأعداء.

---

<sup>٦</sup> الشهم بمعنى القوي الصبور والنشيط المتوقد، والردء بمعنى المعين، وماضي البصيرة بمعنى ذكي الفؤاد وحاد الفكر، والباز لغة في البازي، وهو كالصقر من من جوارح الطير التي تصيد وتفترس، والحجل من صغار الطير، "فصيد البازي بالحجل كناية عن الكياسة وحسن السياسة، فهو ينال بالحيلة ما تعجز عنه القوة، أو ينال أصعب الأمور بأيسر السبل". البارودي، محمود سامي، *الديوان*، تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت - ١٩٩٨م، ص: ٤١٠، ٤١١.

وفي هذا السياق، يظهر معروف الرصافي كمثال بارز، حيث ينهض بقوة لينتفض ضد الحكام المستبدين، مستنكراً أفعالهم وموقفهم، معبراً عن ذلك بأسلوب شاعري يمتزج بالغضب والاستنكار، حيث يقول:

"حكومة شعبنا جارت وصارت  
علينا تستبد بما أشارت  
فلا أحداً دعته ولا استشارت  
وكل حكومة ظلمت وجارت  
فبشرها بتمزيق الجلود"<sup>٧</sup>.

يُعبّر الشاعر عن غضبه الشديد نحو ظلم واستبداد حكومة الشعب، ويحذرها من ثورة الشعب عليها. الرصافي شاعر واع يحذر من أخطاء الأمة ومخاطر الغفلة والتفرقة، ويذكرها بمسؤولياتها تجاه نفسها وتجاه تاريخها. ففي العديد من قصائده، ينادي الشاعر بضرورة الإصلاح والنهضة، ويحذر من أخطاء الماضي كما يؤكد على أهمية الوحدة والتضامن بين المسلمين، ويحذر من مخاطر التفرقة والانقسام. وهو يقول:

"لا عُدْ للمسلمين اليومَ إن وهنوا  
في هَوْشَةٍ ذل فيها كل من وهنا  
ولا حياة لهم من بعدُ إن جَبنوا  
كلَّ وأي حياة للذّي جَبنا؟!  
عار على المسلمين اليوم أنهم  
لم ينقدوا مصر أو لم ينقدوا عَدنا"<sup>٨</sup>.

يؤكد الشاعر على أنّ واجب المسلمين هو الدفاع عن بلادهم ضدّ الأعداء، وأنّ الضعف والجبن لا يُغنيان عن شيء، بل يُهينان المسلمين ويُضيّعان عليهم كرامتهم.

<sup>٧</sup> ديوان معروف الرصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٧م، ص: ٢٠١.

<sup>٨</sup> الهوشة بمعنى الفتنة، نفس المصدر، ص: ٧٠٩.

وكذلك كان الشعر الفلسطيني في القرن العشرين أحد أهم أدوات المقاومة ضد الاحتلال، وكان يسير مسيرة النضال ضدّ الدولة العثمانية. فالشعراء الذين قاوموا الظلم العثماني، واصلوا نضالهم ضد الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية. وإذا كان شعراء العشرينات قد عبّروا عن مشاعرهم الوطنية بشكل مُبطن، اتّخذت الأعمال في الثلاثينات نبرة أكثر صراحة ومباشرة، حيث تناولت القضايا الوطنية بوضوح ودقة، وعبّرت عن موقف الشعب الفلسطيني من الأحداث الجارية. ورَكَز شعر تلك الحقبة على عدد من المحاور الأساسية، منها زعامة البلاد، حيث عبّر الشعراء عن تمسكهم بزعماء الحركة الوطنية ودعوا إلى وحدة الصف لمواجهة التحديات. وكذلك عالجوا قضية خطر ضياع الوطن إذ حذّروا من مخاطر الحركة الصهيونية على مصير فلسطين، وعبّروا عن خوفهم من ضياع الوطن. ووعد بلفور أيضا من أهمّ المحاور التي تناولها الشعراء يندّدون بهذا الوعد الذي مهدّ الطريق لقيام الكيان الصهيوني. والصراع بين قوات الانتداب البريطاني وأهل فلسطين المحتلة شغل الأدباء والشعراء الملتزمين، وأشعلوا نيران الثورة ضدّ الخونة وبائعي الأرض.

تميز شعر كوكبة من الشعراء المبدعين، مثل إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وعبد الكريم الكرمي وغيرهم، بألوان من المعاني القومية والثورية. فقد عبّر شعراء تلك الحقبة عن نضال الشعب الفلسطيني بكل تجلّياته، مستخدمين صورا وموضوعات لم تُطرق من قبل. كانت فلسطين بالنسبة لإبراهيم طوقان، كشاعر ملتزم بوطنه، القضية الأساسية لحياته، وكرس لها كل حياته القصيرة لتوضيح الأحداث السياسية لأرضه

ولإظهار حق شعبه. عندما اندلعت ثورة عام ١٩٢٩م، وصدر حكم الإعدام على ثلاثة من الشهداء، ألهمت هذه الأحداث كتاب قصيدة بعنوان "الثلاثاء الحمراء"، التي يقول فيها:

"لما تعرّض نجمك المنحوس وترنحت بعري الحبال رؤوس  
ناح الأذان وأعول الناقوس فالليل أكدر والنهار عبوس  
طفقت تثور عواصف وعواطف والموت حيناً طائف أو خاطف  
والمعول الأبدي يمعن في الثرى ليردهم في قلبه المتحجر"<sup>٩</sup>.

يستخدم الشاعر النجم في قصيدته رمزا للوحشية الإسرائيلية في إعدام ثلاثة شهداء. والشهيد ليس خائفاً من أي شيء، فهو دائماً على استعداد للقتال والموت. ويقول الشاعر إن العاصفة بدأت تهب، ووصلت المشاعر إلى درجة الغليان، ويرى الشاعر العواصف رمزا للرجال المقاتلين، لأنه غضبت الطبيعة بالهجوم الإسرائيلي على فلسطين، ووهبت العواصف (الجند) حياتهم وحموا بلادهم من إسرائيل.

فبناء على ما سبق، لعب الاحتلال والمقاومة دوراً هاماً في تشكيل التجربة الشعرية عن الشعراء العرب في العصر الحديث. تمكّنت أعمالهم ونشاطاتهم من دفع الشعوب العربية نحو النضال ضد الظلم والاستعمار، وساهموا في نشر الوعي بالقضايا العربية وتعزيز الشعور بالوحدة العربية.

<sup>٩</sup> موقع دار المقتبس، <https://almoqtabas.com/ar/biographies/view/25965344409518192>، ت.ت: 11/04/2024

## الخلافة الإسلامية

الخلافة الإسلامية - وهي قيادة سياسية ودينية للعالم الإسلامي - لها سيطرة قوية على الفكر والتاريخ الإسلامي. في الشعر العربي الإسلامي الحديث، تظل الخلافة رمزًا قويًا، لكن تفسيراتها متنوعة ومعقدة.

بالنسبة لبعض الشعراء، تمثل الخلافة ماضيا مجيدا، وعصرا غابرا للوحدة والقوة. إنهم يتأسفون على تشرذم العالم الإسلامي، ويتوقون إلى العودة إلى خلافة تعزز القيم الإسلامية وتحمي المسلمين على مستوى العالم. ولذا شكّلت الخلافة الإسلامية رمزا هاما في شعر العصر الحديث، حيث تناولها الشعراء من مختلف البلدان العربية والإسلامية بمختلف الأساليب والمشاعر. وبرع في أعقاب سقوط الخلافة الإسلامية نخبة من الشعراء الذين اتخذوا الحزن على زوالها نغمةً لأشعارهم، فخلّدوا في أبياتهم روح الوطنية التي جرحتها الأحداث الجسام والأخبار المحزنة. ولا يزال تأثيرهم واضحا جليا في قصائد الشعراء الذين أتوا من بعدهم.

ومن بين هؤلاء الشعراء العظام يبرز اسم أحمد شوقي، الذي نظم قصيدته الخالدة 'خلافة الإسلام' رثاءً للخلافة الغائبة. ففي هذه القصيدة، يحث شوقي الممالك الإسلامية على تقديم النصح لمصطفى كمال أتاتورك، عسى أن يتمكن من إعادة بناء ما هُدم وإحقاق العدالة.

يقدم شوقي نصيحته دون أي مقدمات أو تمهيد، مُحمّلا أتاتورك مسؤولية إلغاء الخلافة، مُدركا في الوقت ذاته أنّ لكل قضية حاسمها. يقول الشاعر:

"عادت أغاني العرس رجع نواح  
ونعيت بين معالم الأفراح  
كفنت في ليل الزفاف بثوبه  
ودفنت عند تبليج الإصباح  
شيعت من هلع بعبرة ضاحك  
في كل ناحية وسكرة صاح"١٠.

يُجسّد الشاعر سقوط الخلافة الإسلامية بصورة عروس غمضت عينها عن الحياة فجأة، وتحول زفافها إلى مأتم يلقه الحزن والألم. ولا يقتصر الحزن على رحيل العروس فقط، بل يمتدّ حيث يشمل الأقطار الإسلامية جميعها، التي تأثرت بالأحداث الجسيمة، وهي التي عصفت بالخلافة. فما كان بالأمس عرسا يزخر بالفرح والبهجة، تحول اليوم إلى مأتم يخيم عليه الحزن والأسى. وتخيّم الفوضى على الأقطار الإسلامية، وتسيطر التقلبات على أحوالها.

"ضجت عليك مآذن ومنابر  
وبكت عليك ممالك ونواح  
الهند والهبة ومصر حزينة  
تبكي عليك بمدمع سحاح  
والشام تسأل والعراق وفارس  
أمحى من الأرض الخلافة ماح  
وأنت لك الجمع الجلائل مأتما  
فقعدن فيه مقاعد الأنواح"١١.

يبرزُ الشاعرُ من خلال هذه الصورة الاستعارية حجم المأساة التي حلت بالعالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة، وكيف أن هذا الحدث الجلل قد ترك أثرا عميقا في نفوس المسلمين في جميع أنحاء المعمورة.

١٠ العامري، ماجد إبراهيم سلحب، أصداء سقوط الخلافة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ١٩٢٤-١٩٩٤، دار الكتاب الثقافي-الأردن، ٢٠٠٤ م ص: ٩٣.

١١ السحاح بمعنى كثير السح وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل، والأنواح بمعنى النائحات، نفس المصدر، ص: ٩٤.

فخلاصة القول أنّ الخلافة الإسلامية ظلت، باعتبارها قيادة دينية جامعة، حاضرة بقوة في الفكر والتاريخ الإسلاميين، وانعكس تأثيرها العميق في الشعر العربي الحديث.

## الظواهر الاجتماعية

كما في العصور المتنوعة، تعدّ الظواهر والمسائل الاجتماعية من أهمّ العوامل التي عزّزت التجربة الشعرية في العصر الحديث. لعب الشعر العربي، منذ أواخر القرن التاسع عشر، دورا هاما في التعبير عن القضايا الاجتماعية التي واجهها العالم العربي - كالفقر والتمييز ومشكلة التمييز وقضايا المرأة - خلال فترة التغيرات والتحديات الكبرى.

على سبيل المثال، تميز الشاعر المصري حافظ إبراهيم بموقفه الوطني المناصر لقضايا شعبه، فلم يتخلّ عنهم في أيّ موقف، بل وقف إلى جانبهم مدافعا عن حقوقهم ومشاركا إياهم في همومهم وانطباعاتهم. ولذلك صار شهيرا بلقب شاعر الشعب. بقي في الصفوف الأمامية، يعبر بجرأة عن مواقفه أمام الإنجليز مع غيره من الزعماء والمتقدمين من شعبه. وكان يدرك تحديات المجتمع المصري، وينقل هذه القضايا ببراعة من خلال شعره.

يواجه كل مجتمع مجموعة من القضايا التي تثير اهتمام الناس فيه، وكان جيل حافظ إبراهيم مشغولا بعدة قضايا اجتماعية هامة، ومن بينها قضية تعزيز الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط، وتحرير المرأة، وتحسين جودة التعليم. كل قضية كانت تلقى اهتماما كبيرا من المفكرين والأدباء والمسؤولين.

يُذَكِّرُ الشاعر المصريين بمشاركتهم لقمة العيش عبر الأجيال، حيث كان النعيم قليلا  
والبؤس كثيرا، دون تفريق بين الطبقات الاجتماعية، ثم يعيدهم إلى جذورهم في نهر  
النيل، الذي سبق آدم وجميع الأديان:

"إنما نحن مسلمين وقبطا                      أمة وُحِدَتْ على الأجيال  
سبق النيلُ بالأبوة فينا                      فهو أصل وأدم الجد تال"<sup>١٢</sup>.

تواصلت جهود الشعراء في دعوتهم لهذا الأمر، وكان حافظ من بين الذين ساهموا بشكل  
ملموس في هذا السعي. وكان له علاقة ودية مع العديد من الأقباط، سواء كانوا أدباء أو  
مفكرين أو سياسيين، تجمعهم المحافل وليالي الحوار، حيث كانوا يتبادلون الأفكار  
والأشعار والنوادر.

وكان الشاعر يرى أن الاختلاف الديني يجب ألا يؤدي إلى تحويل الحياة إلى صراع مستمر  
وتحزب، وكان يؤمن أن الانخراط في مثل هذه التحيزات يدل على قلة فهم للدين. لذلك،  
كانت قصائده تعبر عن دهشته واستغرابه أكثر من حزنه، لما كان يسمعه من أخبار عن  
تصاعد الانقسامات في المجتمع، حيث إن كل وجهة نظر متطرفة قد تزيد من تلك  
الانقسامات. يتجلى هذا الفهم الجليل في أبياته التي كتبت تشجيعا للخديوي عباس  
الثاني:

"مولاي أمتك الوديعه أصبحت                      وعرى المودة بينها تتفصم  
نادى بها القبطي ملء لهاته                      أن لا سلام وضاق فيها المسلم  
وهمُّ أغار على النهى وأضلها                      فجرى الغبيُّ وأقصر المتعلم

<sup>١٢</sup> المازني، إبراهيم عبد القادر، شعر حافظ، مطبعة اليوسفور، القاهرة - ١٩١٥ م، ص:

فهموا من الأديان ما لا يرتضي دين ولا يرضى به من يفهم<sup>١٣</sup>

تُظهر هذه الأبيات كيف يمكن لأفكار خاطئة وفسادة أن تُفسد مجتمعا هادئا وتُشعل فتنة دينية بين أفرادها. كما تُحذر من مخاطر فهم الأديان بشكل خاطئ، مما قد يؤدي إلى سلوكيات خاطئة وانحراف عن الطريق الصحيح.

أمّا في النسبة إلى رفع مستوى المرأة العربية فحافظ إبراهيم قام بدوره في دعم قضايا المرأة العربية ورفع مكانتها في المجتمع، وذلك من خلال قصائده ومقالاته التي تناولت مختلف جوانب حياة المرأة العربية.

أشعل كتاب 'تحرير المرأة' لقاسم أمين، الذي دعا فيه إلى رفع الحجاب، ثورة نقاش حامية الوطيس بين كبار المفكرين والأدباء وعلماء الإسلام في مختلف أرجاء الوطن العربي. وتباينت الآراء حول هذا الموضوع الشائك، فانقسم الناس إلى مؤيد ومعارض، قدّم كلٌّ منهما حججه ومقترحاته بشرح مُفصّل. اشتعلت نيران الجدل ولم تهدأ، وسرعان ما انتشرت الدعوة إلى مختلف أقطار الوطن العربي، فتناولت الأقلام نقاشا ساخنا، وتعالّت أصوات الشعراء بين مؤيدٍ ومعارض، عبّروا عن آرائهم ومشاعرهم من خلال قصائدهم.

بينما كان الشاعر يتابع أحداث المجتمع من خلال صفحات الجرائد، كان يشاهد الجدل الحاد الذي أثاره كتاب 'تحرير المرأة' لقاسم أمين، والهجوم الذي تعرض له من البعض، والتأييد الضئيل الذي حظي به. وفي ظل الظروف الاجتماعية التي كانت تعيشها مصر

<sup>١٣</sup> موقع الديوان، <https://www.aldiwan.net/poem10862.html> ، ت.ت: 10/04/2024.

والمجتمعات العربية في تلك الفترة، كان من الصعب على أحد أن يتبنى بوضوح دعوة تصادمت مع أحكام الدين والتقاليد. بالرغم من ذلك، كان حافظ يتحاشى الانجراف نحو أي من الطرفين، ويفضل التوسط والتوازن في آرائه، حيث يتردد بين المواقف ويرفض التمييز بين الفئات.

ويقول الشاعر رثاء لقاسم أمين:

"إن رأيت رأيا في الحجاب ولم  
الحكم للأيام مرجعه  
تعصم، فتلك مراتب الرسل  
فيما رأيت، فتم ولا تسل  
وكذا طهارة الرأي تتركه  
للدهر، ينضجه على مهل  
فإذا أصبت فأنت خير فتى  
وضع الدواء مواضع العلل  
أو لا، فحسبك ما شرفت به  
وتركت في دنياك من عمل"<sup>١٤</sup>

ومن كلامه يظهر أنه اكتفى بتصوير صاحب الرأي بأنه غير معصوم من الخطأ، ووصف الدعوة نفسها بأنها مفتوحة لكل من الصحة والخطأ. وأكد على أن الدهر وحده هو الذي يمكن أن يحدد في النهاية هل المؤيد على حق أم على خطأ. وبهذه الطريقة امتنع الشاعر عن إصدار حكم أو موقف نهائي بشأن الأمر.

بعد مضي أعوام، قرر الشاعر بدعم بعض الأفكار التي دعا إليها قاسم أمين، مما لم يثر غضب المحافظين، مثل تمكين المرأة وتعليمها لتكون قادرة على المساهمة في رفاهية أسرها وتربية أطفالها. ومع ذلك، استمر في رفض فكرة مشاركة النساء بحرية في جميع

<sup>١٤</sup> د. حافظ محمد بادشاه، قضايا المجتمع في شعر حافظ إبراهيم، ٢٠١٧م، ص: ١٠٢.

جهات الحياة، والتنافس مع الرجال، وتصرفهن بشكل مستقل متحررة دون إشراف،  
فقال:

"من لي بتربية النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق  
الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعبا طيب الأعراق  
الأم روض إن تعهده الحيا بالري أورك أيما إيرا  
الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلن في الأسواق"<sup>١٥</sup>.

يتساءل الشاعر عمّن يتولى تربية وتعليم النساء، معتبرا ذلك مسؤولية جماعية تقع على عاتق الجميع، ويرى أن إخفاق الشرق في مجالات كثيرة يعود جزئيا إلى ضعف اهتمامه بتربية وتعليم النساء. فيؤكد على أهمية دور المرأة في المجتمع، وخاصة الأم، في بناء الأمة وتقدمها.

وبصورة مشابهة، في الشعر العربي الحديث، تعكس قصائد الفقر والبؤس واقعا اجتماعيا مؤلما يعاني منه الفرد والمجتمع على حد سواء. يستخدم الشعراء لغة الشعر بمختلف أشكالها لوصف تلك الحالة المأساوية، مشيرين إلى الظلم الاقتصادي والاجتماعي والذي يعانيه الفقراء والمحرومون. تتنوع القصائد في تصوير آثار الفقر على الإنسانية والروح، وكيف يتأثر الفرد بشكل عميق بالظروف القاسية التي يواجهها.

<sup>١٥</sup> حافظ إبراهيم، *الديوان*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر - ١٩٨٧م، ط: ٣، ص: ٢٨٢.

بالإضافة إلى ذلك، يعبر الشعراء عن رغبتهم في التغيير والإصلاح، داعين إلى العدالة الاجتماعية وتوفير الفرص المتساوية للجميع.

في أدب المهجر، تتجلى ظاهرة البؤس والفقر والتشرد بشكل ملحوظ، حيث يعاني الكتّاب المهاجرون من مشاق الحياة في سبيل البقاء والعيش الكريم. يلجأ بعضهم إلى مهن منخفضة لا تتناسب مع مستواهم الثقافي والفكري، مما يجعلهم يعيشون في الهموم والتحديات.

إلياس فرحات، الشاعر المهاجر، يُظهر هذه الواقعية بصورة ملموسة في قصيدته حيث يصف تجربته كبائع متجول في البرازيل ومعاناته في مواجهة الظروف القاسية. يعكس الشاعر حالته بكلمات تعبر عن رحلته الطويلة والمعقدة، حيث يبحث عن لقمة عيشه وسط شدائد الحياة، ويواجه تقلبات الحظ التي تجعله يتجه إلى الشرق والغرب بحثاً عن الاستقرار، فيقول الشاعر:

"طوى الدهرُ من عمري ثلاثين حجَّةً      طويتُ بها الأصقاعَ أسعى وأدأبُ

أغرِبُ خلفَ الرزقِ وهو مُشَرِّقٌ      وأقسمُ لو شرَّقتُ راحَ يغربُ"<sup>١٦</sup>

من خلال تعبيره عن تلك التجارب الصعبة، يُسلط فرحات الضوء على معاناة المهاجرين، ويبرز الجهود الكبيرة التي يبذلونها لتحقيق حلم العيش بكرامة في بلدانهم الجديدة، مما يجعل قصيدته صرخة من القلب تعكس حالة الاضطراب، والتشتت التي يمر بها الفرد في ظل غياب الاستقرار والأمان

<sup>١٦</sup> موقع الديوان، <https://www.aldiwan.net/poem107112.html>، ت.ت: 20/04/2024

نشأ الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي في فقرٍ شديد، إلا أنه كان يحمل شغفًا للعلم منذ نعومة أظفاره. لكن، كانت العوائق تقف حائلًا أمامه، فاضطر إلى السير على الأقدام إلى مدرسة بعيدة تديرها شخصية علمية بارزة، الشيخ إبراهيم المنذر. كان يقف إيليا أمام نافذة المدرسة يستمع بانتباه لدروس المعلم. عندما علم الشيخ بحالته المادية، قرر أن يساعده، وأدخله المدرسة دون مكافئة. وفي تعليقه على هذه الحادثة، قال الشيخ: "لماذا نشفق على البطون الجائعة فنطعمها، ولا نشفق على العقول الجائعة فنغذيها؟ أليس العقل أسمى من البطن؟"<sup>١٧</sup>.

تصف قصيدة الشاعر بعنوان 'الفقير' بشكل عميق معاناة الفقير وصعوبة حياته، وكيف أنه يواجه تحديات كبيرة في تأمين احتياجاته الأساسية. يتجلى اليأس والحزن في كلمات القصيدة:

"همّ ألم به مع الظلماء

فنأى بمقلته عن الإغفاء

نفس أقام الحزن بين ضلوعه

والحزن نار غير ذات ضياء

يرعى نجوم الليل ليس به هوى

ويخاله كلفا بهنّ الرائي

---

<sup>١٧</sup> رامز محيي الدين علي، *الفقر في عيون الأدباء والمفكرين*، موقع منبر حرّ للثقافة والفكر والأدب،

<https://diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%82%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%B9%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%86>

ت.ت: 15/01/2016، ت.ن: %D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%86

في قلبه نار ( الخليل ) وإنما  
في وجنتيه أدمع ( الخنساء )  
قد عضه اليأس الشديد بنابه  
في نفسه والجوع في الأحشاء  
يبكي بكاء الطفل فارق أمه  
ما حيلة المحزون غير بكاء!<sup>١٨</sup>.

تصف هذه الأبيات حالة من الحزن الشديد التي يمر بها الشاعر، حيث يلاحقه الهم في كل مكان، حتى في نومه. يسيطر عليه الحزن كالنار التي لا تنطفئ، ولا يرى لها أي ضوء أو أمل.

فعلى ما سبق، لعب الشعر العربي الحديث دوراً هاماً في رصد الظواهر الاجتماعية وتحليلها ونقدها. فمنذ بدايته، اهتم الشعراء بتناول مختلف القضايا الاجتماعية التي واجهتها مجتمعاتهم، بدءاً من الفقر والتميش، وصولاً إلى قضايا المرأة والحرية. من خلال هذا البحث، يظهر أن الاحتكاك الأدبي بين الثقافات، والتأثير المتبادل قد أتاح للشعر العربي الحديث فرصة للتجديد والتطور، وأنّ الشعراء في العصر الحديث قد انتقلوا من تراثهم الأصيل إلى استلهام المصادر والمفاهيم من العالم الغربي، وهو الذي أدى إلى تغيير موضوعاتهم ومحاورهم، وإلى ظهور مدارس شعرية جديدة.

---

<sup>١٨</sup> إيليا أبو ماضي: الأعمال الشعرية الكاملة - دار العودة - بيروت / ط ٢٠٠٤ - ص: ٢٦٠.

ويتجلى هذا التأثير في اختفاء بعض الأغراض القديمة مثل الهجاء والفخر بصورها القديمة، والانتقال إلى الأغراض القومية والوطنية والسياسية والاجتماعية. كما ظهر تأثير الاحتكاك الأدبي في ظهور الشعر المسرحي ومحاولات لنظم الملاحم، بالإضافة إلى تأثر الشعر العربي الحديث بالمفاهيم الجديدة مثل الوحدة الفنية للقصيدة. فيمكن القول بأن الشعر العربي الحديث قد شهد تطوراً ملحوظاً في بناء القصيدة والتعبير، مما أتاح للشعراء المجال للاستكشاف والإبداع بشكل أكبر في الصور والأخيلة، مع الميل إلى المفاهيم الجديدة.

## الفصل الثاني: المديح النبوي في عصر شوقي

تأثر الأدب العربي عموماً، والنقد العربي خصوصاً، بفتح الباب على مصراعيه أمام التأثير الغربي، ونتج عن هذا التلاقي تقدّم ملحوظ في مجال الأدب والنقد. فتوسعت آفاق الفهم والتحليل والدراسة، ممّا جعل الشعر يظل في مقدمة المنبر الثقافي، حيث تناول القضايا المجتمعية والسياسية والثقافية بطرق مبتكرة، مساهماً في توعية المجتمع وتوجيهه نحو الحرية والتعرف على الهوية.

وفي هذا السياق، برز المديح النبوي كأداة فعالة، فقد أضاء العالم خلال فترة اختلطت فيها المفاهيم الإسلامية بتأثير الحضارة الغربية على الهوية العربية والإسلامية. وبينما كانت التيارات الجارفة تهدد، ظل المديح النبوي كشعلة ترشد الطريق، وتذكر الأمة بقيمها ومبادئها الأصيلة، وتساعد على الثبات والبقاء في وجه التحديات العصرية.

سافر المديح النبوي عبر الزمن، متخطيا المراحل التي شهدت نشأته وازدهاره، حيث ارتبط بالدعوة الإسلامية ونصرتها. ثم دفعت الظروف السياسية بعد ذلك إلى إبقاء الفن في مدح آل البيت. واستمر الشعراء في تأليف قصائدهم على نهج السابقين حتى عهد البوصيري، الذي برز كشاعر بارع في المديح النبوي. فواصل الشعراء السير على منوال قصائده حتى العصر الحديث، حيث كل واحد منهم ساهم بجهده في تخليد هذا الفن. ومن خلال تطور الحركة الشعرية في القرن العشرين، أصبح المديح النبوي جزءا من مجموعة متنوعة من المواضيع التي يتناولها الشعراء في مناسبات مختلفة، إلى جانب المواضيع الدينية والاجتماعية والسياسية الأخرى، وساهمت حركة إحياء التراث القديم في بداية النهضة الأدبية الحديثة في تعزيز المدائح النبوية، حيث اعتمد الشعراء أسلوب الشعر الكلاسيكي والتقليدي في التعبير عن النبي محمد ﷺ.

مع بزوغ فجر العصر الحديث، شهد المدح النبوي ازدهارا ملحوظا، خاصة في ظل التحديات التي واجهها العالم الإسلامي، وقد استلهم الشعراء من هذا التراث العريق، مستخدمين أساليب شعرية عصرية لمعالجة قضايا معاصرة، وبتأثير من حركة إحياء التراث، عادت المدائح النبوية لتحتل مكانة بارزة في الأدب العربي. تقول الباحثة ثريا عبد الفتاح مجلس عن المدح في القرن التاسع عشر: "عرف هذا القرن بالمدائح النبوية التي كان الشعراء العرب يستوحونها من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ويفردون فيها القصائد الطويلة ذاكرين أعمال الأنبياء الصالحة، وأخلاقهم النبيلة، ولم يأت شعراء

العرب بشيء جديد عما كان في الكتب الدينية، ولم يتأمل الشاعر العربي تأملاً عميقاً في هذه القصائد"<sup>١٩</sup>.

كانت هذه المسألة موضوع نقاش مستمر بين النقاد في بداية العصر الحديث، ولذلك أصبح من الضروري فهمها جيداً لفهم واقع فن المديح النبوي في هذه الفترة. فقد استمر هذا الشعر على نهجه المعتاد حيث لم يتغير أسلوبه العام أو النغمة التي يتبعها. وبالرغم من عدم تميزه بعمق فكري ملحوظ، كان هذا الشعر يتميز بقدرته على إبراز المواقف الدينية والاجتماعية، واستكشاف ظروفها وتحليلها بطريقة فنية. ومن خلال دراسة مدائح شعراء كبار مثل محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، يمكن فهم هذا الأمر بوضوح.

وعندما يتمّ إلقاء نظرة عابرة على الأشعار في مدح النبي الكريم في هذا العصر، يظهر تنوع في الأساليب والأشكال، حيث تشمل نمطين رئيسيين:

١. معارضات شعرية لقصائد مشهورة في المديح النبوي: حيث يتنافس الشعراء في تأليف قصائد تعارض أو تحاكي قصائد المديح النبوي المعروفة التي سبقتهم، كنهج البردة لأحمد شوقي وكشف الغمة في مدح سيد الأمة لمحمود سامي البارودي. عارض فيهما كل واحد منهما قصيدة البردة للبوصيري.

٢. قصائد إبداعية: وهي قصائد تتميز بالابتكار والخيال الواسع في تصوير شخصية النبي ومبادئه، كذكرى المولد النبوي للشاعر الجزائري محمد رضا العيد آل خليفة

---

<sup>١٩</sup> مجلس، ثريا عبد الفتاح، القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الكتاب، بيروت - ١٩٩١م، ص: ١٩٤.

(١٩٠٤ - ١٩٧٩ م). ومنها الملاحم الشعرية المطوّلة: وهي التي تصوّر حياة النبي محمد ﷺ

بتفاصيلها المميزة، كديوان مجد الإسلام لأحمد محرم.

## معارضات شعرية في المدح النبوي

المعارضة الشعرية هي "أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما، فيأتي شاعر آخر، فينظم قصيدة أخرى على غرارها محاكية القصيدة الأولى في وزنها وقافيتها وموضوعها مع حرصه على التفوق"<sup>٢٠</sup>. وعلى الرغم من أن هذا هو التعريف الشائع لهذا الفرع من الشعر، إلا أن النقاد والباحثين يطلقون اسم المعارضة الشعرية على قصيدة إذا اجتمع فيها عنصر أو عنصران. وصفيّ الدين الحلي هو الذي وضع حجر الأساس لهذا الفن بقصيدته التي عارض بها البوصيريّ، والتي يقول في مطلعها:

"إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم      وافر السلام على عرب بندي سلم"<sup>٢١</sup>.

وبرز هذا النوع من الشعر في العصر الحديث كوسيلة فعّالة لإحياء التراث الأدبي وتنشيط الحركة الأدبية. وقد تميز في هذا المجال عدد كبير من الشعراء، وعلى رأسهم محمود سامي البارودي وأحمد شوقي، حيث قام كلاهما بمعارضة العديد من كبار الشعراء القدامى مثل النابغة الذبياني وامرؤ القيس وبشار بن برد والمتنبي والشريف الرضي. كما سبق الإشارة إليه، شهدت المعارضة الشعرية في الأدب الحديث تطورا ملحوظا في مجال المدح النبوي.

<sup>٢٠</sup> محمد عبده عزام، النص الغائب تجليات التناسخ في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠١ م، ص: ١٤٢.

<sup>٢١</sup> موقع الديوان: <https://www.aldiwan.net/poem38503.htm> ، ت.ت: 04/06/2024.

تلقت المدائح النبوية، بما في ذلك المعارضات وغيرها، اهتماما بالغا من شعراء عصر النهضة الذين أخذوا على عاتقهم مهمة رفع مستوى المجتمعات العربية والإسلامية والنهوض بها من خلال نشر الوعي الديني. وقد تحقق ذلك عبر تناول سيرة النبي المصطفى ﷺ، وتبيان خصاله الكريمة وأخلاقه الحميدة، وإبراز فضله على الناس جميعا، والحث على الاقتداء به واتباع نهجه لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

### تحليل الأفكار

ومن المعارضات الشعرية الشهيرة في المدح النبوي الحديث قصيدة محمود سامي البارودي باسم "كشف الغمة في مدح سيد الأمة"، مطلعها:

"يا رائد البرق يممّ دارة العلم      واخذُ الغمام إلى حي بذي سلم"<sup>٢٢</sup>.

وهذه القصيدة تأتي على نهج البوصيري، وتتألف من أربعمئة وسبعة وأربعين بيتا. عبر الشاعر عن موضوعها قائلاً: "هذه قصيدة ضمنها سيرة النبي الأمين من لحظة مولده الكريم إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه. وقد بنيتها على سيرة ابن هشام، وسميتها كشف الغمة في مدح سيد الأمة. ورغبتني إلى الله أن تكون لي ذريعة أمت بها يوم المعاد وسلما إلى النجاة من هول المحشر. اللهم حقق رغبتني إليها واكسها بفضلك رونق القبول - أمين."

ومن هذا يتضح أنّ البارودي - رغم اتباعه خطى البوصيري - يعتمد على أسلوب جديد يجمع فيه بين العناصر الأصلية في المدائح النبوية وبين تطبيقات مستجدة تتجاوب مع روح العصر وغاية الشاعر. فهو - كما قالت الباحثة حكيمه بوشاللق - "يحاكي النموذج

<sup>٢٢</sup> البارودي، محمود سامي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر - ١٣٢٧م، ص: ٣.

في أصوله الفنية، كما أنه يريد أن يحول مسار قصيدة البردة من سياق الكتابة الشعرية الصوفية، إلى سياق الكتابة الشعرية السردية، وكأننا عندما نقرأ هذه النبوية -كشف الغمّة - وأننا أمام كتاب من كتب سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام<sup>٣٣</sup>. يسرد الشاعر في قصيدته الأحداث الهامة التي جرت في حياة النبي الكريم ﷺ، بدءاً من الإرهاصات التي سبقت مولده الشريف، ومروراً برضاغته عند حليلة السعدية، وحادثة شق الصدر، ورحلته التجارية إلى الشام مع غلام السيدة خديجة الكبرى، وإعادة بناء الكعبة. كما يتناول بعثته والمعجزات العظيمة مثل الإسراء والمعراج، والهجرة النبوية وقصة الحمام، والحياة في المدينة المنورة. وتبرز القصيدة في وصف الغزوات التي خاضها النبي ﷺ في المدينة بدقة وحيوية، مما يعكس طبيعة البارودي الذي خاض معارك عديدة. وفي ختام القصيدة، يقود الشاعرَ تذكُّرُ يوم البعث والحساب، إلى الأمل في رحمة الله وعفوه، مستشفعا بالنبي المصطفى ﷺ.

فالبارودي لا يرى في البوصيري سوى دليل إلى قرص المديح النبوي، ويسعى إلى معارضته ولكن ليس في جميع جوانب القصيدة. لذا، يرى بعض الباحثين أن متابعة السيرة ومعارضة البردة في آن واحد قد أضعفا القيمة الفنية لهذه القصيدة الطويلة.

وعلى الرغم من عدم وجود معلومات دقيقة حول تاريخ كتابة القصيدة، إلا أنه من قراءتها يُفهم أن البارودي كتبها خلال فترة منفاه، عندما توقفت سبل العيش. واسم

---

<sup>٣٣</sup> حكيمة بوشلاق، استنساخ نص المديح النبوي من التأسيس إلى اكتمال النموذج، رسالة الدكتوراة، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - ٢٠١٧م، ص: ٣٥٧.

"كشف الغمة في مدح سيد الأمة" يعكس الغرض الرئيسي من القصيدة، وهو كشف الغم والحزن وتنفيس عن كربة الشاعر.

في عنوان القصيدة، يتضح مدى معاناة الشاعر خلال فترة منفاه وسجنه، حيث يعبر عن الغربة والوحدة القاتلة. يعكس عنوان القصيدة الحالة النفسية الصعبة التي يمر بها الشاعر، حيث يجد في المديح النبوي ملاذا يخفف من ألمه ويكشف عن غمه. ومع ذلك، أراد الشاعر من خلال تجربته الشخصية أن يصل إلى هدف أعمق، وهو كشف غموض الأمة عبر اتباع سنة الحبيب محمد ﷺ وتبني منهجها، الذي يعد هدفا مستقرا للمؤمنين بغض النظر عن الزمان والمكان. واستخدام 'السيد' في العنوان يشير إلى ارتباط الأمة بالنبي الكريم، مؤكدا على أهميته كشخصية دينية وموجهة للأمة الإسلامية. ومن المدائح التي احتفل بها في الأدب العربي الحديث، معارضة أحمد شوقي للبوصيري، والتي مطلعها:

"ريمٌ على القاع بين البان والعلم  
أحلّ سفك دمي في الأشهر الحُرْم  
رمى القضاء بعيني جوذر أسدا  
يا ساكن القاع، أدرك ساكن الأجم"<sup>٢٤</sup>

هذه قصيدة اشتهرت في الأفاق، نسجها أحمد شوقي في عام ١٩١٠م في مائة وتسعين بيتاً على وزن البسيط. وقد أطلق عليها الشاعر 'نهج البردة'، إشارة إلى أنها سارت على نهج البوصيري. ورغم ذلك، يقر شوقي بتواضع أن معارضة البوصيري تفوق قدراته، فقصيدته ليست سوى محاولة متواضعة للتعبير عن الإعجاب والإجلال:

"الله يشهد أنني لا أعارضه  
من ذا يعارض صوب العارض العرم

<sup>٢٤</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٢٢٩.

وإنما أنا بعض الغابطين، ومن يغبطُ وليَّك لا يُذمم ولا يُلم<sup>٢٥</sup>.

عند تتبع قصيدة شوقي، يظهر أنه بدأ بالنسيب الذي يعتبر من أجمل ما كتب في الغزل. ثم انتقل إلى الحكمة وضرب الأمثال، وأفرد له أربعة عشر بيتًا. بعد ذلك، لجأ إلى التضرع والتوسل في ستة أبيات تميزت بتركيز وقوة تصوير، مما مهد له الطريق لمدح الرسول ﷺ وإبراز صفاته الكريمة في أربعة وعشرين بيتًا. وأشار شوقي إلى المعجزة الكبرى، القرآن الكريم، وبين مكانته بين الكتب السماوية الأخرى في ستة أبيات بليغة ومحكمة البناء، كما تناول مولد النبي ﷺ وتحدث عن البشائر التي أنبأت بمجيئه في ثمانية أبيات. بعد ذلك، انتقل إلى الحديث عن الإسراء والمعراج في ثمانية أبيات أخرى، حيث لم يغفل أي حدث من أحداث تلك الليلة المباركة. واختتم شوقي بالحديث عن مكانة الرسول ﷺ في ثلاثة أبيات، ثم تطرق إلى الهجرة وكيف نجى الله رسوله ﷺ وصاحبه من يد الكفر والشرك.

والمعارضة الأخرى التي اجتذبت انتباه الناس عمل من أعمال الكاتب الشهير علي أحمد باكثير تحت عنوان 'نظام البردة' أو 'ذكرى المولد'. هذه القصيدة تحتوي على مائتين وأربعة وخمسين بيتًا. ورغم أن الشاعر يعارض البوصيري في الوزن والروي والموضوع العام، إلا أن التشابه بين القصيدتين ليس واضحًا من حيث الأساليب والأفكار التفصيلية. كما أنه لم يبدأ قصيدته بمقدمة تقليدية تتناول الأماكن أو التغزل، متماشيا مع روح العصر. يبدأ الشاعر قصيدته قائلاً:

<sup>٢٥</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣٩.

"يا نجمة الأمل المغشي بالألم  
كوني دليلي في محلولك الظلم  
في ليلة من ليالي القُرِّ حالكِ  
صخباً بصدى الأرياح والديم  
دُجى تتالى كأموج المحيط بها  
عقلي وقلبي وطرفي كلُّ ذلك عمي"<sup>٢٦</sup>

يخاطب الشاعر نجمة الأمل في ليلة شديدة الظلام والبرودة، مليئة بضجيج الرياح والأمطار. ويصف حالته النفسية التي تتلاطمها الظلمات كأموج المحيط، مما يجعله يشعر بالعجز والضياع. وهذه الحالة تجعله يشعر بالعمى في عقله وقلبه وعينه، مما يزيد إحساسه بالضياع والارتباك. فهذه القصيدة ليست مجرد مدح تقليدي، بل هي رحلة تأملية تتماشى مع روح العصر وتترك أثراً عميقاً في نفس القارئ، مؤكداً على القيمة الروحية والأخلاقية للرسول الكريم كمنارة للأمل والهداية.

بعدما عبّر الشاعر عن حيرته، انتقل إلى الحديث عن مولد النبي ﷺ وأخلاقه الحميدة ودعوته الخالصة، مع الإعلان عن شوقه إليه. كما تناول في قصيدته مأساة وطنه وما يعانيه من جهل وتخلف، وبعد ذلك مرّ بذكرى حبيبه، ثم تطرق إلى أوضاع العالم الإسلامي وحقوق المرأة. وختاماً، أنهى الشاعر قصيدته بالتضرع والدعاء، والصلاة على النبي الكريم وعلى خلفائه الأربعة. ولا يظهر التشابه بين باكثير والبوصيري إلا في بعض المواضع، كما في قول الشاعر عند حديثه عن شجاعة النبي الكريم ﷺ:

"وربما انقض عنه جيشه فيرى  
كأنه وحده جيش من الهم"<sup>٢٧</sup>

<sup>٢٦</sup> موقع الديوان، ت.ت: ٢٠٢٥/١٥/٥ م.

<sup>٢٧</sup> أمين شيخ باقري، قصائد المعارضات في المدائح النبوية (دراسة أسلوبية ومفهومية لبردة البوصيري وقصيدة نظام البردة لعلي أحمد باكثير)، مجلة آداب الكوفة، العدد: ٥٢، ج: ٢، حزيران ٢٠٢٢ م، ص: ١٦٥.

هنا يبدو تأثيره بفكر البوصيري:

"كأنه وهو فرد في جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم"<sup>٢٨</sup>

وكذلك يعلن الشاعر في آخر القصيدة عن التأثير حيث يختتم قصيدته بهذه الأبيات:

"وأختم بمسك تحيات يفوح على محمد خير مبدوء و مختتم

"ما أومض البرق في الظلماء من إضم وما عطاء الريم بين البان والعلم"<sup>٢٩</sup>

وفيه تذكير بمطلع قصيدة البوصيري:

"أمن تذكر جيران بندي سلم أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم وأومض البرق في الظلماء من إضم"<sup>٣٠</sup>.

فالدراسة المفهومية لمعارضات العصر الحديث في المديح النبوي تشير إلى أن هذه

القصائد، رغم اتباعها نهج السلف في هذا النوع من الشعر، تحمل في طياتها معاني

جديدة ومحاور مبتكرة تتماشى مع روح العصر وتتفاعل مع القضايا المستجدة. وتفوح

منها نكهة السياسة ومشكلات المجتمع والأزمات التي تواجهها الأمة العربية والدول

الإسلامية. فالمدائح النبوية الحديثة ليست مجرد سرد للأحداث والأخلاق المتعلقة بالنبى

ﷺ، بل هي وسيلة إبداعية للتعبير عن مكنونات قلوب الشعراء ومشاعرهم. ومع هذا

كله، تظل المعارضات النبوية تتضمن عناصر مثل الصلاة والدعاء والاستغفار والتوبة

كما توجد في القصائد النماذج التي تم اختيارها للمعارضة.

<sup>٢٨</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١، ط: ٢، ص: ٢٣٠.

<sup>٢٩</sup> أمين شيخ باقري، قصائد المعارضات في المدائح النبوية (دراسة أسلوبية ومفهومية لبردة البوصيري وقصيدة نظام البردة لعلي

أحمد باكثير)، مجلة آداب الكوفة، العدد: ٥٢، ج: ٢، حزيران ٢٠٢٢م، ص: ١٦٥.

<sup>٣٠</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١، ط: ٢، ص: ٢٢٧.

## تحليل البنية

في العصر الحديث، تركز العديد من المدائح النبوية على الشكل العمودي التقليدي والمقدمة الغزلية، التي كانت سمة بارزة في القصائد القديمة. ورغم التجديد في الموضوعات والأساليب الشعرية، يواصل الشعراء المعاصرون استخدام الكلمات والتعبيرات التي تميزت بها المدائح النبوية في العصور السابقة. وهذا يعكس احترامهم للتقاليد الشعرية المتوارثة ورغبتهم في الحفاظ على جوهر هذا النوع من الشعر.

عند دراسة قصائد العصر الحديث، يوجد أن بنيتها لم تختلف كثيرا عن قصائد الماضي. فالشعراء الكلاسيكيون الجدد غالبا ما يختارون الشكل العمودي القائم على نظام الشطرين ووحدة الروي والقافية، حيث يستوحين أعمالهم من آثار الشعراء القدامى. في حق المعارضات، يكون من الطبيعي أن يلتزم الشاعر بنفس الوزن والإيقاع للقصيدة التي يقلدها. وكذلك يظل الشكل العمودي يحتل مكانة مهمة حتى في القصائد التي لا تدخل ضمن المعارضات.

القصائد النبوية والمولديّات الحديثة التي تتبع النمط الكلاسيكي أو التراثي تتميز بتنوع أغراضها ومواضيعها، كالشعر العربي القديم. هذا التنوع ناتج عن معارضة القصائد الأصلية، مما أضعف الوحدة الموضوعية والعضوية فيها. تعتمد هذه القصائد على البحور الطويلة مثل البحر الطويل والبسيط والكامل والوافر والخفيف، وتتأثر بالبوصيري وقصيدته 'البردة'، التي كانت على البحر البسيط وأصبحت نموذجا يحتذى به. القوافي المفضلة تشمل الميم والسين و اللام والتاء والهمزة والجيم. "وهي قوافي

صالحة وطبيعة لرصد التجربة الشعرية المولدية أو النبوية أو الصوفية الروحانية ماعدا قافية الجيم التي تثير جرسا خشنا ونشازا شاعريا".

المديح النبوي يظل متصلا بقوة بالشكل العمودي التقليدي الذي استمر عبر العصور، ويُعدّ الأكثر ملاءمة لمدح الرسول ﷺ، حتى الشاعر بدر شاكر السياب، رغم كونه رائدًا في الشعر الحر، لم يتمكن من تصور قصيدة مديح نبوي خارجة عن هذا الإطار التقليدي. فاختر الشكل العمودي وكتب مديحا على بحر الطويل.

### مقدمة القصيدة

يظهر في قصيدة البارودي أنه انتهج نهج البوصيري وغيره من الشعراء الأقدمين، حيث بدأ قصيدته بالغزل، وأعطاه اهتماما كبيرا مثلما كان يفعل البوصيري في قصيدة البردة. يقول البارودي في مطلع القصيدة:

"يا رائد البرق يَمِّمُ دارة العَلَمِ      واخُدُ الغمام إلى حي بني سلم

وإن مررتَ على الروحاء فامر لها      أخلاف سارية هتّانة الديم"<sup>٣١</sup>.

وتتألف هذه المقدمة من ثلاثة وعشرين بيتا – وليس مما يثير الدهشة أن تكون بداية قصيدة تحتوي على أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا بهذا الطول – كما يظهر تأثير واضح للبوصيري في هذه الأبيات. والمقدمات الطللية تمتد جذورها إلى العصر الجاهلي أو ربما إلى فترات أسبق، وفقا لما قاله امرؤ القيس:

<sup>٣١</sup> البارودي، محمود سامي، كشف الغمّة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، غيظ العدة، مصر-١٣٢٧م، ص: ٣.

"عُوجا على الطلل المُحيل لعلّنا

نبيكي الديار، كما بكى ابن حزام"<sup>٣٢</sup>

فالمقدمات الغزلية أو الطللية هي العناصر الهامة التي تربط بين أشعار الشعراء المحافظين في العصر الحديث والشعر الجاهلي. وعلى الرغم من تنوع المصادر الشعرية وصور البلاغة عبر العصور، إلا أن استخدام المقدمة الغزلية في القصائد ظل يشكل جزء لا يستهان به حتى لشعراء البعث والإحياء، كما يوجد Locus amoenus في بعض الأعمال الشعرية العالمية، وهو توبوس أدبي يصور مكانا مثاليا وسلميا في بداية القصيدة. وفي الحقيقة، فإن طبيعة الحياة الجاهلية هي التي أدت في الشعر العربي إلى ظهور بدايات تتميز بكثرة البكاء على الأطلال، وإظهار الحزن والأسى بذكر ديار المحبوبات، والتأمل في الآثار التي بقيت هناك. وبعد العصر الجاهلي، أصبح هذا الأسلوب مثالا يُحتذى به لللاحقين، وجزءا أساسيا من القصيدة، حتى أن عدم اتباعه كان يجعل القصائد أقل قيمة. وصار وسيلة تساعد الشاعر على الشروع في القصيدة، فلا يكون متحيراً في كيفية البدء. وأيضاً، يترك هذا الأسلوب تأثيراً عميقاً في نفوس السامعين أو القارئین بفضل جمال الوصف، مما يثير فضولهم ويجذب انتباههم. ولذلك، أصبحت المقدمة الغزلية مقبولة ومتداولة بين شعراء جميع العصور، حتى في أصحاب الحركة الكلاسيكية الحديثة، خصوصاً في قصائدهم التي تتناول الحب والمدح النبوي.

<sup>٣٢</sup> د. سليمان، إحسان محمود، المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات (دراسة نقدية تحليلية)، مجلة البحث العلمي في الآداب، (اللغات وأدائها)، جامعة عين شمس، مصر – يناير ٢٠٢٠م، ص: ٢٠٤.

وأيضاً استهل البارودي قصيدته الأخرى في المديح النبوي بمقدمة غزلية رقيقة، يخاطب فيها محبوبته، فيقول:

"يا صارم اللحظ من أغراك بالمهج      حتى فتكتَ بها ظلما بلا حرج  
ما زال يخدع نفسي وهي لاهية      حتى أصاب سواد القلب بالدَّعَج  
طرفٌ لو أنّ الظُّبا كانتُ كلحظته      يوم الكريهة ما أبقتُ على ودج  
أوحى إلى القلب فانقادتْ أزمته      طوعاً إليه وخلاني ولم يعج"<sup>٣٣</sup>

يبدأ الشاعر واصفاً عينيها بالسيف الصارم، متسائلاً عن أغراها لتفتك بالقلوب ظلماً دون أي شعور بالحرج. ويصوّر كيف أن نظرات محبوبته استمرت في خداعه بينما كان غافلاً غير منتبه، حتى أثرت في أعماق قلبه. وتشبّه نظرات محبوبته بالسيوف، حيث لو كانت السيوف في المعركة مثل نظراتها، لما أبقت أي عرق إلا قطعت. وأخيراً يوضح الشاعر عن تأثير نظرات المحبوبة العميق على قلب الشاعر. ويصف كيف أن هذه النظرات أوحى إلى قلبه بأمرٍ ما، مما جعل قلبه يستسلم ويتبعها طوعاً، وتركته في حالة من الدهول والانقياد دون أي مقاومة.

بعدما أبدع البارودي في الوصف الخارجي الطويل لعيني محبوبته انتقل إلى تعبير عميق عن حبه للرسول ﷺ، في جو يغلب عليه المشاعر الروحية السامية. وما يثير الدهشة حقاً في هذه القصيدة هو أن مقدمتها الغزلية، تمتد إلى خمسة عشر بيتاً، بينما يبلغ عدد أبيات القصيدة كاملةً ستة وعشرين.

---

<sup>٣٣</sup> الدعج بمعنى شدة سواد العين، والظُّبا جمع ظُبة بمعنى حد السيف،

مع أن البارودي يسلك طريق الأقدمين في مقدمة قصيدته الميمية، إلا أن الأبيات تحمل في طياتها رموزا ومعاني جديدة، وتتفاعل مع زمن الشاعر وروح عصره بشكل متناغم. تقول مدرس حليلة في بحثها: "ويبدو أن الشاعر بارع في الوصف بما يشير إلى تأمله الطويل، مما جعله يغوص في الأفكار حتى اتسمت بالعمق، فأرضه جدياء يتمنى أن يسقيها الغمام فتكسوها الخضرة، ولعل ذلك الجذب رمز لتلك الفترة العصيبة التي مر بها الشاعر فيتمنى لها أن تستبدل بالفرح"<sup>٣٤</sup>. وكذلك الشاعر يناشد من يسوق البرق ويُدبره أن يستدير ضروع سحابات مليئة بالأمطار الوفيرة.

ونفس البارودي علّق في آخر القصيدة على مقدمتها:

"صدّرتُها بنسيب شفّ باطنه  
عن عفة لم يشنّها قولُ متهم"<sup>٣٥</sup>

يوضح الشاعر بأنّه بدأ قصيدته بنسيب كانت مشاعره فيه نقية وواضحة من الداخل، تعبر عن عفة وطهارة لم يشوهها أو يلوّثها أي اتهام أو شك.

يسلك شوقي دربا موازيا للبارودي في قصيدته 'نهج البردة'، حيث ينسج مقدمة غزلية في مطلعها، تبدأ هكذا:

"رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ  
أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهَرِ الْحَرَمِ  
رَمَى الْقَضَاءُ بَعِينِي جَوْذِرِ أَسَدًا  
يا ساكن القاع، أدرك ساكن الأجم"<sup>٣٦</sup>

<sup>٣٤</sup> حليلة، مدرس، المديح النبوي عند البارودي وشوقي، جامعة وهران، السانبة (الجزائر) - ٢٠٠٨م، ص: ١٥٤.

<sup>٣٥</sup> البارودي، محمود سامي، كشف الغمّة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر - ١٣٢٧م، ص: ٤٧.

<sup>٣٦</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٢٢٩.

لكنّ بعض النقاد، رأى أنّ هذه المقدمة، التي تُؤلّف أربعة وعشرين بيتًا، تُعدّ زائدة عن الحاجة بالنسبة لقدر القصيدة ومحتواها. يقول محمود علي مكي: "وأعتقد أنّ هذه المدحة للرسول ﷺ كانت في غنى عن هذه المقدمة التي بلغت أربعة وعشرين بيتًا منقطعة السبب لما بعدها"<sup>٣٧</sup>.

وللكاتب الشهير علي أحمد باكثير قصيدة مطوّلة في المدح النبوي باسم 'نظام البردة' أو 'ذكرى محمّد'، عارض فيها البوصيري. ولكنه بدأ قصيدته على غير ما درج عليه من سبقوه الذين استهلّوا بردياتهم بالتغزل والنسيب. يقول الشاعر في مطلعها:

يا نجمة الأمل المغشي بالألم      كوني دليلي في محلوك الظلم  
في ليلة من ليالي القُرّ حالكه      صحّابة بصدى الأرياح والديم  
دجى تتالى كأموج المحيط بها      عقلي وقلبي وطرفي كلُّ ذلك عي"<sup>٣٨</sup>.

يخاطب الشاعر نجمة الأمل في ليلة شديدة الظلام والبرودة، مليئة بضجيج الرياح والأمطار. ويصف حالته النفسية التي تتلاطمها الظلمات كأموج المحيط، مما يجعله يشعر بالعجز والضياع. وهذه الحالة تجعله يشعر بالعنى في عقله وقلبه وعينه، مما يزيد من إحساسه بالضياع والارتباك. فهذه القصيدة ليست مجرد مدح تقليدي، بل هي رحلة تأملية تتماشى مع روح العصر وتترك أثرًا عميقًا في نفس القارئ.

وقد سار باكثير على نهج البردة للبوصيري في بنية القصيدة، حيث يتبع أسلوب البوصيري بدقة وتأمل سواء في الموسيقى الخارجية أو الداخلية. وقد اختار باكثير،

<sup>٣٧</sup> محمود علي مكي، المدائح النبوية، ص: ١٤٦.

<sup>٣٨</sup> موقع الديوان، <https://www.aldiwan.net/poem101387.html>، ت.ت: ٢٠٢٤/٠٧/٢.

اقتداءً بالبوصيري، بحر البسيط التام لقصيدته، الذي تتكون أجزاؤه من "مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن" تتكرر أربع مرات. وأمثال هذه البحور الرباعية "تناسب الموسيقى التصويرية الهادئة في الموضوعات الجادة التي تكون أقرب إلى العمق الفكري والعاطفي"<sup>٣٩</sup>.

بينما التزم محمود سامي البارودي في مديحه بالتسلسل التاريخي من مولد النبي ﷺ إلى وفاته مستمداً من السيرة النبوية لابن هشام كما سلف ذكره، لم يحافظ شوقي على هذا التسلسل، مما أعطى قصيدته طابعاً مميزاً يركز على الجوانب الأخلاقية والروحية للنبي بدلاً من الأحداث التاريخية المحددة. واستهلَّ أمير الشعراء بالحديث عن مدى حب المسلمين للنبي واحترامهم له، وكيف أن محبته تعد واجباً على كل مؤمن، كما تناول معجزات النبي العجيبة كالقرآن الكريم والإسراء والمعراج وذكر صفاته الأخلاقية السامية، مركّزاً على صفاته كرسول ونبي مبعوث من الله لهداية البشر إلى الطريق المستقيم. ويتحدث عن جمال خلقه وحكمته ورحمته وعطفه على الناس، مشيراً إلى دوره الكبير في نشر الإسلام وتعليم الناس قيم العدل والإحسان. ويتناول شوقي في قصيدته موضوع الجهاد وفضل الصحابة والخلفاء الراشدين، ويسلط الضوء على جهودهم في نشر الإسلام وبناء حضارته. ويختتم القصيدة بذكر الودّ والصلة العميقة بين أبي بكر ورسول الله، متطرقاً إلى وفاة النبي ﷺ.

---

<sup>٣٩</sup> أمين شيخ باقري، قصائد المعارضات في المدائح النبوية (دراسة أسلوبية ومفهومية لبردة البوصيري وقصيدة نظام البردة لعلي أحمد باكثير)، مجلة آداب الكوفة، العدد: ٥٢، ج: ٢، حزيران ٢٠٢٢م - العراق، ص: ١٦٩.

بعد مقدمة طويلة، ينتقل البارودي إلى وصف شخصية النبي ﷺ بأنه 'خاتم الرسل' الذي خضعت له البشرية من عرب وعجم، كما يصفه بسمات جميلة مثل 'سمير وحي'، و'مجنى حكمة'، و'ندى سماحة'، و'قرى عاف'، و'ريّ ظي'، كما قال الشاعر:

"محمد خاتم الرسل الذي خضعت له البرية من عرب ومن عجم

سمير وحي ومجنى حكمة وندى سماحة وقرى عافٍ وريّ ظي"٤٠.

هذه الأوصاف الرائعة تبرز مكانة النبي العالية مما يعكس احترام الشاعر وتقديره العميق للنبي الكريم، كما تُثير مشاعر القارئ وتجذب انتباهه، مما يجعله أكثر تفاعلاً مع القصيدة.

وأحمد شوقي يصف النبي في معارضته بأوصاف جديدة وجميلة، حيث يقول:

"خطتَ للدين والدنيا علومهما يا قارئ اللوح، بل يا لأمس القلم

أحطتَ بينهما بالسر، وانكشفت لك الخزان من علم، ومن حكم"٤١.

في هذه الأبيات، يشيد أحمد شوقي بعلم النبي محمد ﷺ وحكمته، واصفا إياه بأنه 'قارئ اللوح' و'لأمس القلم' مما يدل على سعة علمه. إذ يراه الشاعران شمساً تضيء دروب البشرية وتُنير ظلمات الجهل والضلال. ومن هنا، ينطلقان لوصف سعة علمه اللامتناهي، ذلك العلم النبوي الذي يشمل الكون وما فيه، ويُرشد العباد إلى طريق الحق والهدى.

٤٠ البارودي، محمود سامي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر-١٣٢٧هـ، ص: ٥.

٤١ شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٢٣٧.

وتتميز قصيدة البارودي بلغة بسيطة ومباشرة. هذا يجعلها سهلة الفهم وقريبة من القلوب. ولا يقلل تبسيط اللغة من جمالية النص بل يعززها، لأنه يتيح للقاصيدة الوصول إلى جمهور أوسع. على سبيل المثال، يصف الشاعر قدوم حليلة السعدية على مكة وأخذها لمحمد اليتيم، وما جلبه ذلك من نعم وبركات:

وأرضعته ولم تيأس حليلة من	قول المراضع إن البوسَ في اليتيم
ففاضَ بالدرِّ ثديها وقد غَنِيَتْ	لياليًا وهي لم تَطعمَ ولم تنم
واهنلَّ بعد انقطاعِ رِسلِ شارفها	حتى غدتْ من رَفِيهِ العيشِ في طُعم
فهَمَّمتْ أهلها مملوءة فرحا	بما أتيج لها من أوفر النعم <sup>٤٢</sup> .

يستخدم الشاعر كلمات مألوفة، ومعاني واضحة للتعبير عن الأحداث والمشاعر. وهو يصف تجربة حليلة السعدية مع محمد اليتيم بلغة سهلة ومباشرة، مما يجعل الأبيات قريبة من المتلقي. إضافة إلى ذلك، تم توظيف الأوصاف الحسية لخلق صورة حية وواقعية، مثل تدفق اللبن من ثديها بعد اليأس، وتحسن حالتها وحالة أهلها بفضل المولود. هذه البساطة في التعبير تساهم في توصيل الرسالة بشكل سلس وواضح دون تعقيد أو غموض، كما في قصائده الأخرى تجنب البارودي في هذه القصيدة الزخارف المملوكية التي كان شعراء العصر المملوكي غالباً ما يبالغون في استخدامها في قصائدهم. وعلى نقيض ذلك، قصيدة شوقي مكتظة بثرائه اللغوي الهائل، حيث تتجلى فيها براعته في توظيف المفردات المتنوعة. ويوجد في بعض أبياته غموض يُضفي على المعنى عمقا

<sup>٤٢</sup> البارودي، محمود سامي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر-١٣٢٧هـ، ص: ٧.

ويُحَفِّزُ التَّأَمُّلَ، مِمَّا يُعَدُّ سَمَةً بَارِزَةً لِكَثِيرٍ مِنْ قِصَائِهِ. لِأَنَّ أَسْلُوبَ شَوْقِي غَالِبًا مَا كَانَ نَخْبَوِيًّا، يَنْعَكِسُ فِيهِ أَسْلُوبُ حَيَاتِهِ الْفَرِيدِ. مَعَ ذَلِكَ لَا تَخْلُو بَعْضُ أَيْبَاتِهِ مِنْ بَسَاطَةٍ، مِمَّا يُضْفِي تَنْوَعًا عَلَى شِعْرِهِ.

تَأَثَّرَتْ قِصِيدَةُ الْبَارُودِيِّ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ بِالْبُرْدَةِ لِلْبُوصِيرِيِّ، كَمَا يَتَضَحُّ مِنْ اسْتِخْدَامِ الشَّاعِرِ لِنَفْسِ الْكَلِمَاتِ وَالْعِبَارَاتِ الْبُوصِيرِيَّةِ كَالْبَرْقِ وَذِي سَلْمٍ وَإِضْمٍ وَ مِنْكْتَمٍ وَمَحْتَشَمٍ. فَالتَّأَثِيرُ لَيْسَ يَتَجَلَّى فِي الْعُنَاصِرِ الْمَوْضُوعِيَّةِ فَقَطْ وَلَكِنْ فِي اخْتِيَارَاتِهِ الْأَسْلُوبِيَّةِ، وَأَنْمَاطِهِ اللَّغَوِيَّةِ أَيْضًا. مِنْ خِلَالِ تَقْلِيدِ لُغَةِ الْبُوصِيرِيِّ، يَشِيدُ الْبَارُودِيُّ بِسَلْفِهِ، وَيَتَّخِذُهُ وَسِيلَةً لِإِنْعَاشِ الْحَرَكَةِ الْأَدْبِيَّةِ. اتَّبَعَ الشَّاعِرُ خُطَى الْبُوصِيرِيِّ قَدَمًا بِقَدَمٍ حَتَّى اهْتَمَّ بِالْأَبْعَادِ الصُّوفِيَّةِ أَهْتِمَامًا كَبِيرًا كَالنُّورِ وَأَوَّلِيَّةِ الْخَلْقِ وَرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَاللَّجْوَاءِ إِلَيْهِ فِي حَالَةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ. يَقُولُ الشَّاعِرُ:

رِجَاءُ آدَمَ مَّا زَلَّ فِي الْقَدَمِ	"هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قَبِلْتُ
لَمَّا التَّقَيْتُ بِهِ فِي عَالَمِ الْحُلْمِ	حَسْبِي بِطَلْعَتِهِ الْغُرَاءِ مَفْخَرَةً
فِي كُلِّ هَوْلٍ فَلَمْ أَفْرَعْ وَلَمْ أَهْمِ	وَقَدْ حَبَانِي عَصَاهُ فَاعْتَصَمْتُ بِهَا
بِحَبْكِمَ صَلَاةَ تَغْنِي عَنِ الرَّحْمِ	يَا سَيِّدَ الْكُونِ عَفْوًا إِنْ أَثَمْتُ فَلَئِي
حَرَزْتُ لِمَبْتَأْسِ كَهْفٍ لِمَعْتَصِمٍ" <sup>٤٣</sup> .	نُورٌ لِمَقْتَبَسِ ذُخْرٍ لِمَلْتَمَسِ

ويبدو أن الشاعر قد اختار التركيز على موضوعات سهل المأخذ، دون التطرق إلى الجوانب الدينية والعقائدية المعقدة، مثل حاجة إرسال الأنبياء إلى البشر، وعمومية

رسالة النبي ﷺ، وكذلك لم يلفت النظر إلى الدعاوي التي رفعها الشعوب الأخرى وإلى الردود عليها.

وتسعى هذه القصيدة إلى بيان المبادئ الإسلامية من خلال سرد السيرة النبوية. فالقصيدة لا تكتفي بمدح النبي فقط، بل تهدف إلى تعليم القارئ وتوجيهه نحو القيم الإسلامية، مثل الصدق، والأمانة والرحمة والعدل، مما يجعلها أداة تعليمية بالإضافة إلى كونها عملاً أدبياً. والقراءة المتأنية للقصيدة تُظهر حرص الشاعر على استلها موعظه من القرآن الكريم فمثلاً قوله:

"كل امرئ واجد ما قدمت يده إذا استوى قائماً من هوة الأدم

والخير والشر في الدنيا مكافأة والنفس مسؤولة عن كل مجرم"<sup>٤٤</sup>

يبرز الشاعر منه بوضوح المعنى الذي ترشد إليه الآية القرآنية الكريمة: "فمن يعمل

مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"<sup>٤٥</sup>.

وبالنهاية تجمع قصيدة 'كشف الغمة في مدح سيد الأمة' للبارودي بين البساطة والجمال في اللغة، والشمولية في السرد، والوضوح في الرسالة. هذه الخصوصيات تجعلها نصاً مميزاً يعكس حب الشاعر للنبي محمد ﷺ ورغبته في نشر سيرته العطرة وقيمه النبيلة. يقول محمود علي مكي: "...فالبارودي كان ذواقة للشعر بصيراً بنقده، ومعارضته لبردة

<sup>٤٤</sup> نفس المصدر، ص: ٦٠.

<sup>٤٥</sup> سورة الزلزلة، الآية: ٧.

البوصيري تدل على اقتناعه بجودة هذه القصيدة، هذا بالإضافة إلى تدينه العميق ولا سيما في سنواته الأخيرة التي قاسي فيها آلام المنفى<sup>٤٦</sup>.

إضافة إلى ما ذكر، قصيدة الشاعر محمد عبد المطلب (١٨٧١م - ١٩٣١م)<sup>٤٧</sup> من أبرز المدح النبوية في العصر الحديث. في قصيدته 'ظل البردة' التي تتألف من ١٢٣ بيتا، سعى الشاعر إلى رسم صورة للنبي ﷺ تعكس جوهر حياته، وخصاله، وسلوكياته. التزم الشاعر بالخط الزمني في تصوير أحداث حياة النبي ﷺ، مع ترك مساحة للعواطف الوجدانية لتتخلل السرد التاريخي من حين لآخر. فجاءت القصيدة كنسيج متناغم يجمع بين السرد التاريخي والوجدان، على بحر البسيط، وبروي ميم مكسورة، يستهل قصيدته بقوله:

"أغرى بك الشوق بعد الشيب والهزم سار طوى البيد من نجد إلى الهرم"<sup>٤٨</sup>.

ختاما، يمكن القول إن المعارضات الشعرية في المديح النبوية في العصر الحديث تمثل جسرا بين التراث والحداثة. من خلال هذه المعارضات، يعبر الشعراء عن حيمهم وإجلالهم للنبي ﷺ استقاء من الأفكار التي عالجهما الشعراء في العصر الماضي. فعلى الرغم من حفاظهم على البنية التقليدية للقصائد الكلاسيكية، إلا أنهم يدمجون فيها رؤى معاصرة وتجارب شخصية تعكس تحديات وظروف الحياة الحديثة.

<sup>٤٦</sup> محمود علي مكي، المدائح النبوية، ص: ١٤٢

<sup>٤٧</sup> هو شاعر مصري اشتهر بلقب شاعر البادية، وفيه مرثية لأحمد شوقي في ديوانه.

## القصائد الإبداعية

من المدائح النبوية في العصر الحديث قصائد إبداعية، وهي تختلف عن القصائد التقليدية والمعارضات الشعرية في عدة جوانب. بدلا من تكرار الأنماط القديمة أو تقليد القصائد الكلاسيكية، يعبر الشعراء في العصر الحديث عن حبه للنبي الكريم بطرق مبتكرة تتناسب مع التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية المعاصرة. وقد أسهم العديد من الشعراء المبدعين في كتابة القصائد التي تتناول شخصية الرسول الكريم بشكل يبتعد عن تقليد الأشعار القديمة، بل يركز على تجديد الإبداع الشعري وتحديث أساليب التعبير في مدحه والحديث عن سيرته العطرة.

## تحليل الأفكار

تصوير السيرة النبوية: من أهم الموضوعات في المدائح الإبداعية الحديثة استعراض سيرة النبي ﷺ وذكر الأحداث التاريخية في حياته. ففي ملحمة "مجد الإسلام" للشاعر المصري حمد محرم، يسرد الشاعر هذه الأحداث بطريقة قصصية تشبه الروايات. فعلى سبيل المثال، عندما يصف غزوة بدر يقول:

"إِنَّا وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ نَبْتَعِي  
ما اللهُ يعطي المتقين ويمنح  
لسنا بقوم أخيك موسى إذ أبوا  
إلا القعود وسُبَّةً ما تضح  
الموتُ في يدهِ وعند لوائهِ  
ريحُ الجنانِ لمن دنا يَسْتَرُوحُ"<sup>٤٩</sup>

<sup>٤٩</sup> محرم، أحمد، ديوان مجد الإسلام، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٥٩.

في هذه الأبيات يظهر كيف يتبع الصحابة النبي ﷺ في المعركة، وهم مستعدون للتضحية بأرواحهم، ففكرة الأبيات تعطي العمل طابعا بطوليا قويا يربط الماضي بالحاضر.

يقول الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم في تقديم الديوان: "فحسبي أن أذكر اليوم في تقديم الديوان أن ((محرمًا)) قد عمد إلى أروع الحوادث في تاريخ غزوات الرسول وإلى أشهر البطال، من وجهة نظره الشعرية وسجل في شعره الرصين مالهم من مواقف مجيدة وأعمال خالدة.

وقد خالف شعراء الملحمة العربية، فكانت تغلبه عاطفته فيترجم عن شعوره بطريقة مكنته من أن يطيل الوقوف على حوادث هينة، وأن ينفذ إلى صميم المعاني ويستقصى التفصيلات وبصورة الأبطال صوراً كاملة"<sup>٥٠</sup>.

أطلق الشاعر على الجزء الأول<sup>٥١</sup> من ديوانه اسم 'مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية'، حيث تناول فيه حياة الرسول الكريم في مكة، وهجرته إلى الطائف، وتحدث عن استقراره في المدينة، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، بالإضافة إلى موقفه من اليهود والمنافقين. الشاعر غالباً ما يقدم كل فصل بمقدمة نثرية تمهد لموضوع القصيدة. الدعوة إلى الاقتداء به ﷺ: في معظم المدائح النبوية في العصر الحديث توجه قوي يدعو القارئ إلى التمسك بسنة الرسول الكريم والاقتداء بأخلاقه. فعلى سبيل المثال، يقول الشاعر الجزائري محمد العيد في قصيدته:

---

<sup>٥٠</sup> أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام (مع تقديم الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم)، مجلة الرسالة، دار الرسالة بشارع سلطان حسين، القاهرة - ٥ مايو ١٩٥٢ م، العدد: ٩٨٣، ص: ٥٠٦.

<sup>٥١</sup> وفي بعض النسخ لهذا الديوان، لم يكن تقسيم إلى أجزاء، بل ظهر العمل كقطعة واحدة دون أي إشارة إلى أجزاء منفصلة.

"بمحمد أتعلق وبخلقه أتخلق

وعلى البنين جميعهم في حبه أتفوق"<sup>٥٢</sup>.

وهو إقرار ضمني بأن التقوى والأخلاق الرفيعة تأتي باتباع سنّة النبي ﷺ. ويؤكد: "أنا مسلم أهوى الهدي، بسواه لا أتحقّق"<sup>٥٣</sup>، مبيّنا أن الانتماء للإسلام في جوهره يتطلب جعل نهج الرسول ﷺ سبيلا للموعظة. فتكون القصيدة دعوة تربوية صريحة للتمسك بسيرته والعمل بمبادئه.

تمجيد الأمة ووحدة المسلمين: تتجلى كذلك في بعض النصوص الدعوات إلى تماسك الأمة وتعاون المسلمين. تظهر هذه الفكرة في أبيات تحث على التعايش والاعتصام بحبل الانسجام. مثلا يقول الشاعر كاظم جواد في قصيدته: "وحدّوا الصفوف واستقبلوا الحتوف"<sup>٥٤</sup>، مصورا أهمية المحبة المتبادلة والوئام في العالم المعاصر المليء بالصعوبات والأزمات. ويختتم الأبيات بـ"نحن رجال الحب والسلام والجمال"<sup>٥٥</sup>، فيُظهر بذلك بُعدا إنسانيا راقيا، إذ يصور الأمة متحدة في قيمها العليا. يعكس هذا الميل تمجيذا للأمة المسلمة كرابطة متضامنة، ويرفع الشعارات الأخوية للتأكيد على روح الإخاء والوحدة بين المسلمين.

---

<sup>٥٢</sup> العيد آل خليفة، محمد بن محمد، *الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر* - ٢٠١٠م، ص: ١٥٤.

<sup>٥٣</sup> نفس المصدر، ص: ١٥٤.

<sup>٥٤</sup> الجراح، حيدر، *خاتم الرسل في الشعر العربي المعاصر، شبكة النبا المعلوماتية، ت.ت: ٢٠٢٥/٠٤/٠٥م*

<https://annabaa.org/nba46/khatem.htm>

<sup>٥٥</sup> نفس المصدر، ت.ت: ٢٠٢٥/٠٨/٠٥م

الشاعر المهجري جورج صيدح كتب قصيدة بعنوان 'محمد'، يُمجّد فيها النبي الكريم، مشيدا بمواقفه السامية وإنجازاته النبيلة التي غيرت مسار التاريخ. في هذه القصيدة، يدعو صيدح الأمة إلى النهوض من كبوتها واستعادة أمجادها. ويظهر عمق تقديره لشخصية النبي العظيمة ودوره القيادي في إرساء المبادئ النبيلة.

في آخر قصيدته يطرح الشاعر أدعية يتمنى فيها أن يبارك الرسول ﷺ جهاد المؤمنين المنطلقين إلى المعارك، وأن يمدّهم بالعون ضد الظالمين، ويحمي فلسطين من بطش الأعداء الحاقدين، فيقول:

"بارك جهاد المؤمنين      النافرين إلى الطعان

الضارعين إليك باسم      الآل والصحب الغران

وبيوم مولدك السني      وبحق موحيك القرآن

أن لا تصون دماءهم      وامنح فلسطين الصيان"<sup>٥٦</sup>.

الدعوة إلى القيم الإنسانية والتسامح: يتجاوز مضمون بعض المدائح الحديثة حدود المديح الصرف حيث يتم فيها ترسيخ قيم سامية مثل التسامح والرحمة والسلام. يُقدّم فيها الشعراء الرسول ﷺ كشخصية تمثل الإنسانية الجامعة، وتُعلي قيمة الأخلاق والاعتدال. وكانت هذه النزعة أظهر في قصائد شعراء المهجر، لأنهم كانوا يتمتعون بحس إنساني عميق وروح من التسامح الديني. وكانوا ينظرون إلى الإسلام كدين سماوي رفيع، يتسم بالعظمة في جوهره وشعائره. من أقوى الأدلة على ذلك موقف جبران خليل

<sup>٥٦</sup> د. محمد خاقاني ومحمد رضا عزيزي بور، المديح النبوي وبيوعته في الشعر المهجري، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: ٩-٢٠٠٨م، ص: ١٩.

جبران، الذي يقول: "أنا مسيحي ولى الفخر بذلك، ولكني أهوى النبي العربي وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله. إنني أسكن المسيح شطرا من حشاشتي ومحمدا الشطر الآخر"<sup>٥٧</sup>. هذه الكلمات تعبر عن احترام عميق للإسلام وشخصية النبي ﷺ، وتجسد روح الانفتاح والتسامح.

أنشد عدد من شعراء المهجر قصائد تفيض حبا ومودة للنبي محمد ﷺ، حيث أبرزوا فيها قيم الإسلام التي تتسم بالحب والإخاء والتسامح. مدحوا الرسول الكريم ودعوا العرب والمسلمين إلى التكاتف ونبذ الفرقة، وحثوهم على استعادة أمجادهم الماضية والنهوض من عثراتهم، كما دعوا إلى التسامح والتآخي بين المسلمين والمسيحيين، لتحقيق نهضة الشرق ورفع شأنه مجددا. ولم يكن مدحهم هذا بدافع الإرضاء للحكام، بل جاء صادقا نابعا من إعجابهم بشخصية النبي الفريدة التي تجذب الأدباء والمفكرين. يعبر الشاعر القروي رشيد سليم الخوري في قصيدته 'الربيع الأخير' (١٩٣٢م)، عن فخره بكلا النبيين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، مشيرا إلى دورهما الهام في هداية البشرية، فيقول الشاعر:

"نور المسيح تجلى من مذاودنا      وسيف أحمد من صحرائنا شهرا"<sup>٥٨</sup>

<sup>٥٧</sup> أحمد صبره، د. فؤاد، الرسول ﷺ في الأدب العربي الحديث، ص: ٢٨٨.

<sup>٥٨</sup> د. محمد خاقاني ومحمد رضا عزيزي بور، المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: ٩-٢٠٠٨م، ص: ١٩.

يجمع الشاعر القروي في هذا البيت بين النور الروحي الذي مثله المسيح والقوة المادية والروحية التي مثلها النبي الكريم، وذلك يعكس فخره بكلا النبيين عليهما الصلاة والسلام ويظهر رجاءه في التضام والانسجام.

## تحليل البنية

البناء الملحمي: تتسم بعض المدائح في العصر الحديث ببنية سردية ضخمة تحاكي بنية الملحمة التاريخية. يتجلّى ذلك في 'ديوان مجد الإسلام' لأحمد محرم الذي عرف بالإلياذة الإسلامية، إذ نسج الشاعر قصيدة ممتدة لثلاثة آلاف بيت مرتبة زمنياً لتغطية الغزوات والوقائع النبوية. يراعى الناظم فيه تسلسل الأحداث، فيظهر النصّ كأنه قصة بطولية تروي أمجاد الماضي.

الأسلوب التعليمي والوعظي: غلبت على بعض القصائد نبرة الخطاب التوجيهي، فتبدو كعظات منظومة تحثّ على فضائل الدين. إذ تقدّم مبادئ الدين كتعليمات تصقل الروح، مستفيداً من الإيقاع الشعري لتعزيز التأثير. ومن ثمّ تؤدي هذه الأبيات دوراً تثقيفياً وتربوياً، تكوّن لدى المستمع إحساساً بالتزام الأخلاق والفضائل النبوية بأسلوب منظوم وجذاب.

الأسلوب الرمزي: ظهر في شعر المديح الحديث طابع رمزي، متأثراً بشعراء المهجر والرومانسية، حيث يستخدم الرموز والصور البديعية. ففي بعض القصائد يُرمز بالنبي ﷺ إلى حياة جديدة أو أمل متجدد. فمثلاً يقول الشاعر العراقي شاذل طاقة:

"في رحم كل امرأة محمّد جديد

يمسح دمع الثاكلات، يبعث الحياة"<sup>٥٩</sup>

يستخدم هنا شاعر المهجر استعادة صورة النبي رمزياً ليعبر عن ولادة روح جديدة في الأمة. يتيح هذا الأسلوب الحرية الفنية في التعبير؛ فتصبح أبيات المدح أشبه بلوحة رمزية تغوص في عمق المشاعر والآمال.

الوزن والقافية والتجديد الشعري: يبقى الالتزام بالوزن والقافية التقليدية في معظم المدائح النبوية الحديثة، كما في بيت العيد السابق، الذي يُحافظ على إيقاع عربي كلاسيكي. فمحرم والعيد آل خليفة يحافظان على أوزان وقوافي تقليدية، بينما شعراء المهجر قد يُدخلون مع الحفاظ على القافية تفعيلات جديدة أو إيقاعات أكثر ليونة تجعل النص أكثر انسيابية.

في العصر الحديث، تطوّر شعر المديح النبوي بشكل ملحوظ، خاصة في القرن العشرين، حيث أعاد الشعراء الاهتمام بسيرة النبي محمد ﷺ كمصدر إلهام ديني وحضاري. وكان لمحمود سامي البارودي وأحمد شوقي دور كبير في هذا التحوّل؛ فقد جمعا بين أساليب الشعر القديم وتأثيرات العصر الحديث. وكذلك تنوّعت أشكاله بين القصائد الطويلة والملمحية والمقطوعات الإبداعية، دون أن يفقد طابعه الإسلامي المميز. ولم يعد المديح النبوي في هذا العصر مجرد تعبير عن مشاعر دينية، بل أصبح وسيلة أدبية شاملة تعبّر عن قضايا المجتمع وهموم الأمة.

---

<sup>٥٩</sup> ابن فرديّة، مراد، *تمثّلات الأخر في الخطاب الصوفي*، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة قاصدي مرباح - ورقلة كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، ٢٣، ٢٠٢٣ م، ص: ٣٣.

## الفصل الثالث: أحمد شوقي: حياته وأعماله

### حياة الشاعر

أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، شاعر مصري يمتاز بموهبة استثنائية، ذاع صيته في الآفاق كأثير الشعراء. أثرى الأدب العربي بقصائد ذات معانٍ مبتكرة وأسلوب بليغ، إلى جانب بعض الأعمال النثرية. ولد الشاعرُ في العشرين من رجب ١٢٨٧هـ الموافق ل ١٦ أكتوبر/تشرين الأول سنة ١٨٦٨م. وفقاً لما ذكره محمد صبري، مستنداً إلى كُتيب أصدره سكرتير أحمد شوقي الخاص، أحمد عبد الوهاب أبو العزّ، يُعتقد أن شوقي وُلد في عام ١٨٦٨م<sup>٦٠</sup>. ومع ذلك، يوضح طه وادي، أستاذ الأدب الحديث بجامعة القاهرة، أن تاريخ ميلاد شوقي هو ١٨٧٠م بناءً على وثائق رسمية مثل شهادة ليسانس الحقوق التي حصل عليها من باريس. من ناحية أخرى، أشار شوقي ضيف في كتابه 'شوقي شاعر العصر الحديث' إلى أن ميلاد الشاعر كان في عام ١٨٦٩م، قائلاً: "انتخبت ربّة الشعر شوقي وأهدته إلى مصر سنة ١٨٦٩"<sup>٦١</sup>.

ولد ونشأ أحمد شوقي في باب إسماعيل بحيّ الحنفي في القاهرة القديمة في أسرة تحمل عناصر أربعة - عربية شركسية من جهة أبيه وتركية يونانية من جهة أمّه. وجدّه لأبيه الحامل اسمه 'أحمد شوقي' وصل من العراق إلى مصر في عهد محمّد علي (١٨٠٥-١٨٤٨م). ولمّا ازدادت معرفة الحاكم بهذا العربي الكردي الذي يحسن كتابة العربية

<sup>٦٠</sup> وادي، طه، شعر شوقي الغنائي والمسرحي، أحمد شوقي: دراسة في أعماله الروائية (رسالة الماجستير) لأصيل عبد الوهاب يوسف عطوط، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين-٢٠١٠م، ص ٦.

<sup>٦١</sup> ضيف، أحمد شوقي عبد السلام، شوقي شاعر العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-٢٠١٠م، ص ٩.

والتركية خطأ وإنشاء أعجب به إعجابا كبيرا فعينه في المناصب السامية حتى إنه صار  
ذا ثروة عالية جعلت عيشه وعيش أسرته رغدا<sup>٦٢</sup>.

وجدُ الشاعر لأمه أحمد حليم النجدة كان تركيًّا عاشَرَ ابن محمّد علي الأكبر إبراهيم  
باشا عندما قام على عرش مصر، فصار من المقرّبين منه، فزوَّجه الحاكم امرأة يونانية  
معتوقة حصلت على وظيفة زوجها بعد ما توفّي في عهد الخديوي إسماعيل، وعاش  
الشاعر أحمد شوقي في كنفها فيما بعد من الزمن.

كان أحمد شوقي في سعة الرزق والخصب منذ نعومة أظافيره، لأن معظم حياته كانت  
في قصر الأسرة العلوية. يذكر شوقي لحظاته الأولى في القصر فيقول في مقدمة ديوانه  
"أخذتني جدتي لأمي من المهدي وهي التي أرثيها في هذه المجموعة، وكانت منعمة وموسرة  
فكفلتني لوالدي، وكانت تحنو عليّ فوق حنوّهما، وترى لي مخايل في البرّ مرجوة، حدّثتني  
أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل، وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن  
السماء من اختلاط أعصابي، فطلب الخديوي بكرة من الذهب، ثمّ نثرها على البساط  
عند قدميه، فوقعت على الذهب اشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجدتي: اصنعي معه  
مثل هذا، فإنّه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض، قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من  
صيدليّتك يا مولاي، قال: جيئي به إليّ متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر"<sup>٦٣</sup>.

---

<sup>٦٢</sup> نفس المرجع، ص ٩، أحمد عبد الوهاب أبو العز، *إثني عشر عاما في صحبة أمير الشعراء*، ص ٩.

<sup>٦٣</sup> وادي، طه، *شعر شوقي الغنائي والمسرحي*، أحمد شوقي: دراسة في أعماله الروائية (رسالة الماجستير) لأصيل عبد الوهاب يوسف عطعوط، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين-٢٠١٠م، ص ٧.

وهذه الطبيعة كانت متمثلة في أيامه القادمة إذ كان يحن دائما إلى أن يصبح كوكبا يظهر في سماء مصر، والتمس له وسائل بقدر المستطاع.

التحق الشاعر بكتاب الشيخ صالح بحي السيّدة زينب عندما مضت أربع سنين من عمره، وتعلّم القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن، ثم مهّدت الأوضاع الأرستقراطية لشوقي طريقا إلى التعليم المدني الحديث - وكان قد أخذ التعليم العصريّ مأخذا جديدا ومنحى لم يُسبق في عهد إسماعيل - فواصل دراسته في مدرسة المبتديان الابتدائية فالتجيزية الثانويّة التي أبدى فيها موهبته الشعرية النادرة، لأنه رغم حداثة سنّه كان ينكبّ على دواوين الشعراء القدامى العباقر. واتّجه بعد تخرّجه فيها في الخامسة عشر من عمره إلى مدرسة الحقوق (مدرسة الإدارة سابقا وكلية الحقوق لاحقا) كما هو عادة المثقّفين، وفيها تفتّن أستاذه محمّد البسيوني البيباني إلى نبوغه وقوة إبداعه. وكان من جلة الأساتذة في الأزهر، ثمّ عين إماما في حضرة الخديوي توفيق - وهو ابن إسماعيل - حاكم مصر آنذاك، وصار معلّما لأولاده ثمّ مدرّسا للغة العربية في مدرسة الحقوق. وهو المعلّم الوحيد الذي أثر على أفكار شوقي من أساتذة الأزهر المختصّين في علوم الدين. وأعجب الأستاذ بشوقي وذوقه الأدبيّ أشدّ الإعجاب، ودائما ما كان يحفّزه إلى قرض الأشعار بألوان من التدريب حتى كان يملئ قصائده التي نظمها في مدح الحاكم على شوقي قبل أن تُنشر في 'الوقائع المصرية'، فيُشير الشاعر إلى تعديل الكلمات والأبيات وتصحيح القوافي، وذلك ممّا يسعد الأستاذ لأنه عرف أنّ تلميذه دخل في الدرب الذي دخل فيه نفسه.

وبإشارة من الأستاذ، مُنح الشاعر فرصة الانضمام إلى قسم الترجمة الذي أنشئ حديثاً في مدرسة الحقوق. بعد أن أتقن اللغتين الفرنسية والتركية وحصل على الشهادة في عام ١٨٨٧م، قرر الخديوي توفيق إرساله إلى باريس لإكمال دراسته في الحقوق. وبعد الوصول إلى فرنسا أقام الشاعر في مونبلييه (Montpellier)، والتحق بمدرسة الحقوق فيها. ولما مضت سنة على حياته الغربية تواسجت الهموم في قلبه بفراق أسرته ووطنه أياماً طويلة، فبدأ له أن يرجع إلى مصر ولكن منعه الحاكم. وفي السنة الثانية دعاه مدير البعثة إلى باريس وأخبره بأن أصدقائه يريدون أن يعقدوا نزهة لقضاء أيام العطلة في إنجلترا، فوافق الشاعر عليه، واستطاع أن يملأ عينيه وقلبه بمناظر طبيعية فاتنة. انتشرت الكوليرا في فرنسا خلال هذه الأيام، فذهب من إنجلترا إلى مرسيليا ثم الأستانة، ولكن أصابه المرض واشتدّ به حتى كاد يقع في هوة الموت. ولما بدأ يتحسن أشار عليه طبيبه أن يرجع إلى إفريقيا وقيم في جوهها، فاختلف إلى الجزائر وقضى فيها أربعين يوماً، ثم انصرف إلى فرنسا لمواصلة دراسته وحصوله على الشهادة النهائية في الحقوق. أقام شوقي في فرنسا مدة تستغرق ثلاث سنين وستة أشهر، وتعرّف في هذه الحقبة على الآداب الغربية، وقرأ أعمال فيكتور هيجو ولامرتين ودي موسيه (Musset Alfred de). وزار شوقي مسارح ودور الأوبرا بباريس. فكانت هذه الأيام طافحة بتجارب جديدة، فيها ما يجعل امرأ لم ير إلا جدران القصر يشعرُ بنبضات الشعب ويفكر في مشاكلهم. لكنّ المتوقع لم يحدث. لم تساعد هذه التجارب على إخراجه من السبات العميق، ولم تُغيّر حياته الشخصية قلاماً ظفر - وإن كانت مؤثرة بقدر كبير في أشعاره وآثاره. بقي الشاعر

داخل القصر، لا يكتب إلا ما يرضي حاكم مصر، ولا يُعبر عن غضبه إلا فيما يوافق رأي الحاكم. وهذا ملحوظ جدًا في حياته الطويلة بعد ما رجع إلى مسقط رأسه في سنة ١٨٩٢ م. وكان الوالي في ذلك الوقت الخديوي عبّاس حلبي الذي جلس على أريكة مصر بعد وفاة توفيق. يصف طه حسين هذه المرحلة في حياة الشاعر فيقول: "لقد كان شوقي في أوّل أمره شاعرا أثرا، يحبّ نفسه ويلتمس لها أسباب اللذة والنعمة، ثمّ شاعرا موظفا يقف ملكاته على الأمير والسلطان"<sup>٦٤</sup>.

لا شك أن رحلة الشاعر إلى فرنسا كانت نقطة تحول في حياته، حيث رفعت مكانته في القصر. هذه المرة، استطاع أن يجذب انتباه السلطة بموهبته الفذة وحدها، دون الحاجة إلى الاستعانة بحظوة جدّيه عند القصر.

نال شوقي منزلة متميزة لدى الخديوي عباس، رغم أن الأخير قد أعرض عنه في البداية بسبب بعض الأراجيف التي وصلت إلى مسامعه، وكانت من صنع الوشاة. لاحقا، عينه عباس في قلم الإفرنجي، ليصبح شوقي صوتا للخديوية المصرية، يُتابع الحاكم في كل خطواته. لكن بعد الاحتلال الإنجليزي، نُفي الشاعر إلى إسبانيا سنة ١٩١٤ م.

كانت فترة شوقي زمنا مليئا بالتقلّبات الكبيرة في العالم الإسلامي عامة، وفي مصر خصوصا، وكان لهذه التغيرات أثر واضح في حياته وشعره. فقد شهدت مصر قبيل الاحتلال البريطاني فترة استقلال قصيرة، تلتها الثورة العرابية ضد الخديوي توفيق بسبب تساهله في حقوق الفلاحين وزيادة التدخل الأجنبي في شؤون الإدارة. وبعد ذلك،

---

<sup>٦٤</sup> حسين، طه، حافظ وشوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - ٢٠١٢ م، ص ١٣٥.

جاء الاحتلال البريطاني لمصر في عام ١٨٨٢م، الذي كان مصدر قلق دائم للسلطات والشعب على حد سواء، مما أدى إلى ظهور الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد. وفي نهاية المطاف، تم نفي الشاعر إلى إسبانيا من قبل الإنجليز بعد خلع الخديوي عباس واندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م.

وكان في حياة شوقي ثلاث مراحل، الأولى منها مرحلة ما قبل النفي، والثانية مرحلة قضائها في المنفى، والأخيرة مرحلة ما بعد رجوعه إلى مصر. وكان في مصر في أواخر القرن التاسع عشر ثلاث تيارات متفرقة: الأول منها يناصر الإنجليز ويكره الأتراك، ومن زعمائه مصطفى فهمي باشا ونوبار باشا، والثاني منها أصحاب 'المؤيد' الذين كانوا مع الخديو، يُظهرون الولاء لتركيا على أن فيها الخلافة الإسلامية، والثالث هو الحزب الوطني الذي يطالب باستقلال مصر استقلالاً تاماً، وقد تزعمه مصطفى كامل<sup>٦٥</sup>. وكان شوقي في مرحلته الأولى مناصراً للخديو ومؤيداً له حقّ التأييد. وذلك أنه أحبّ أن يواصل عيشه في ظلّ القصر، وأنّ الحكومة المصرية كانت تابعة للخلافة العثمانية في تركيا، وخلافة آل عثمان كانت أهمّ المواضيع التي عالجها الشعراء والمثقفون في ذلك العصر، إذ اعتقدوا أنّ الجامعة الإسلامية لا تتحقق إلا على أيدي العثمانيين. وما كان في الشعراء من تخلف عن المشاركة بشعره في حرب تركيا وأحداثها الجسام مثل حرب اليونان (١٨٩٧م) وحرب البلقان (١٩١٢م) ومثل إعلان الدستور العثماني (١٩٠٨م) مع أنّهم مختلفون في نزواتهم الأدبية. وكانوا يرون أنّ الخليفة هو الجامع لشمّل المسلمين، وأنّه

<sup>٦٥</sup> حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، دار الجيل، بيروت - ١٩٨٦م، ط: ١، ص ٤٤١.

حين يحارب فهو إنّما يحارب دفاعا عن الإسلام. ولعلّ هذه النزعة الإسلامية الفائقة تكون امتدادا للنزاع الصليبي في العصور الوسطى. ويضاف إلى ذلك أن الروس وفرنسا والإنجليز وغيرها من القوّات الإستعمارية ما زالت تطلّع إلى الدول العربية عامّة، وإلى الدولة العثمانية خاصّة. فشوقي ما كان استثناء من أقرانه في دعم الدولة العثمانية والاعتناء بما وقع فيها من أحداث مريحة أو نوازل أليمة.

وصار الشاعر في منفاه - وهو الطور الثاني من حياته - مساندا للوطنية السائدة في ربوع مصر، وأيد ثورة ١٩١٩م التي قامت بها و بات يرقب الجهاد الوطني إلى أن عاد إلى وطنه سنة ١٩٢٠م. وفي مرحلته الثالثة والأخيرة، قويت القيمُ الوطنية والإسلامية في نفس الشاعر، وظهر الانتماء الاجتماعي في أدبه أكثر ممّا كان قبلها، وظلّ التاريخ المصري أهمّ مضامين شعره، وصدر منه عدد ملحوظ من النتاج في هذه المرحلة إلى أن وافاه اليقين المحتوم سنة ١٩٣٢م.

### الآثار الشعرية لأحمد شوقي

خلف أحمد شوقي إرثا أدبيا واسعا يشمل عددا هائلا من الأشعار والقصائد التي تناولت موضوعات متنوعة، بالإضافة إلى عدد قليل من الروايات. وقد ساعد الشاعر الثقافات المختلفة والانكباب على كتب الشعر القديمة في السير على مسيرات غير معبّدة، مما أتاح له تجديد الشعر من خلال مواضيع مبتكرة لم يلتفت إليها من سبقه أو عاصره. وتميّز الشاعر من نظرائه حيث إنّه تناول معظم الأغراض الشعرية من غزل ومدح وثناء ووصف وما إلى ذلك. والنعته 'الإسلامي' أيضا يميّزه عن الشعراء الذين عاصروه، أوجاءوا

بعده بقليل من شعراء المهجر وشعراء الديوان وجماعة أبولو الذين لم يكن الإسلام مركز اهتمامهم<sup>٦٦</sup>. ومن العوامل التي ساهمت في نيل شوقي لقب 'أمير الشعراء' هو غزارة إنتاجه الشعري، حيث كتب أكثر من ثلاثة وعشرين ألفاً وخمسمائة بيت، وهو عدد لم يصل إليه أي شاعر معاصر أو قديم. تفوق شوقي على أقرانه في جوانب متعددة، مما جعل موهبته موضع نقاش حاد بين الباحثين والنقاد. فقد أشاد البعض بزعامته الشعرية واعتبروه من أعظم شعراء اللغة العربية على الإطلاق، مثل أحمد حسن الزيات وصالح جودت ومحمد صبري، بينما وجه آخرون نقداً له، مثل طه حسين وعباس محمود العقاد.

تم جمع أشعار أحمد شوقي في ديوان مكوّن من أربعة أجزاء، عُرف باسم 'الشوقيّات'. يحتوي الجزء الأول على مقدمة وسيرة حياة الشاعر، إلى جانب قصائد نظمها في القرن التاسع عشر، والتي تناولت موضوعات السياسة والتاريخ والاجتماع. أما الجزء الثاني فتركز معظمه على قصائد الوصف، مع وجود بعض القصائد التي تناولت التاريخ والسياسة والاجتماع. الجزء الثالث، الذي طُبع بعد وفاة شوقي، خصص للثناء، في حين أن الجزء الرابع، الذي طُبع في عام ١٩٤٣م، اشتمل على قصائد في عدة أغراض، كان التعليم أبرزها.

في أواخر حياته، أبدع الشاعر العبقري في كتابة المسرحيات الشعرية، وهو بذلك كان رائداً في هذا المجال بالأدب العربي. من أشهر أعماله المسرحية 'مصرع كليوباترا'،

---

<sup>٦٦</sup> عرفان شهيد، العودة إلى شوقي أو بعد خمسين عاماً، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت - ١٩٨٦م، ص ٣٧٥.

'مجنون ليلي'، 'قمبيز'، 'علي بك الكبير'، 'عنتره'، 'الست هدى' و'البخيلة'. جمعت معظم هذه المسرحيات عناصر المأساة، باستثناء 'الست هدى' و'البخيلة' اللتين تنتميان إلى الكوميديا. كما كتب شوقي مسرحية نثرية بعنوان 'أميرة الأندلس'. مسرحيات أحمد شوقي تأثرت بشكل كبير بالمسرح الفرنسي، حيث اقتبس بشكل خاص تقنيات الكتابة التي استخدمها كل من راسين وفولتير وغيرهما من الكتاب الفرنسيين. وتعتمد هذه المسرحيات على نفس الأساليب المسرحية التي كانت رائجة في فرنسا خلال القرنين السابع عشر والخامس عشر، مع التركيز على موضوعات كلاسيكية، تقدم بأسلوب مبتكر ومتميز.

### ملاح المديح في شعر شوقي

تعتبر قصائد المدح من أبرز الأشكال الشعرية التي برع فيها الشاعر أحمد شوقي، وقد شكلت جزءا كبيرا من إنتاجه الشعري المبكر. ارتبط هذا النوع من الشعر ارتباطا وثيقا بكون شوقي شاعر البلاط، مما جعله يوجه قصائده إلى الحكام والسلاطين طلبا للرضى والمكافآت. أولى خطوات شوقي في عالم المديح كانت حينما كان طالبا، حيث أرسل قصائده للخديوي توفيق وصحح ما كتبه أستاذه الشيخ محمد البسيوني. كانت هذه مسيرته الابتدائية في سماء الشعر، وكانت وسيلته للوصول إلى القصر. وقد أثمر ذلك، إذ لفت شعره انتباه الخديوي توفيق، فضمه إلى حاشيته وأرسله في بعثة علمية إلى فرنسا. كان الشاعر فخورا بصلته بالخديوي إذ قال في بيته الشهير:

"شاعرُ الأمير وما بالقليل ذا اللقبُ"<sup>٦٧</sup>.

فمقتديا بخطى الشعراء العباسيين في المدح، قرض شوقي الأشعار في الخديوي إسماعيل وتوفيق وعباس كما في بعض سلاطين الدولة العثمانية. على سبيل المثال قال الشاعر عندما نزل ضيفا عند السلطان عبد الحميد (١٨٧٦ م - ١٩٠٩ م) بالآستانة:

"رضي المسلمون والإسلام  
فرعَ عثمان دُم فذاك الدوام  
كيف يُحصى على علاك ثناء  
لك منك الثناء والإكرام  
هل كلام العباد في الشمس إلا  
أنها الشمس ليس فيها كلام  
ومكان الإمام أعلى ولكن  
بأحاديثه يتيه الأنام  
إيه عبد الحميد جلّ زمان  
أنت فيه خليفة وإمام"<sup>٦٨</sup>.

يتضح من هذه الأبيات أن الشاعر قد استخدم أسلوب المديح الشعري الذي سار عليه شعراء العصر العباسي مثل المتنبي. وفي بعض الأحيان غالى الشاعر في مدح السلطان عبد الحميد، ووصفه بالعدل والإنسانية حيث شبهه بعمر بن الخطاب فقال:

"عمرُ أنت بيد أنك ظلُّ  
للبرايا وعصمة وسلام  
ما تتوجت بالخلافة حتى  
توجّ البائسون والأيتام"<sup>٦٩</sup>.

ولمّا انتصر الترك في حربهم مع اليونان سنة ١٨٩٧ م ارتفع صوت شوقي بملحمته الحماسية الرائعة التي جاوزت مائتين وخمسين بيتا، وقال في مطلعها:

<sup>٦٧</sup> حسين، طه، تقليد وتجديد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٧ م، ص: ٤٩.

<sup>٦٨</sup> شكيب أرسلان، شوقي صداقة أربعين سنة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠ م، ص: ٢٥.

<sup>٦٩</sup> حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، دار الجيل، بيروت - ١٩٨٦ م، ط: ١، ص: ٤٤٢.

"بسيّفك يعلو الحقّ والحقّ أغلب وينصر دين الله أيّان تضرب"<sup>٧٠</sup>

وأشاد الشاعر فيها بانتصار الترك الذين أعلوا راية الإسلام وصانوا خلافته، وكان قد ردّت هذه الحرب إلى المسلمين ثقّتهم بتركيا بعد أن كانوا يعتقدون أنّها قد صارت إلى الضعف والانهيار.

لم تكن علاقة شوقي بالسلطان مبنية على المصالح الشخصية أو القرابة العائلية فقط، بل كانت مبنية على إيمان عميق بدور الخلافة العثمانية في حفظ الدين الإسلامي، ووحدة الأمة الإسلامية. كان السلطان العثماني يعتبر خليفة المسلمين، وكان وجوده يمثل رمزًا لوحدة الأمة الإسلامية. كان شوقي وغيره من الزعماء المصريين يؤمنون بأن الخلافة العثمانية هي الضامن لوحدة الأمة الإسلامية وحمايتها من التفتت والاستعمار. رغم هذا أدلى بعض النقاد بوجهة نظر مختلفة مثل طه حسين الذي يقول: "فهو كذلك كما كان حرًا كان مقيدًا، وكان في حياته الفنية كلها مضطربًا بين هذه الحرية وبين هذه القيود، وهو على ذلك كان أشبه الشعراء بأبي الطيب المتنبي من ناحية أنه كان إذا قصد إلى مديح أو إلى فن من هذه الفنون التي لا تحبها نفوس الشعراء، وإنما تستجيب فيها للظروف أكثر مما تستجيب فيها للفن"<sup>٧١</sup>. محمد حسين هيكل في مقدمته للطبعة الأولى من 'الشوقيات' عبّر عن رأي مشابه لما طرحه طه حسين، حيث قال: "وإنك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد في القصيدة غير أبيات معدودة

<sup>٧٠</sup> د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، ص ٢٤.

<sup>٧١</sup> حسين، طه، تقليد وتجديد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٧م، ص: ٥١.

تدخل في موضوع العنوان بينا، سائرهما حكمة أو غزل أو وصف، أو ما شاء لشوقي هواه"<sup>٧٢</sup>.

فيمكن القول إن شوقي كان يواجه صراعا بين الحرية والإلزام في إبداعه الشعري، حيث كان يميل أحيانا إلى الاستجابة للظروف المحيطة به أكثر من التزامه بالفن. وقد تأثرت بعض قصائده بعوامل خارجية، مما جعله أحيانا ينحرف عن الموضوع الأساسي، خاصة في أغراضه الشعرية مثل المديح.

### الغزل عند شوقي

كان هذا النوع من الشعر مألوفا في الشعر العربي طوال القرون الطويلة، وهو يتناول مشاعر الحب والغرام والهيام والخواطر العاطفية، وغالبا ما يكون موجهاً إلى شخص معين<sup>٧٣</sup>. وشوقي كشاعر البعث والإحياء كان يستقي من معين الأدب القديم، فصار شاعرا غنائيا قبل أن يكون شاعرا ملحميا أو مسرحيا. ولكن لم يقتد الشاعر بخطوات العرب الأقدمين كما هي، بل مزج الشعر الغنائي العربي بنفس النوع الغربي، لأنه كان - أثناء إقامته في فرنسا - قد اطلع على أشعار فيكتور هوجو وموسيه (Alfred de Musset) ولامارتين، فلم تقتصر غزليات شوقي على وصف جمال المرأة فحسب، بل شملت كل ما هو جميل يفتن القلوب، ارتقى غزله فوق الابتدال، وذلك يعود إلى نشأته

---

<sup>٧٢</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٢٣-٢٤.

<sup>٧٣</sup> عند بعض النقاد هناك فرق بين الغزل والنسيب والتشبيب، فالغزل تعبير مباشر عن الحب والمشاعر تجاه المحبوبة، بينما النسيب هو مصطلح أوسع يشمل ذكر الديار والأحبة، ويُعتبر مقدمة للقصائد، والتشبيب ذكر صفات المحبوب بشكل صريح، ويعتبر جزءاً من النسيب. وشوقي خلط بين هذه الكلمات في مقدمة ديوانه القديم ثم اتخذ من النسيب عنواناً للغزل في ديوانه الجديد (الحوفي، أحمد محمد، *وحي النسيب في شعر شوقي*)

المحافظة، إذ يرى الحب كروح تحيي الجسد وتصنع العظماء. كان غزله عفيقًا، وكان يحب لأجل الحب ذاته<sup>٧٤</sup>. يقول الشاعر:

"مقادير من جفنيك حوّلن حاليًا  
فدقت الهوى من بعد ما كنت خاليًا  
نفذن علىّ اللب بالسهم مرسلا  
وبالسحر مقضيا وبالسيف قاضيا  
وألبستني ثوب الضنى فلبسته  
فأحبّ به ثوبا وإن ضمّ باليا  
وما الحبّ إلا طاعة وتجاوز  
وإن أكثروا أوصافه والمعانينا"<sup>٧٥</sup>

الأبيات تعبر عن تجربة الشاعر في الحب، حيث تحولت حالته من خلو القلب إلى الامتلاء بالعشق بسبب نظرات المحبوبة. يشبه تأثير الحب بالسهم التي أصابت عقله وقلبه، وبالسحر الذي حكم عليه، والسيف الذي قضى عليه. ورغم أن الحب ألبسه ثوب العذاب، فإنه يقبله برضا، ولو كان قديما وباليا. يصف الشاعر الحب على أنه طاعة كاملة للمحبوب وانقياد لرغبات القلب، متجاوزا أوامر العقل وتوجيهاته. وعلى الرغم من تنوع معاني الحب وتباين أوصافه بين الناس، فإن الشاعر يراه دائما بهذه الصفات.

وفي قصيدة أخرى يذكر الشاعر:

"يا حُسْنَه بين الحِسان  
يا حُسْنَه بين الحِسان  
كالبدر تأخذه العيو  
نُ وما لهنَّ به يدان  
دَ ففي يديه الخافقان  
ملكَّ الجوانحَ والفؤا

<sup>٧٤</sup> د. عفاف مبروك محمود عاشور، القصيدة الغزلية عند أحمد شوقي "دراسة في المضمون"، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الستون، يناير - ٢٠١٧م، ص: ٣٦٩.

<sup>٧٥</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٩٢.

ومناي منه نظرة<sup>٧٦</sup>

فعسى يشير الحاجبان<sup>٧٦</sup>

هذه الأبيات تصف جمال المحبوب ومدى تأثيره على الشاعر. يقول الشاعر إن المحبوب يتميز بجمال فريد بين الآخرين، وإذا ظهر في مجلس أو مكان، فهو مثل البدر الذي يجذب الأنظار. العيون تنهر بجماله، لكن لا تستطيع الأيدي الوصول إليه. ويشير الشاعر إلى أن المحبوب قد سيطر على قلبه وعواطفه تماما، فنبض قلبه بتأثيره. أما أمنية الشاعر الوحيدة فهي أن يحصل على نظرة واحدة من المحبوب، ولو كانت إشارة خفيفة من حاجبيه تمنحه الأمل.

في حين أظهر الشاعر في هذه الأبيات أبعاد الجمال الظاهري، اتجه في قصيدة أخرى إلى تصوير الأوصاف الداخلية والانطباعات الدفينة في نفوس الغواني، فقال:

"خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءُ وَالْغَوَانِي يَغْرُهُنَّ الثَّنَاءُ

أَتْرَاهَا تَنَاسَتْ إِسْمِي لَمَّا كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا الْأَسْمَاءُ

إِنْ رَأْتِي تَمِيلُ عَنِّي كَأَنَّ لَمْ تَكُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ

نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ"<sup>٧٧</sup>

يعبر الشاعر عن خيبة أمله في الحبيبة التي خدعتها كلمات الثناء عن جمالها، فقد غرّها المدح والإطراء كما هو الحال مع العديد من النساء اللواتي ينخدعن بالثناء. يتساءل الشاعر بحزن إن كانت قد تناست اسمه بسبب كثرة الأشخاص الذين أحبّتهم، حتى أصبح مجرد واحد من بين كثيرين في حياتها. ويلاحظ كيف تتجنب النظر إليه عندما

<sup>٧٦</sup> نفس المصدر، ص: ٤٨٩ - ٤٩٠.

<sup>٧٧</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٦٥.

تراه، فكأن لم يكن بينهما من مشاعر أو أحداث تربطهما. ثم يصف كيف تبدأ علاقة الحب عادة بنظرة، ثم ابتسامة، ثم تحية، لتتطور بعد ذلك إلى حديث، وموعد، وأخيراً لقاء، ولكن في حالته، يبدو أن تلك المراحل انتهت أو توقفت، مما يعزّز شعوره بالافتراق. تناول العديد من النقاد مسألة صدق شوقي في شعر الغزل، حيث رأى بعضهم أنه مجرد تصنع ولا يعبر عن مشاعر حقيقية، بل يأتي كجزء من الزخرفة الشعرية التي يضيفها الشعراء في مطالع قصائدهم. من بين هؤلاء النقاد، عباس محمود العقاد الذي قال: "ما نظن أحدا يزعم أن شوقي محبّ، فان غزله كله من طراز ذلك الغزل المصطنع الذي تستهل به قصائد المديح، تمهيدا لما بعده وحكاية للمتغزلين من الأقدمين". وحسين هيكل أيضا أدلى بنفس هذا الرأي.

على النقيض من ذلك، أشار أحمد محمد الحوفي، أحد محرري ومُعلقي 'الشوقيات'، إلى صدق الشاعر في الغزل مستشهدا بالأبيات التي تمّ ذكرها أنفا. كما وصف الشاعر غابة بولونيا بأسلوب مليء بالحنين إلى الماضي والشوق لأيامه، حيث قال:

"يا غاب بولون ولي ذمم عليك ولي عهد

زمن تقضى للهوى ولنا بظلك هل يعود

حلم أريد رجوعه ورجوع أحلامي بعيد

خفقت لرؤيتك الضلوع وزلزل القلب العميد." ٧٨

٧٨ الحوفي، أحمد محمد، وحي النسب في شعر شوقي، مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنيينة لاط - ١٩٣٤م، ص: ١٦.

خلال هذه الأبيات التي نظمها في شبابه، أحمد شوقي في غزله يظهر صدقاً عاطفياً يمزج بين الحنين والخيبة. يعبر الشاعر عن ارتباطه العميق بأيام اللهو والحب في غابة بولون، مظهرًا توفقه لعودة تلك اللحظات. وفي أبيات أخرى سالفة الذكر، وصف خيبته من الحبيبة التي خدعتها كلمات الثناء وتجاهلت مشاعره، ما يعكس تألمه من تجارب الحب المتعددة. وصدقته يتجلى في تصويره الدقيق لمراحل الحب من النظرة إلى اللقاء الأخير.

### الرثاء في قصائد شوقي

أكثر أحمد شوقي من نظم قصائد الرثاء حتى أصبحت مراثيه تفوق عدد مدائحه. والجزء الثالث من الشوقيات يحوي ستين مرثية. وكان الشاعر قد رثى العديد من الشخصيات من طبقات ومجالات مختلفة، منهم سياسيو مصر البارزون مثل مصطفى كامل وسعد زغلول، ورياض باشا وإسماعيل صبري، كما رثى شخصيات فكرية وأدبية كقاسم أمين والمنفلوطي وجرجي زيدان وحافظ إبراهيم بالإضافة إلى أفراد عائلته كجدته وأمه وأبيه. ولم تقتصر مراثيه على مصر، بل شملت شخصيات عالمية كبيرة مثل تولستوي وفكتور هوجو وعمر المختار، ومولانا محمد علي من الهند.

ومن مرثياته التي ذاع صيتها، رثائه للشاعر حافظ إبراهيم:

"قد كنتُ أُوثرُ أن تقول رثائي يا مُنصِفَ الموتى من الأحياء

لكن سبقت وكلُّ طول سلامة قدر وكلُّ منيَّةٍ بقضاء

الحق نادى فاستجبت ولم تزل بالحقِّ تحفل عند كل نداء"<sup>٧٩</sup>

<sup>٧٩</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٥٦٣.

يبكي الشاعر على فقدان شخص كبير في السياسة والأدب، كان يتمنى أن يبقى حيًا ليقول فيه رثاء، لكن الموت سبقه بقدر محتوم.

لقد تعرضت مرثي أمير الشعراء لانتقادات واسعة، خاصة من قِبَل العقاد والمازني، اللذين ناقشا حول أشعاره في جزئين من ديوانهما. وكانت المرثي هي الأكثر هدفًا في نقدهما. أشار العقاد إلى مرثية كتبها شوقي عن محمد فريد بك<sup>٨٠</sup>، يقول في مطلعها:

"كل حي على المنية غادي      تتوالى الركاب والموت حادي  
ذهب الأولون قرنًا فقرنًا      لم يدم حاضر ولم يبق بادي  
هل ترى منهم وتسمع عنهم      غير باقي مآثر وأيادي"<sup>٨١</sup>

ورأى الشاعر أنها كانت رائعة، فردّ عليه العقاد بأنها ربما كانت تستحق الإشادة عند كتابتها، لكن مع تغير الزمن والأجيال، لم يكن من المناسب الالتزام بالأساليب الشعرية القديمة. ويرى العقاد أن مرثي شوقي مجرد تقليد دون مبرر، مثل ما قال الشاعر حينما رثى أباه:

"هلكت قبلك ناسٌ وقُرى      ونعى الناعون خير الثقلين"<sup>٨٢</sup>

والفشل الحقيقي لهذه القصائد – على رأي العقاد – يكمن في أن نفس هذا التقليد أصبح سطحيًا دون استيعاب الجوانب الإيجابية في النماذج الأصلية، ويقترح أن مرثي أبي العلاء المعري تمثل نموذجًا أفضل لهذا النوع من الشعر.

<sup>٨٠</sup> وهو الرئيس الثاني للحزب الوطني، توفي سنة ١٩١٩م.

<sup>٨١</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة – ٢٠٢٠م، ص: ٥٩٩.

<sup>٨٢</sup> نفس المصدر، ص: ٧٠٧.

المشكلة الأساسية في مرثي شوقي، هي بخلها بالعاطفة الحقيقية. وذلك أنّ الشاعر حاول تقديم تحليل فلسفي للحياة والموت بدلا من التعبير العاطفي العميق، فاعتمد في رثائه على العقل أكثر من الشعور والدموع. كما قال الشعر في رثاء جدته:

"خُلِقْنَا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات

ومن يُولَدُ يعيش ويمت كأن لم يمرّ خياله بالكائنات"<sup>٨٣</sup>

وبعدم العاطفة العميقة وكثرة عدد المرثي، وُجّه إلى الشاعر نقد بأنه "لم يرث بدافع من

الحزن وحده، بل هناك دوافع شتى كالمجاملة وحب الشهرة"<sup>٨٤</sup>

ومع هذا كلّه، مرثيات شوقي مملوءة بصفات الشخص المتوفى الجيدة، مستفيدا من

تقاليد الرثاء العربية القديمة، لكنه وظّف أسلوبه الخاص باستخدام صور شعرية

جميلة. وكان يضيف على رثائه نبرة تفاعل ورضا بقضاء الله، مما يقلل من الحزن.

## مظاهر الدين في شعر شوقي

كانت معتقدات شوقي الدينية محلّ جدلٍ حادّ بين العلماء والنقاد. حينما أشاد به

البعض باعتباره شاعرا إسلاميا، اعتبر آخرون أنه لم يكن ملتزما بالإسلام مستنديين في

ذلك إلى بعض جوانب حياته الشخصية وعدد من قصائده. ومن الأدلة التي تُعارض

تدين شوقي والتزامه أنه كان كثير الشرب للخمر، حتى إنّه سمّي منزله 'كرمة بن هاني'

تيمنا بالشاعر العباسي أبي نواس، المعروف بقصائده التي تتناول الخمر. وكذلك، أبياته

في الكحول تثير تساؤلات بشأن التزامه بمبادئ الإسلام. وبطريقة مشابهة، تعرضت

<sup>٨٣</sup> نفس المصدر، ص: ٥٨١.

<sup>٨٤</sup> محمد المجذوب، شعر شوقي في ميزان النقد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٧٥ م، ص: ١٨.

بعض أشعار شوقي التي يبدو أنها مخالفة للعقيدة الإسلامية لانتقادات حادة من قبل علماء في مصر وغيرها.

كما يصف الشاعر دمشق في قصيدة فيقول فيها:

"آمنتُ بالله واستثنيْتُ جنّته دمشقَ رُوحَ وجناتِ وريحان"<sup>٨٥</sup>.

شوقي، رغم إيمانه بالله واليوم الآخر، أثار جدلاً بتعبيره هذا عن ولائه لدمشق، حيث بدا كأنه لا يؤمن بالجنة، مما أثار تساؤلات حول معتقده. ومع ذلك، رأى بعض النقاد أنه يمكن السماح ببعض الحرية في اللغة والتعابير من أجل الشعر.

أمّا بالنسبة إلى الحياة الشخصية للشاعر، فقد أشار حسين هيكل في مقدمة ديوان 'الشوقيات' إلى أن شوقي مرّ بمرحلتين متفرقتين، وكانت المرحلة الثانية من حياته كانت مختلفة تماماً عن الأولى. في البداية، بسبب نشأته في بيئة نخبوية وبعدم تعليم ديني كاف، لم يُظهر شوقي اهتماماً كبيراً بالشؤون الدينية. ولكن فيما بعد، أصبح الإسلام، ووحدة المسلمين، والخلافة الإسلامية محاور أساسية في شعره. وكان يرى في الخلافة رمزاً لوحدة المسلمين وقوتهم. تجلت هذه الروح الدينية في شعره بوضوح، حيث استلهم من القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة العديد من المعاني والأفكار.

من أبرز علامات تدينه هي قصائده التي تتضمن أدعية لله وتقديراً لعظمة الإسلام، مثل قصيدته 'كبار الحوادث في وادي النيل' التي كتبها عام ١٨٩٤م، والتي تعكس تمسكه بالقيم الدينية وشغفه بالتاريخ الإسلامي. وتحدث هذه القصيدة عن قصص أنبياء مثل

---

<sup>٨٥</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٥٤.

موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، مما يظهر دور الدين في تشكيل الهوية المصرية.

وكذلك، كان الشاعر يحب أن يتعايش مع أصحاب الأديان الأخرى. يقول أنطول الجميل في مقالته في شاعرية شوقي ومميزاتها "إنّ هذا الشاعر الراسخ العقيدة الصادق الإيمان لم يسيء إلى أحد في عقيدته لأن مبدأه كان (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه)، وهكذا ترون أدباء المسيحيين والإسرائيليين يتغنون بشعره الإسلامي ويطربون له طرب المسلمين"<sup>٨٦</sup>. يقول الشاعر:

"ولد الرفقُ يوم مولد عيسى والمروءات والهدى والحياء

وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناه من الثرى الأرجاء

وسرت آية المسيح كما يسر ري من الفجر في الوجود الضياء

تملاً الأرض والعوالم نوراً فالثرى مائج بهّا وضاءً"<sup>٨٧</sup>

عندما تصادف حلول عيد المسلمين وعيد المسيحيين في يوم واحد، حياهما معا أجمل تحية في قصيدة 'مرحبا بالهلال'،:

"عيد المسيح وعيد أحمد أقبلا يتباريان وضاءة وجمالا

ميلاد إحسان وهجرة سوّدد قد غيرا وجه البسيطة حالا"<sup>٨٨</sup>

<sup>٨٦</sup> أنطول الجميل، شاعرية شوقي ومميزاتها، ذكرى الشاعرين شاعر النيل وأمير الشعراء، دراسات ومراث ومقارنات، الجمع والترتيب: أحمد عبيد، المكتبة العربية، دمشق، ط ١، ص ٣٤٩.

<sup>٨٧</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠ م، ص: ٣٧.

<sup>٨٨</sup> نفس المصدر، ص: ٢٢١.

فيظهر شوقي في شعره رحلة فكرية وروحية؛ فقد تأثرت بداياته بنشأته في بيئة راقية، لكنه لاحقاً تحوّل إلى التعبير عن القيم الإسلامية ووحدة المسلمين. رغم الجدل حول بعض أشعاره وشخصيته، إلا أن تطوره الشعري يكشف عن اهتمامه العميق بالدين ووحدة الأمة. كما عبّر شوقي عن التسامح بين الأديان، وامتدح في شعره الإسلام والمسيحية. بذلك، قدّم الشاعر نموذجاً فريداً في الأدب العربي الحديث، مما كسبه مكانة مميزة.

### المدح النبوي في شعر شوقي

ومن أشعار شوقي الدينية مدائحه النبوية، فقد كتب أربع قصائد مستقلة في مدح النبي ﷺ، كما تعرض لسيرته ومدحه في قصائد أخرى. وقصيدته الشهيرة في هذا النوع من الشعر هي 'نهج البردة' المكتوبة على منوال بردة البوصيري في بحرهما البسيط وقافيتها، وهذه القصيدة التي تضم ١٩٠ بيتاً من أهم وأشهر المعارضات للبردة، يقول في مستهلها:

"ريم على القاع بين البان والعلم  
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم"<sup>٨٩</sup>

افتتح شوقي القصيدة بغزل طويل وجميل، يصور فيه محبوبته بأوصاف رائعة مستوحاة من الطبيعة، ومن ثم ينتقل إلى وصف الدنيا قبل أن يبدأ المدح النبوي. وفعلياً يبدأ الشاعر المدح من البيت الثالث والأربعين. و من خلال عنوان 'نهج البردة' يعبر شوقي عن احترامه الكبير للبوصيري، مؤكداً أنه ليس بوسعه معارضة قصيدته، كما أشار إليه في أبياته:

<sup>٨٩</sup> نفس المصدر، ص: ٢٢٩.

"المادحون وأرباب الهوى تَبَعُ لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم

مديحه فيك حُب خالص وهوى وصادقُ الحُبِّ يُملي صادق الكَلِم

الله يشهد أني لا أُعارضه مَن ذا يُعارضُ صَوَّبَ العارضِ العَرِمِ"<sup>٩٠</sup>

على الرغم من أن شوقي يؤكد أنه لم يسعَ إلى تقليد البوصيري، بل كان مجرد معجب بشعره ومحب لقصيدته، ولا يمكن معارضته، إلا أن النقاد يرون أنها تنتهي إلى نوع المعارضة الشعرية. وهي معاضة راقية نموذجية. والمعارضة الشعرية تتطلب أن تكون القصيدة الجديدة مماثلة للأصل في الموضوع، والبحر، والقافية. وكما بدأت البردة بالنسيب، فإن نهج البردة اتبعت النهج ذاته، حيث استُخدم الغرام والشكوى كمقدمة تمهيدية للقصيدة.

يتنقل شوقي في قصيدته بين مواضيع متعددة، بدءاً من ذكر المعجزات والقرآن الكريم، مروراً بميلاد النبي ﷺ ورحلته السماوية، وصولاً إلى الحديث عن الصحابة، والغزوات، وشمائل النبي الكريم. كما يرد الشاعر بذكاء على الانتقادات التي وُجّهت للإسلام في عصره، متناولاً قضية استخدام النبي ﷺ للسيف، ومسلطاً الضوء على التناقضات في مواقف القيادات المسيحية التي تدّعي نشر السلام، بينما شهد تاريخها أياماً دامية من العنف. كذلك، يبرز شوقي إسهامات الخلفاء المسلمين في الحضارة، والتطورات العلمية والثقافية التي ازدهرت في ظل حكمهم. ويصف بأسلوب مؤثر وفاة النبي ﷺ، موضحاً

<sup>٩٠</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣٩.

حكمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في التعامل مع الأزمة التي أعقبت ذلك، ودور الخلفاء الراشدين من بعده، إضافة إلى خدمات الخلفاء الأمويين .

والمثير للاهتمام أن قصائد شوقي، رغم بيئتها الدينية التقليدية، نجحت في لفت انتباه الجماهير والنخب المثقفة في عصر الثقافة الغربية، والموسيقى الشعبية، والتطور المادي. ومن المفارقات أن قصيدته، التي تنتمي إلى التراث الإسلامي، وصلت إلى الناس من خلال صوت أم كلثوم، التي غنّت نهج البردة مما أضفى على القصيدة طابعا جديدا من التأثير والجاذبية في الأوساط الثقافية الحديثة.

ومع ذلك تعرضت القصيدة لبعض الانتقادات من حيث تضمينها مبادئ اعتقادية مختلفا فيها بين العلماء في الإسلام، كما وصف الملائكة بالعطش في قوله عن جبريل 'ظمي'، بينما تُبين العقيدة الإسلامية أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يعطشون. ولعل الشاعر قد استخدم تعابير أدبية ورمزية بهدف تعزيز مكانة النبي محمد ﷺ، دون التزام كامل بالنقل الحرفي للحقائق العقدية، وهذا يُرى أحيانا في الشعر المدحي حيث يُمنح الشاعر بعض الحرية في التصوير.

والقصيدة الثانية في المدح النبوي هي 'ذكرى المولد' التي تتكون من ٩٩ بيتاً، احتوت على موضوعات متعددة، بدأت بمقدمة غزلية، تلتها أبيات تعبّر عن الحكمة ودروس الحياة، واختتمها بأبيات في المدح النبوي. يقول الشاعر في مستهل القصيدة:

" سَلَوْ قَلْبِي غَدَاةَ سَلَا وَتَابَا      لَعَلَّ عَلَى الْجَمَالِ لَهُ عِتَابَا  
وَيُسْأَلُ فِي الْحَوَادِثِ ذُو صَوَابٍ      فَهَلْ تَرَكَ الْجَمَالَ لَهُ صَوَابَا

وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ الْقَلْبَ يَوْمًا      تَوَلَّى الدَّمْعُ عَن قَلْبِي الجَوَابَا"<sup>٩١</sup>

يبدأ الشاعر كما يفعل الشعراء التقليديون، فيخاطب رفاقه، ويطلب منهم أن يسألوه عن حال قلبه وما صنع به الحب. فهو يعترف بأن العشق قد أضع صوابه وجعله تائها، إذ إن الشخص الحكيم هو من يُستشار في الأمور المهمة، أما العاشق، الذي يسيطر عليه الهوى، فيفقد تركيزه ولا يكون قادرا على التفكير. وفي النهاية، يستحضر حبه للنبي الكريم، ويعرض بعضاً من خصاله بمناسبة ذكرى مولده الشريف الذي كان سببا لكل خير وبركة للناس، فيقول:

"نَبِيُّ الْبِرِّ بَيْنَهُ سَبِيلًا      وَسَنَ خِلَالَهُ وَهَدَى الشُّعَابَا

تَفَرَّقَ بَعْدَ عَيْسَى النَّاسُ فِيهِ      فَلَمَّا جَاءَ كَانَ لَهُمْ مَتَابَا

وَشَافِي النَّفْسِ مِنْ نَزَعَاتِ شَرِّ      كَشَافٍ مِنْ طَبَائِعِهَا الذُّنَابَا"<sup>٩٢</sup>

نالت هذه القصيدة قبولا وتقديرا بشكل كبير من قبل الجماهير العربية بعدما قامت المغنية الشهيرة أم كلثوم بأدائها، وصار الشعب يتناقلون بأبياتها المهمة مثل ما قال الشاعر واصفا النبي ﷺ:

"وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى      أَخَذْنَا إِمْرَةَ الْأَرْضِ اغْتِصَابَا

وما نيل المطالب بالتمني      ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منال      إذا الإقدام كان لهم ركابا"<sup>٩٣</sup>

<sup>٩١</sup> نفس المصدر، ص: ٧٧.

<sup>٩٢</sup> نفس المصدر، ص: ٨٠.

<sup>٩٣</sup> نفس المصدر، ص: ٨٠.

جذبت هذه الأبيات المزيد من اهتمام المواطنين في وقت كان الشعب المصري يتوق إلى التحرر من الملكية التي حرمت الشعب من حقوقه.

وكذلك للشاعر قصيدة أخرى صغيرة تحمل عنوان 'ذكرى المولد'، - وهي لم توجد في الشوقيات - مطلعها:

"نبيّ البرّ والتقوى منار الحق معلمه

أبرّ الخلق عاطفة وأسمحه وأحلمه

وأصبره لنائبة ومحذور يجشّمه

وليّ الأهل والأتبا ع والمسكين يطعمه"<sup>٩٤</sup>

والقصيدة الرابعة هي الهمزية النبوية التي يدور حولها هذا البحث. وكذلك القصيدة الطويلة باسم 'دول العرب وعظماء الإسلام' تتضمن المدح النبوي، وهي تضم ألفي بيت يتناول تاريخ الأمة الإسلامية، بدءاً من عهد النبي الكريم، وصولاً إلى عصر الدولة الفاطمية. فهي ليست في مدح النبي ﷺ فحسب بل في مناقب كثير من العباقرة في الإسلام أيضاً. كتب شوقي هذا العمل أثناء فترة نفيه في برشلونة.

والشاعر في هذه المدائح لا يقف عند حدّ المدح بل أودعها عناصر سياسية حيث إنّه اعتبر الرسول ﷺ قائد الأمة، الذي يمكن الشاعر الإعراب عن مشاكل البشرية جمعاء أمامه، فيهديه إلى الطريق السديد.

<sup>٩٤</sup> درنيقة، محمد أحمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: ١، ص: ٦٣.

ختاماً، يمكن القول أنّ أحمد شوقي أبدع في مجال الشعر بطريقة استثنائية لا تتكرر. كانت موهبته الشعرية تتيح له نظم القصائد في أي ظرف وأي زمان، ليبدع في حالة السكون والشغل، الفرح والحزن. هذا التفاني في الفن، رغم ما لاقاه من نقد أدبي وديني، كان دافعاً له لإحداث نقلة نوعية في مسيرته، من التقليد المحض إلى التجديد والابتكار.

## الفصل الرابع: الهزمية النبوية لأحمد شوقي

'الهزمية النبوية' قصيدة رائعة كتبها أحمد شوقي في مدح النبي ﷺ، حيث يمتدح فيها مكانة النبي العظيمة بين الناس وعند الله بوضوح وجمال. تتناول القصيدة ميلاد النبي الكريم والفرحة التي عمّت العالم برمّته من أجله، كما تستعرض شمائله وفضائله. وتتألف هذه القصيدة الرائعة من مائة وواحد وثلاثين بيتاً، كتبها الشاعر على بحر الكامل. ونشرت هذه القصيدة بجريدة الأفكار عام ١٩١٧م، وابتدأها شوقي بـ

"وُلد الهدى فالكائنات ضياء وفمّ الزمان تبسّم وثناء"<sup>٩٥</sup>.

دخل الشاعر في صلب الموضوع دون التمهيد بمقدمة طللية أو غزلية، على عكس ما فعله في نهج البردة.

## الأفكار الرئيسية في القصيدة

المحاور الأساسية في همزية شوقي يمكن تقسيمها على النحو التالي:

١. ميلاد الرسول الكريم كحدث عظيم أضاء الكون بالنور والفرح، وجمال القرآن

بشكل مبسط (٧-١)

<sup>٩٥</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٣.

٢. مكانة النبي ﷺ بين الرسل والأنبياء، وشمائله وأخلاقه السامية (٤٦-٨)
  ٣. القرآن الكريم كمعجزة عظيمة (٦٣-٤٧)
  ٤. دور النبي ﷺ في تأسيس دولة إسلامية عادلة قائمة على التوحيد والمساواة والعدل الاجتماعي (٨٢-٦٤)
  ٥. معجزة الإسراء والمعراج، والتكريم الإلهي للنبي ﷺ (٩٢-٨٣)
  ٦. شجاعة النبي الكريم في المعارك، وعدالة الحروب التي خاضها الإسلام، ونتائج الفتوحات الإسلامية (١٠٥-٩٣)
  ٧. نضال النبي وأصحابه الأوائل في سبيل نشر الحق والدين الإسلامي (١١٣-١٠٦)
  ٨. مكانة النبي ﷺ يوم القيامة، وشفاعته العظمى، وعظمته بين المصلحين في التاريخ، فالدعاء والتضرع (١٢٦-١١٤)
  ٩. إسهام الشريعة الإسلامية في تحقيق العدالة والتقدم الحضاري، والختام بالصلاة على النبي الكريم، والدعاء لأهل بيته الأطهار، والتوسل بفاطمة الزهراء رضي الله عنها (١٣١-١٢٧).
- فالأبيات الأولى من القصيدة تتناول المولد الشريف حيث إنه كان مولداً للهدى لكل أولئك الناس الحيارى التائهين في ظلمات الكفر والجهل. وكان مولده إيذاناً بعموم الفرح والحبور وتحرير العباد من ظلم الحكام. ثم يأخذ الشاعر في حديث مفصّل عن ذلك الضياء الذي ملأ الكون، وعن ذلك السرور الذي عمّ المخلوقات، فيقول:
- "الروح والملاّ الملائك حوله  
للدين والدنيا به بشراء"

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي والمنتهى والسدرة العصماء

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا بالترجمان شذية غناء<sup>٩٦</sup>

يُصوّر الشاعر فرحة الكون بقدوم النبي ﷺ؛ فالروح والملائكة تحيط به بترحيب، ويحمل قدومه البشرى للدين والدنيا معاً. ويزهو العرش وتزدهي الحظيرة السماوية، وتبدو سدرة المنتهى في أبهى زينتها. وتُشبه حديقة القرآن بالنباتات العطرة والأزهار الجميلة، كأنها تفيض ببهجة.

ثم يتناول الشاعر اسم النبي الكريم، مشيراً إلى تميزه في قائمة الأنبياء والرسل المدونة في اللوح المحفوظ. ويبرز كيف أن الله تعالى قد رفع مكانته، حيث ارتبط اسمه بلفظ

الجلالة في الشهادة، مثلما تم دمج الألف مع الباء في ترتيب الحروف. فيقول:

"نُظمت أسامي الرّسل فهْي صحيفَةٌ في اللّوح واسم مُحمّد طُغراء

اسم الجلالة في بديع حروفه أَلِفٌ هنالك واسم ((طه)) الباء"<sup>٩٧</sup>

وبعد ذلك يلتفت إلى العجائب التي رافقت مولده الشريف، فيذكر خمود نيران الفرس التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، وسقوط شرفتين من إيوان كسرى وغيرها من إرهاصات المولد الشريف، يقتدي الشاعر في ذلك بمن سبقه من الشعراء الذين تناولوا نفس الموضوع، ولا ينسى الشاعر أثناء ذلك الحديث عن السمات السامية في مُحيّا النبي

<sup>٩٦</sup> الربا: جمع روبة، وهي ما ارتفع من الأرض، غناء: مؤنث أغنّ. شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٣.

<sup>٩٧</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٣.

الكريم مع أنه يبيّن أنّ خلقه الكريم وسماته العالية هي أصدق دليل على نبوته عند كل ذي لبّ، فيقول:

"وبدا مُحَيِّكَ الذي قَسَماتِه

حقُّ وُغْرَتِه هُدى وحياء

وعليه من نور النبوة رونق ومن الخليل وهديه سيماء"<sup>٩٨</sup>

ومن الحديث عن الميلاد وإرهاصاته ينتقل الشاعر إلى الحديث عن طفولة النبي ﷺ وكيف نشأ يتيماً تحوطه عناية الرحمن حتى لا يكون لأحد من خلق الله نفوذ على رسوله الكريم، لأن الرسول ﷺ هو إنسان بعثه الله ليكون مرشداً إلى الناس فلا بد وألا يكون متأثراً بأحد من الخلق، ثم يذكر الشاعر شبابه المطهر المختلف عن شباب أقرانه كلّ الاختلاف ممّن اتبعوا الشهوات، فيذكر صدقه وأمانته وعفافه البارزة منذ نعومة أظفاره:

"نعم اليتيم بدت مخايل فضله

واليتيم رزق بعضه وذكاء

في المهدي يستسقى الحيا برجائه

وبقصده تستدفع البأساء"<sup>٩٩</sup>

بسوى الأمانة في الصبا والصدق

لم يعرفه أهل الصدق والأمناء"<sup>١٠٠</sup>

ويُبرز الشاعر الجوانب الأخلاقية المتميزة في شخصية الرسول، حيث يتحدث بإسهاب عن مكارم أخلاقه، مؤكداً أنه بلغ القمة في كل فضيلة. فهو مثالٌ للجود الذي لا يُضاهى:

"فإذا سخوتَ بلَغْتَ بالجود المدي

وفعلتَ ما لا تفعل الأنواء"<sup>١٠١</sup>

<sup>٩٨</sup> السيماء: علامة أو هيئة، نفس المصدر، ص: ٤٤.

<sup>٩٩</sup> الحيا: المطر.

<sup>١٠٠</sup> نفس المصدر، ص: ٤٤.

<sup>١٠١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

كما يشيد بعفوه رغم قدرته على العقاب، ورحمته التي تفوق كل تصور :

"وَإِذَا عَفَاكَ فَقَادِرًا وَمَقْدَرًا" لا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجُهْلَاءُ<sup>١٠٢</sup>

ويؤكد الشاعر أن الرسول ﷺ لم يكن يغضب إلا للحق، ولم يكن رضاه إلا لوجه الله، فقد كانت هذه الصفات جزءا من طبيعته النقية:

"وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضِبَةٌ فِي الْحَقِّ لَا ضِعْفٌ وَلَا بَغْضَاءٌ

وَإِذَا رَضِيْتَ فَذَلِكَ فِي مَرْضَاتِهِ وَرِضَا الْكَثِيرِ تَحَلُّمٌ وَرِيَاءٌ<sup>١٠٣</sup>

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن عدالة الرسول ﷺ في القضاء، حيث كان حكمه قاطعا لا يقبل الشك، وعن شجاعته الفائقة وثقته المطلقة في نصر الله :

"وَإِذَا قَضَيْتَ فَلَا ارْتِيَابَ كَأَنَّمَا جَاءَ الْخِصُومَ مِنَ السَّمَاءِ قِضَاءٌ

وَإِذَا مَشَيْتَ عَلَى الْعِدَا فغَضِنْفُرٌ وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ التَّكْبَاءُ<sup>١٠٤</sup>

بعد ذلك، يسلط الضوء على القرآن الكريم، معجزة الرسول ﷺ الخالدة، التي نسخت ما قبلها من الكتب السماوية وأعجزت أفصح الفصحاء:

"الذِّكْرُ آيَةٌ رَبِّكَ الْكَبِيرَى الَّتِي فِيهَا لِبَاغِي الْمَعْجَزَاتِ غَنَاءٌ

وَتَقَدَّمَ الْبُلْغَاءُ وَالْفُصْحَاءُ صَدْرُ الْبَيَانِ لَهُ إِذَا التَّقَّتْ اللَّغَى

نُسِخَتْ بِهِ التَّوْرَةُ وَهِيَ وَضِيئَةٌ وَتَخَلَّفَ الْإِنْجِيلُ وَهُوَ ذُكَاةٌ<sup>١٠٥</sup>

١٠٢ نفس المصدر، ص: ٤٥.

١٠٣ نفس المصدر، ص: ٤٥.

١٠٤ نفس المصدر، ص: ٤٥.

١٠٥ نفس المصدر، ص: ٤٦.

بهذه الأبيات، يصور الشاعر عظمة النبي ﷺ، مبرزاً شمائله وأخلاقه، وعدله وشجاعته، وعظمة رسالته التي تجسدت في القرآن الكريم، المعجزة التي أعجزت أهل البيان وبلغاء العرب.

يؤكد الشاعر أن الكتاب الرباني والهدي النبوي هما الركيزتان الأساسيتان في بناء الدولة الإسلامية، مشيراً إلى أن هذه الدولة تقوم على مبادئ العدل والمساواة، حيث لا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى، كما أنها تعتمد على الشورى والبيعة والعدالة الاجتماعية، وهو ما يعبر عنه بقوله :

"بك يا ابن عبد الله قامت سمحةً بالحق من ملل الهدى غراء

بُنيت على التوحيد وهي حقيقة نادى بها سقراط والقدماء"<sup>١٠٦</sup>

ثم يوضح شوقي أن هذه الدولة، التي أسسها النبي ﷺ، قامت على مبدأ المساواة، فلا فرق فيها بين حاكم ومحكوم، ولا امتيازات لفئة على أخرى، حيث يخضع الجميع لسلطة الله وحده، كما يقول :

"فرسمت بعدك للعباد حكومةً لا سوقةً فيها ولا أمراء

والناس تحت لوائها أكفاء الله فوق الخلق فيها وحده

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء"<sup>١٠٧</sup>

---

<sup>١٠٦</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

<sup>١٠٧</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

ويمضي الشاعر في إبراز ملامح العدالة والتكافل الاجتماعي التي ميزت الدولة الإسلامية، مشيراً إلى أن النبي ﷺ كان نموذجاً لمبادئ الإنصاف والعدل، حتى إن الاشتراكيين أنفسهم لو أدركوا حقيقته لجعلوه إمامهم :

"الاشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء"<sup>١٠٨</sup>

كما يبرز دور الجهاد في الإسلام كوسيلة لحماية الحق ونصرة المظلومين، مشيراً إلى أن الحرب، عند الضرورة، تُصبح شريعة عادلة لإيقاف الظلم والعدوان:

"الحرب في حقّ لديك شريعةٌ ومن السموم الناقعات دواء"<sup>١٠٩</sup>.

بعد ذلك، ينتقل الشاعر إلى الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج، متناولاً في عشرة أبيات رحلة النبي ﷺ إلى السماوات العُلا، متسائلاً عن طبيعة هذه الرحلة، وهل تمت بالروح أم بالجسد، ليؤكد في النهاية أن كليهما قد نالا الشرف والرفعة:

"يا أيّها المُسرّى به شرفاً إلى ما لا تنال الشمس والجوزاء"<sup>١١٠</sup>

يتساءلون وأنت أظهر هيكل بالروح أم بالهيكل الإسراء"<sup>١١١</sup>

بهما سموت مطهّرين كلاهما نور وريحانيةٌ وبهاء

"فضل عليك لذي الجلال ومِنَّة والله يفعل ما يرى ويشاء"<sup>١١٢</sup>

وفي الختام، يتجه شوقي إلى الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، متحسراً على حالها وضعفها، وداعياً إلى استلهاً الماضي المجيد لاستعادة العزة والكرامة، حيث يصف

<sup>١٠٨</sup> الغلواء: الغلو، نفس المصدر، ص: ٤٧.

<sup>١٠٩</sup> الناقعات: القاتلات، نفس المصدر، ص: ٤٧.

<sup>١١٠</sup> الجوزاء أحد بروج السماء.

<sup>١١١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٨.

<sup>١١٢</sup> نفس المصدر، ص: ٤٨.

تفرق المسلمين وانشغالهم بالملذات الزائلة، محذرا من أن هذا النعيم الزائف قد يكون

مقدمة للبلاء:

"أدعوك عن قومي الضّعاف لأزمة  
في مثلها يُلقى عليك رجاء  
أدري رسول الله أن نفوسهم  
ركبت هواها والقلوب هواء  
متفككون فما تضمّ نفوسهم  
ثقةٌ ولا جمَعَ القلوبَ صفاء  
رقدوا وغرّهم نعيمٌ باطلٌ  
ونعيم قومٍ في القيود بلاءٌ"<sup>١١٣</sup>

يتضح من كل ما سبق أن غاية شوقي في هذه القصيدة لم تكن مجرد مدح النبي ﷺ، بل كان يسعى إلى إحياء العاطفة الدينية في قلوب المسلمين، وإبراز عظمة النبي ﷺ ورسالته، داعيا إلى استعادة المبادئ الإسلامية النبيلة لمواجهة الأزمات التي تعصف بالأمة.

---

<sup>١١٣</sup> نفس المصدر، ص: ٥٠.







## الباب الرابع

### مقارنة بين همزية البوصيري وهمزية أحمد شوقي

الفصل الأول : المحاور الرئيسية في الهمزيتين

الفصل الثاني : تجليات بيئة الشعراء في الهمزيتين

الفصل الثالث : الصور البلاغية في الهمزيتين

الفصل الرابع: آليات الاتساق في الهمزيتين

### الفصل الأول: المحاور الرئيسية في الهمزيتين

تتناول كل من قصيدتي 'الهمزية' للبوصيري وأحمد شوقي العديد من الأفكار التي لها علاقة بسيرة الرسول ﷺ وشمائله، حيث يوجد توافق في بعض هذه الأفكار واختلاف في أخرى. التزم الشاعران بالطابع العام لقصائد المديح النبوي في العديد من المواضع. ربما يكون ذلك الطابع ثمرة التأثير بأعمال البوصيري. وكذلك، يكرّر شوقي بعض الأفكار

من قصائده الأخرى، كما يتكرر في قصائد البوصيري عدد من المحاور، مما يدل على التزام كل شاعر بنمط شعري وصياغة فنية.

يبدأ البوصيري قصيدته بمدح النبي ﷺ، مشيراً إلى مكانته العالية فوق جميع الأنبياء، حيث يقول:

"كَيْفَ تَرْقَى رُؤْيَاكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءٌ"<sup>١</sup>

يقول البوصيري مخاطباً النبي ﷺ: كيف يمكن للأنبياء الآخرين، رغم مكانتهم وفضلهم، أن يصلوا إلى ما وصلت إليه من الفضل والشرف؟ وكيف يمكنهم أن يرتقوا إلى مراتب العلو التي ارتقيت إليها، وأنت من أكرمك الله بنعم لم يحصل عليها غيرك؟ والمقصود هنا ليس الارتقاء المادي، بل الارتقاء المعنوي في المكانة والفضل. ويواصل البوصيري تطوير هذا الفكر عبر سبعة أبيات متتالية حيث يصف النبي كمصباح اقتبس منه غيره من الأنبياء والرسل، واستقى من وميض فضله الآخرون.

وفي المقابل، في مطلع قصيدته، تناول الشاعر شوقي قضايا تلي احتياجات العصر الحديث، إذ بدأ يقول:

"ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء"<sup>٢</sup>.

يشير الشاعر إلى أن ولادة النبي ﷺ، لم تكن ولادة شخص عادي، بل كانت ولادة الهداية والنور لجميع الناس الذين كانوا ضائعين في ظلمات الكفر والجهل. كانت ولادته إعلاناً

<sup>١</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١١.

<sup>٢</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٣.

عن بداية عصر من الفرح والسعادة، تحرر فيه الناس من ظلم الحكام وانعتقوا من قيود الأفكار الزائغة.

فكلا المطلعين يلتزم بأسلوبين مختلفين. يركز البوصيري على إبراز عظمة النبي ومقامه الفريد، مستخدماً أسلوب الاستفهام الإنكاري والتشبيه بسماء لا يمكن تجاوزها، مما يمنح القصيدة طابعاً تأملياً عميقاً، حينما يقدم شوقي مشهداً احتفالياً بولادة النبي، حيث يصوّر هذا الحدث على أنه لحظة ضياء وسعادة للكون بأسره. ربما لا يكون اختيار شوقي لهذا الأسلوب إلا لأن هذه القصيدة قيلت بمناسبة ميلاد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

ينتقل شوقي بعده إلى التعبير عن الفرح التي أضاءت أرجاء العالم المادي، وعن الحيوية التي غمرت الموجودات في الملأ الأعلى، فيقول:

"الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَأُكَ حَوْلَهُ      لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ

وَالعَرْشُ يُزْهِوُ وَالْحَظِيرَةُ تَزْدْهِي      وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ

وَحَدِيقَةُ الْفُرْقَانِ ضَاكِكَةُ الرُّبَا      بِالترْجَمَانِ شَدِيئَةً غَنَاءُ"<sup>٣</sup>

في هذه الأبيات تجسيد مفهوم العلاقة بين الأرض والسماء واحتفاء الكون بقدم النبي الكريم، حيث يُظهر الشاعر رؤية شمولية تتجاوز حدود الزمن والمكان، وتجمع بين المادي والروحي. وولادة النبي ﷺ كانت بشرى لكل من الدين والدنيا، مما يعكس فلسفة الشاعر في أن الرسالة النبوية جاءت لتشمل جوانب الحياة الروحية والمادية على حد

سواء. فالنبي هنا ليس فقط مرسلًا لتوجيه البشر روحياً، بل هو أيضاً مُصلح لحياتهم الدنيوية. يصف شوقي العرش والحظيرة القدسية وهما يزدهيان ويزهوان. هذا التصوير يشير إلى سمو مقام النبي حتى في العوالم العليا، ويعكس تصوراً فلسفياً قائماً على أن ولادة النبي ليست حدثاً بشرياً فحسب، بل هي ظاهرة كونية يُحتفى بها في السماوات العلى. وكذلك يُثير شوقي فكرة الاتساق بين النبي والنص المقدس، كأنهما وجهان لحقيقة واحدة تجمع بين الهداية الروحية والمعرفية.

أما البوصيري فقد تناول هذا الحدث العظيم وبشائره، معبرا عنه بقوله:

"وبدا للوجود منك كريم

من كريم أبأوه كرماء

نسبٌ تحسب العلا بحُلاه

قلدتها نجومها الجوزاء

حبّذا عقدٌ سؤدد وفخار

أنت فيه اليتيمة العصماء

ومحيّاً كالشمس منك مضيء

أسفرت عنه ليلة غراء

ليلة المولد الذي كان للدي

بن سرور بيومه وازدهاء

وتوالتُ بشرى الهواتف أن قد

ولد المصطفى وحقّ الهناء"<sup>٤</sup>

يبدأ الشاعر بالإشارة إلى ظهور النبي في العالم، مؤكداً أنه جاء من سلالة كريمة، أبأوها جميعهم مشهود لهم بالكرم والشرف. ثم ينتقل إلى وصف نسب النبي الذي تزينه سمات العلا، فيصوره كعقد من الفخر والشرف، والذي يرمز إلى مكانة النبي الرفيعة بين البشر.

<sup>٤</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١١-١٢.

يتابع البوصيري تشبيهه للنبي باللؤلؤة الفريدة التي لا تضاهيها لؤلؤة، معبرا عن تفرد  
وسموّه في الصفات والأخلاق. ثم يصف وجهه الشريف بأنه كالشمس المضيئة التي  
أشرقت على ليلة مولده، فأنارت تلك الليلة الغراء. ويشير الشاعر إلى فرحة الكون بميلاد  
النبي، حيث كان الدين مسرورا ومزدهرا بمولده. والختام بالإشارة إلى الأصوات السماوية  
التي تبشر بميلاد النبي المختار.

لا شك أن الشاعر أحمد شوقي قد استلهم في أولى أبيات قصيدته من أفكار البوصيري  
التي تجلت في هذه الأبيات:

"ليلة المولد الذي كان للدي ن سرور بيومه وازدهاء

وتوالت بُشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وحُقَّ الهناء"<sup>٥</sup>

وكذلك الهتاف والبشرى بميلاد الرسول الكريم فكرة متكررة في قصائد البوصيري، كما  
قال في البردة:

"والجن تهتف والأنوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم"<sup>٦</sup>

بعد الأبيات الافتتاحية، ينتقل شوقي إلى الحديث عن رفعة اسم النبي ﷺ، موضحا  
مكانته الرفيعة بين الأنبياء في اللوح المحفوظ. يبرز الشاعر كيف أن الله تعالى رفع ذكر  
نبيه وجعل اسمه مقرونا باسمه في الشهادة، كما يشير إلى منزلة النبي العظيمة بصفته  
خاتم الأنبياء، الذي اكتملت به الرسالات السماوية.

<sup>٥</sup> نفس المصدر، ص: ١١-١٢.

<sup>٦</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣١.

وكذلك يتناول الشاعر البشائر والمعجزات التي صاحبت المولد الشريف، والتي اعتبرها بداية لزوال الظلم والشرك. ويشير إلى علامات وإرهاصات متعددة، مثل خمود نيران الفرس التي كانوا يعبدونها، وسقوط الشرفة من إيوان كسرى، وغيرها من الظواهر الخارقة التي تدل على عظمة المولد، كما يقول الشاعر:

"ذُعِرَت عروشُ الظالمين فزُلزِلت  
وعَلَّت على تيجانهم أصداءُ  
والنارُ خاويةٌ الجوانب حولهم  
خَمَدَت ذوائبها وغازَ الماءُ"<sup>٧</sup>

يتبع الشاعر نهج البوصيري، الذي سبق في تصوير هذه الإرهاصات والتعبير عنها، حيث يقول:

"وتداعى إيوان كسرى ولولا  
آية منك ما تداعى البناء  
وغدا كل بيتٍ نارٍ وفيه  
كُربة من خمودها وبلاءُ  
وعيون للفرس غارتُ فهل كا  
نَ لنيرانهم بها إطفاءُ  
مولد كان منه في طالع الكف  
ر وبال عليهم ووباءُ"<sup>٨</sup>

كلا الشاعرين يستلهم من أحداث المولد الشريف مع التركيز على الإرهاصات كدلائل لنهاية الظلم وبداية عهد جديد بنور النبوة، إلا أن أسلوب شوقي أكثر إيجازاً وتركيزاً على التأثير النفسي الذي أحدثه المولد المنيف على الأعداء والظالمين.

<sup>٧</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٤.

<sup>٨</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٢.

## طفولة النبي وشبابه

بعد الحديث عن المولد النبوي الشريف وما صاحبه من إرهاصات، ينتقل شوقي إلى وصف مرحلة طفولة النبي ﷺ، مسلطاً الضوء على نشأته اليتيمة تحت رعاية الله وعنايته المباشرة. يبرز الشاعر أن هذه الرعاية الإلهية جاءت لحكمة عظيمة، وهي ألا يكون لأحد من البشر فضل على النبي، حتى والديه. وكذلك، يتناول مرحلة شباب النبي، مبيناً كيف كان شبابه مختلفاً عن أقرانه الذين انغمسوا في الشهوات والملذات. وتتركز الأبيات على صفات الصدق والأمانة والطهارة التي تميز بها النبي في شبابه، ليكون مثالا يُحتذى به في الأخلاق والنقاء، فيقول:

"نعم اليتيم بدت مخايل فضله واليتم رزق بعضه وذكاء

في المهدي يستسقى الحيا برجائه وبقصده تستدفع البأساء

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم يعرفه أهل الصدق والأمناء"<sup>٩</sup>

يرى الشاعر أن اليتيم رزقٌ وعطاء في بعض جوانبه، إذ يُظهر الذكاء والتميز، كما منحه الله رعاية خاصة جعلته يتفوق في صفاته وأخلاقه. كما قد تمت الإشارة إلى نفس الحكمة من اليتيم في نهج البردة حيث قال الشاعر:

"ذُكِرَتَ باليتيم في القرآن تَكْرَمَةً وقيمةُ اللؤلؤ المكنون في اليتيم"<sup>١٠</sup>

أما البوصيري فقد تناول موضوع اليتيم بشكل غير مباشر عندما سرد قصة النبي الكريم مع مرضعه حليلة السعدية، مشيراً إلى رعايتها له دون التطرق المباشر إلى معنى اليتيم.

<sup>٩</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٤.

<sup>١٠</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٢٤٠.

وعلى العكس من ذلك، لم يتعرض شوقي لهذه القصة في قصيدته، حيث اكتفى بوصف مرحلة الطفولة في الأبيات السابقة. أفرد البوصيري ثمانية عشر بيتا من قصيدته للحديث عن فترة الصبا وما جرى فيها من أحداث، مثل حادثة شق الصدر، يقول فيها:

"وبدتُ في رضاعه معجزاتٌ ليس فيها عن العيون خفاء

إذ أبتَه ليتمه مرضعات قلن ما في اليتيم عنا غناء"<sup>١١</sup>.

واختتم هذا الجزء بوصف طبيعته المباركة، وسلوكه الزاهد منذ الطفولة، مبينا ميله إلى العبادة والخلوة، قائلا:

"ألفَ النسكَ والعبادة والخل ووةً طفلا وهكذا النجباء

وإذا حلَّت الهداية قلبا نشطتُ في العبادة الأعضاء"<sup>١٢</sup>.

ويستدل البوصيري بمعجزات النبي منذ صغره، على أن حياته كانت منذ البداية موجّهة نحو الخير والهداية، ويُعد هذا جزءا من سيرته العطرة التي تعزز مكانته في نفوس المسلمين.

## أخلاق النبي وشمائله

وفقا لما يراه شوقي، يمثل النبي رمزا للأخلاق السامية، حيث يعتبر أن صفاته الأخلاقية كانت العامل الأساسي في نجاح دعوته وتحول الأمة من حال الجاهلة إلى المتحضرة. يستعرض الشاعر صفات وأخلاق النبي بأسلوب مميز، مخصصا لها اثنين وعشرين بيتا، حيث يقول:

<sup>١١</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٣.

<sup>١٢</sup> نفس المصدر، ص: ١٤.

"يا مَنْ له الأخلاقُ ما تهوى العُلا

لو لم تُقمِ دِينًا لقامت وحدها

زانتك في الخُلق العظيم شمائلُ  
يُغرى بهنَّ ويُولع الكُرماءُ"<sup>١٣</sup>.

يشيد الشاعر بالنبي الذي يتمتع بأخلاق رفيعة وكريمة يسعى وراءها العظماء، وهي أخلاق أصيلة جذرية في شخصيته ﷺ. ويقول الشاعر إن الرسول لو لم يكن داعية إلى الدين، لأصبح بشيمه وسماته دينا وقدوة يحتذى بها، فخلقه النبيل يشع نورا وهداية للناس. كما يصف الشاعر صفاته الحميدة بأنها زينة له، ترغب فيها كل النفوس الكريمة.

خلال وصفه للخصال النبيلة، يشير الشاعر إلى رشاقة البدن والمظهر أيضا. ولكن وصفُ الشاعر لجمال النبي الجسدي اقتصر على بيتين، مما يبرز أن مثل هذه الأوصاف تُعتبر لدى الشاعر في العصر الحديث، ذات أهمية ضئيلة مقارنة بالتركيز على المبادئ والأخلاق السامية. أما الأبيات التي تناولت جمال الوجه فهي كالتالي:

"أما الجَمالُ فأنت شمسُ سماءِه

والحسنُ من كرمِ الوجوه وخيرُه  
وما أُوتِيَ القُوادُ والزُعماءُ"<sup>١٤</sup>.

يشبه الشاعر جمال النبي الكريم بشمس السماء التي تنير كل شيء، مشيرا إلى أن الجاذبية والملاحة التي يتحلى بها صاحبه أبو بكر الصديق أيضا مقتبسة منه. كما يذكر

<sup>١٣</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٤.

<sup>١٤</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

أن حسن الوجه مما اتسم به القادة والزعماء وهو خير لهم. فعندما يتحدث الشاعر عن الجمال الخارجي، يحاول ربطه بنقاء الداخل وصفائه.

يواصل الشاعر سرد صفات النبي الكريم بتفصيل عبر أربعة عشر بيتا، بدأ كلا منها بأداة الشرط 'إذا'، مما يجعل الأبيات مترابطة وملتصقة، ويعطي القارئ شعورا بالتسلسل، ويجعل حفظ الأبيات واستيعاب الأفكار أمرا سهلا وميسرا، فيقول:

"فإذا سخوت بلغت بالجود المدى  
وفعلت ما لا تفعل الأنواء  
وإذا عفوت فقادرا ومقدرا  
لا يستهين بعفوك الجهلاء  
وإذا رحمت فأنت أم أو أب  
هذان في الدنيا هما الرحماء  
وإذا غضبت فإنما هي غضبة  
في الحق لا ضغن ولا بغضاء  
وإذا رضيت فذاك في مرضاته  
ورضا الكثير تحلّم ورياء"<sup>١٥</sup>.

يتنقل الشاعر بين صفات النبي بشكل سلس، فيذكر من صفاته السخاء والعفو والرحمة و الغضب لوجه الله والوفاء وحسن العشرة والشجاعة وموهبة الخطابة والقضاء.

أما بالنسبة للمقطع الذي خصّصه البوصيري لبيان أخلاق النبي ﷺ وشمائله في قصيدته، فقد أبدع الشاعر في استعراض هذه الصفات فيه، حيث خصص لذلك ستة عشر بيتا. وهذا أمر طبيعي، خاصة في حق القصيدة التي تضم أكثر من أربعمئة بيت. وأيضا، عند استكشاف مواقف متنوعة من سيرة النبي ﷺ، يسعى الشاعر إلى معالجة

<sup>١٥</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

تلك الأوصاف السامية، مثلما قال مع نسبه في البداية، ومع ثنايا حديثه عند زواجه من

خديجة وكذا بعد الرسالة. يستهلّ الشاعر هذا المقطع من القصيدة قائلاً:

"رحمة كله وحزم وعزم

ووقار وعصمة وحياء

لا تحل البأساء منه عرا الصب

ر ولا تستخفه السراء

كرمت نفسه فما يخطر السو

ء على قلبه ولا الفحشاء

عظمت نعمة الإله عليه

فاستقلت لذكره العظماء

جهلت قومه عليه فأغضى

وأخو الحلم دأبه الإغضاء"<sup>١٦</sup>.

هذه الأبيات مجموعة من صفاته العظيمة التي جعلته نموذجاً للإنسان الكامل في

الأخلاق والتصرفات. يبدأ الشاعر بتعداد بعض صفات النبي كالرحمة والحزم والعزم،

وهي صفات تجمع بين اللين والقوة، وتُظهر توازنه في شخصيته، كما يتسم النبي بالوقار

والعصمة.

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير مدى صبر النبي وثباته في الشدائد، حيث لا تؤثر عليه

البأساء أو المحن، ولا تستخفه الأفراح والنجاحات، فهو دائم التوازن والاعتدال. هذا

يعكس شخصية النبي التي لا تُغيرها الظروف ولا تُؤثر فيها تقلبات الحياة.

كما يشير إلى طهارة نفس، حيث لم يخطر في قلبه سوء أو فاحشة، مما يدل على نقاء

سريته وسمو أخلاقه. فكرامة نفسه تمنعه من التفكير أو الخوض فيما لا يليق

بمكانته. ويُظهر الشاعر مدى عظمة النعم الإلهية التي أسبغها الله عليه.

<sup>١٦</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٢٠.

في ختام الأبيات، يُبرز الشاعر حلم النبي في التعامل مع جهل قومه وإساءاتهم، فقد كان يغيض الطرف عن الإساءة ويُقابل الجهل بالحلم والصفح، وهو يدل على سمو أخلاقه ورفعة شأنه. وبهذا يُظهر الشاعر صورة متكاملة للنبي كقائد عظيم وإنسان كامل، يجمع بين الرحمة والحزم، والحياء والصبر، والحلم والعفو.

فيتناول كل من الشعارين في قصيدتهما صفات نبيلة تتجلى بوضوح في شخصية النبي ﷺ، كالرحمة والشجاعة والعفو والرضا بالحياة وهي من أكثر الصفات التي تكرر ذكرها في السيرة النبوية والأحاديث الشريفة، ويستمر الشعراء في الاحتفاء بها وتمجيدها في قصائدهم، لكونها تشكل النموذج المثالي للإنسانية والقيادة.

إلى جانب الأخلاق الكريمة، يُعنى البوصيري في قصيدته بذكر السمات الخَلقية. وهو يتطرق إلى جماله الظاهر وهيئته المهيبة. كما يُشبه النبي الكريم بالشمس المضيئة، ويذكر أن الظل يزول عندما يطلع، حيث يقول:

"شمس فضل تحقق الظنّ فيه  
أنه الشمس رفعة والضياء  
فإذا ما ضحا محاً نوره الظل  
ل وقد أثبت الظلال الضحاء  
فكان الغمامة استودعته  
مَنْ أظلت من ظله الدفء  
أمع الصبح للنجوم تجلّ  
أم مع الشمس للظلام بقاء"<sup>١٧</sup>.

الشمس تملأ الكون بالضياء وتبدد الظلام عند طلوعها، وكذلك نور النبي يمحو ظلمات الجهل والضللال ويثبت الخير والهداية في القلوب. ويصور الشاعر ظل النبي كأنه غيمة

تمنح الدفء لمن يستظل بها، مشيراً إلى حنان النبي ورعايته لأُمَّته. ويختتم الشاعر بالتساؤل البلاغي الذي يؤكد أنه لا يمكن أن يبقى الظلام مع إشراق نور الشمس.

الظل هو رمز للحماية والأمان. يشير البوصيري إلى أن النبي يستطيع أن يُظِلَّ الآخرين برعايته، على الرغم من أنه ليس له ظل، إذ هو نور. في قصيدته، يتحدث الشاعر عن الأتباع الذين وجدوا الملاذ والحماية في ظل النبي المعنوي، بينما يشير أحمد شوقي في قصيدته إلى الصديق رضي الله عنه الذي استفاد من نور الهداية الذي اكتسبه من النبي الكريم. يظهر في القصيدة كل من النور والظل، اللذان يمثلان ظاهرتين متضادتين، كظواهر جميلة عندما يتم ربطهما بشخصية النبي الكريم.

## القرآن الكريم

فضائل التنزيل الكريم هي من أهم المحاور التي تدور فيها المدائح النبوية، حيث يشيد به الشعراء بصفته معجزة خالدة، وكلمة الله المتحدية للزمان والمكان، ونورا للقلوب، ودليلاً للسعادة في الدنيا والآخرة.

يكرّس أحمد شوقي سبعة عشر بيتاً من قصيدته لبيان عظمة القرآن الكريم ويُبرز إعجازه ويُظهر تفوقه على الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل، ويصف أثر الوحي على البشرية وإسهامه في بناء حضارة إسلامية راسخة. كما يتناول قوة فصاحة الرسول وعجز فصحاء العرب عن مجازاة بلاغة الوحي. يستهلّ الشاعر بقوله:

"يا أيها الأُمِّيُّ حسبُك رتبةٌ في العلم أن دانَت بك العلماءُ"<sup>١٨</sup>.

<sup>١٨</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٦.

يُصِفُ النَّبِيَّ بِالْأَمِّيِّ، وَهُوَ لِقَبٍ يَحْمَلُ فِي طَيَاتِهِ مَدْحًا عَظِيمًا، حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَتَعَلَّمْ مِنَ الْبَشَرِ، بَلْ عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَرَغِمَ أَمِيَّتُهُ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ خَضَعُوا لَهُ وَاعْتَرَفُوا بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ. وَيُؤَاوِلُ الشَّاعِرُ قَائِلًا:

"الذِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكَبِيرَى الَّتِي فِيهَا لِبَاغِي الْمَعْجَزَاتِ غَنَاءٌ

صَدَرَ الْبَيَانُ لَهُ إِذَا التَّقْتُ الْلُغَى وَتَقَدَّمَ الْبُلْغَاءُ وَالْفَصَحَاءُ

نُسِخَتْ بِهِ التَّوْرَةُ وَهِيَ وَضِيئَةٌ وَتَخَلَّفَ الْإِنْجِيلُ وَهُوَ ذُكَاءٌ"<sup>١٩</sup>.

يَرَى الشَّاعِرُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ الْمَعْجَزَةُ الْكَبِيرَى، وَالِدَلِيلُ الْقَاطِعُ الَّذِي يَغْنِي عَنْ أَيِّ مَعْجَزَةٍ أُخْرَى، وَيُعَزِّزُ مَكَانَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِاعْتِبَارِهِ الْأَسْمَى فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، مَتَفَوْقًا عَلَى الْخُطْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ فِي بِلَاغَتِهِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ مَجَارَاتُهَا. وَيَتَطَرَّقُ إِلَى وَصْفِ كَيْفِ خَبْتِ مُوَاهِبِ شُعْرَاءِ الْحِجَازِ وَتَرَاوَجَتِ بِلَاغَةُ الْأَدْبَاءِ فِي سَوْقِ عَكَازٍ أَمَامَ نُورِ الْوَحْيِ الَّذِي أَنْدَلَعَتْ مِنْ غَارِ حِرَاءٍ، وَقَدْ أَصْبَحَ الْحِجَازُ كَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ فِيهِ أُمَّةٌ، بَيْنَمَا يَبْدُو الْحِجَازُ، بِمَا فِيهِ مِنْ أَنْسٍ، كَصَحْرَاءٍ قَاحِلَةٍ، فَيَقُولُ:

"لَمَّا تَمَشَّى فِي الْحِجَازِ حَكِيمُهُ فُضَّتْ عَكَازُهُ بِهِ وَقَامَ حِرَاءُ

أَزْرَى بِمَنْطِقِ أَهْلِهِ وَبَيَانِهِمْ وَحِيٌّ يُقْصِرُ دُونَهُ الْبُلْغَاءُ

أَمْسَى كَأَنَّكَ مِنْ جَلَالِكَ أُمَّةٌ وَكَأَنَّهُ مِنْ أَنْسِهِ بَيْدَاءُ"<sup>٢٠</sup>.

<sup>١٩</sup> نفس المصدر، ص: ٤٦.

<sup>٢٠</sup> نفس المصدر، ص: ٤٦.

هنا يرسم الشاعر صورة عجيبة، إذ إن هيبة النبي وعظمته تشبه أمة بأكملها، ويختتم هذا المقطع من القصيدة بتأكيد خلود القرآن الكريم واستمراره على مر العصور، دون يتلاشى تأثيره:

"أنت الدهورُ على سلافته ولم تفضنَ السلافُ ولا سلا الندماء"<sup>٢١</sup>.

لا تفقد الخمر طعمها أو قيمتها مع مرور الزمن، كما أن الأصدقاء الذين يشربون معا لا ينسون لذتها. وكذلك يظل تنزيل من الرحمن محتفظا بنضارته وقيمته على مر الأعصر، ويستمر كمنازة للهدى والبصيرة.

هذه المقارنة قد تكون مدار جدل في سياق بيان القرآن الكريم. لأن الخمر في الأدب العربي القديم غالبًا ما يرتبط بالمتعة العابرة أو الفانية، بينما القرآن الكريم يمثل الاستمرارية والخلود في الفائدة والهدى. وكذلك جميع المسكرات والمخدرات محرمة لا بدّ من الابتعاد عنها في منظور الإسلام. فمقارنة القرآن بالخمر مما ينفر المتلقي المسلم. رغم ذلك، هذا يساعد الشاعر في نقل الفكرة بشكل واضح ومأثر، وهي نفوذ القرآن المستمر ومدى تفاعله مع القلوب. إضافة إلى ذلك، استخدام رمزية الخمر للتعبير عن تجارب روحية ليس غريبًا في الأدب الصوفي. فكثير من الصوفية استخدموا الخمر كمجاز للذة المعرفة الإلهية، ومن أشهرهم ابن الفارض في خمريته. فلا عجب في توظيف هذه الرمزية للإشارة إلى اللذة الروحية والمعرفية المستمرة التي يُزوّد بها القرآن لمتذوقيه.

---

<sup>٢١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

أما البوصيري فينتقل في قصيدته من وصف غار حراء إلى الحديث عن القرآن الكريم. وعادة ما تشتمل القصيدة على مجموعة متنوعة من الموضوعات والأفكار، نتيجة للترابط الطفيف بين الأبيات السابقة واللاحقة.

متحدثاً عن القرآن الكريم يتعجب الشاعر من حال الكفار الذين ينكرونه فيقول:

"عَجَبًا لِلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالًا      بالذي فيه للعقول اهتداءً  
والذي يسألون منه كتابٌ      مُنْزَلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وَارْتِقَاءُ  
أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذِكْرٌ      فيه للناس رحمةٌ وشفاءُ  
أَعْجَزَ الْإِنْسَ آيَةَ مِنْهُ وَالْجِنَّ      بِنَ فَهَلَّا يَأْتِي بِهَا الْبُلْغَاءُ"<sup>٢٢</sup>.

يستقبح الشاعر إصرار الكفار على الضلالة رغم الدلائل العقلية والنقلية الواضحة التي جاء بها النبي ﷺ، ومنها القرآن الكريم، الذي يمثل معجزة وهداية ورحمة وشفاء للعقول والقلوب. ويستغرب الشاعر في مطالبة الكفار بمعجزات إضافية مع أنّ القرآن بين أيديهم. يؤكد الشاعر على أن القرآن الكريم بإعجازه وبلاغته لا يمكن أن يُجاريه البشر أو الجن حتى ولو بمثل آية منه.

يتفق كلا الشاعرين في إبراز القرآن كمعجزة كبرى، لكن البوصيري يتناول أسلوباً جديداً ينكر موقف الكفار، بينما شوقي يستخدم أسلوباً مدحياً يظهر فيه عظمة النبي الأمي التي تحققت من خلال المعجزة القرآنية.

ينتقل البوصيري إلى الوصف الإجمالي لخصائص القرآن الكريم، فيقول:

<sup>٢٢</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٢٤.

إن القرءاء يُظهرون لسامعهم معجزاته خلال ألفاظه، لما يتميز به من حلاوة تُطرب السمع وتُبهج النفس. فهو في الأسماع حلى وفي الأفواه حلاوة، حيث قال الشاعر:

"تتحلى به المسامع والأفـ  
واه فهو الحلي والحلواء"<sup>٢٣</sup>.

"وإنما خص المسامع بالحلي وهى الزينة من الذهب لأن المسامع كثيرا ما تتزين بها، ولذلك كانت العرب تكنى عن المرأة الطويلة بأنها بعيدة مهوى القرط. والقرط حلية تضعها المرأة في أذنيها"<sup>٢٤</sup>

وتاليا، شبّه الشاعر القرآن في نقائه وجماله بامرأة فاتنة تفيض بالجمال والصفاء، فقال:

"رَقَّ لَفْظًا وراق معنى فجاءتُ  
في حُلاها وحلِّها الخنساء"<sup>٢٥</sup>.

يرى الشاعر أن القرآن يجمع بين جمال الألفاظ وقوة المعاني، كأنّه فتاة اكتملت فيها صفات الجمال الحسي في المنظر والمعنوي في المسلك. كما ذكر سابقا في تشبيهه ورد في قصيدة شوقي، فقد اختلف النقاد هنا أيضا، حيث يرى بعضهم أنه من الخطأ المساواة بين كتاب يحمل رسالة خالدة وخليقة مادية فانية. ولكن في الحقيقة، ينبغي فهم أن الشاعر استخدم تشبيها بأقصى الجمال، ليقرب المعنى إلى أذهان المتلقين. وإلا لوجب القول إنه ليس من الصحيح تشبيه النبي ﷺ بمخلوقات الكون مثل الشمس والبحر.

<sup>٢٣</sup> نفس المصدر، ص: ٢٤.

<sup>٢٤</sup> المطعني، د. عبد العظيم إبراهيم، الهمزية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم رائعة الإمام البوصيري عرض وشرح وتحليل، دار الرائد للطباعة، بغداد - د.ت، ص: ١٤٣.

<sup>٢٥</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١ م، ط: ٢، ص: ٢٤.

يختتم الشاعر الحديث عن التنزيل الكريم منتقلا إلى الفكرة السابقة بسرد الأراجيف التي تناقلها الأعداء، وذكر كيف يفوق هذا الكتاب المقدس أقاويلهم إذ قالوا فيه سحرا أو افتراء، فيقول:

"والأقاويل عندهم كالتماثي  
لِ فلا يُوهِمَنَّكَ الخطباءُ  
كم أبانت آياته من علوم  
عن حُرُوفٍ أبانَ عنها الهجاءُ  
فهي كالحب والنوى أعجب الزر  
راع منه سنابل وزكاء  
فأطالوا فيه التردُّدَ والرِّي  
بَ فقالوا سِحْرٌ وقالوا افتراءً"٢٦.

يركز هذا المقطع على محاولات الكفار لتشويه القرآن الكريم وتكذيبه. يوضح الشاعر كيف حاول الكفار تزيين أكاذيبهم بهدف إبعاد الناس عن الحق، كما يبين الإعجاز القرآني الذي يحتوي على علم ومعرفة تتجاوز إدراك البشر. يشير الشاعر إلى أن أسلوب القرآن ونظمه يمثلان تحديا لكل من يحاول محاكاته، ويشبه آياته بالبدور التي تنمو وتتكاثر، مما يبرز غزارة معانيه، كما يؤكد على أن الكفار، لعجزهم عن فهم القرآن، وصفوه بالسحر، وهو ما يدل على عظمة القرآن.

مثلا فعل البوصيري، حاول شوقي الرد على منتقدي القرآن، إلا أن جهوده ما كانت بنفس الشكل. وقد مال الشاعر إلى استخدام الضمائر عند الإشارة إلى الأعداء، متجنباً استعمال كلمات مثل 'كافر' أو 'كفار' في أي موضع من القصيدة، كما يبدو أن مثل هذا الاستخدام غالبا لا يأتي في قصائده الأخرى أيضا.

## مبادئ الإسلام وقيمتها

يتناول كل من الشاعرين عظمة مبادئ الإسلام وقيمتها وتأثيرها، وغلبته على سائر المعتقدات والتقاليد السابقة، غير أن أسلوب كل شاعر في عرض هذه الأفكار يختلف، إذ يُخصّص شوقي مقطعاً من قصيدته للحديث عن مبادئ الإسلام بشكل مفصل، بينما يضمن البوصيري تلك المبادئ في سياق الحديث عن الدعوة الإسلامية وحادثة الإسراء والمعراج. يقول البوصيري:

"ثمّ قام النبي يدعو إلى الله وفي الكفر نجدة وإباء  
أما أشربت قلوبهم الكفر ففداء الضلال فيهم عياء  
ورأينا آياته فاهتدينا وإذا الحق جاء زال المرء  
رب إن الهدى هداك وآيا تك نور تهدي بها من تشاء  
كم رأينا ما ليس يعقل قد ألهم ما ليس يُلهم العقلاء"<sup>٢٧</sup>.

يصور الشاعر دعوة النبي ﷺ في بيئة تسيطر عليها الجاهلية والكفر. في الأبيات المذكورة، يصف كيف دعا النبي الكريم إلى الله، حيث كانت القلوب غارقة في الضلالة، والداء الروحي العياء. ولكن مع ظهور آيات الحق المبين، زالت الشكوك، وأشرقت الأنوار الإلهية التي تهدي من يشاء الله هدايتهم، حتى أن بعض الكائنات غير العاقلة استشعرت عظمة النبي ﷺ والرسالة التي جاء بها، بينما بقيت بعض العقول البشرية غافلة وغير مستعدة لقبول هذه الحقيقة. وفي الأبيات تصوير مشاهد مدهشة تعكس تجاوب

الطبيعة مع النبي الكريم، حيث استقبلته الحجارة والأشجار بالسلام والإجلال، وحنّ جذع النخلة اشتياقاً إليه، والظباء والغزلان تحدثت إليه. ويشير الشاعر في تعبير عجيب عن إدراك هذه المخلوقات لعظمة رسالته، عندما خالفه بعض الناس الذين انشغلوا عن هذا النور الإلهي.

إضافة إلى هذا، يشيد البوصيري بعظمة الإيمان وقوته، مستعرضاً حادثة الإسراء والمعراج التي كانت امتحاناً عظيماً للإيمان. فعندما أخبر النبي ﷺ بها، سارع الأعداء إلى إنكارها وسخروا منها، لكن ذلك لم يثنه عن مواصلة دعوته. ويؤكد أن هذه الدعوة المباركة، القائمة على الحق والإيمان، لا يمكن أن تنطفئ أو تتوقف، ثم يقول:

"ويدلّ الورى على الله بالتو حيد وهو المحجة البيضاء"<sup>٢٨</sup>.

يذكر الشاعر أن النبي ﷺ كان دليلاً للناس كافة على توحيد الله، وهو الطريق الواضح النقي، الذي يمكن لأي شخص أن يسلكه للوصول إلى الحق والهداية.

يبدو أن الشاعر في الواقع لم يكن يسعى إلى إبراز جمال المعتقدات والمبادئ الإسلامية بل أن هذه الفكرة برزت بشكل عفوي أثناء الحديث عن موضوعات أخرى. إنما تطوّرت النقاشات والكتابات التي تدور حول جمالية المبادئ والقيم الدينية مثل العدالة الاجتماعية، والتعددية والوعي الثقافي في القرنين الأخيرين. وتهدف هذه الأعمال بشكل رئيسي إلى توعية المسلمين الذين يعيشون في مجتمعات متعددة الثقافات، وإلى جذب غير المسلمين إلى الإسلام.

---

<sup>٢٨</sup> نفس المصدر، ص: ١٦.

ولكن لم تتناول كتابات العلماء والمفكرين القدماء وصفا شاملا لجمال القيم الإسلامية. وهذا الغياب واضح في قصيدة البوصيري، حيث لا يتجاوز إشارات عابرة لهذه القيم. أما أحمد شوقي، فقد اتخذ منها موقفا مغايرا تماما، حيث خصّ جزءا كبيرا من أعماله لتسليط الضوء على عظمة التوحيد، ورونق التعاليم والمعتقدات الإسلامية وتجاوبها مع المفاهيم والعقائد في الأديان والمذاهب الأخرى. ومن كلماته التي تعبر عن ذلك:

"بك يا ابن عبد الله قامت سمحة  
بالحق من ملل الهدى غراء

بُنيت على التوحيد وهي حقيقة  
نادى بها سقراط والقدماء"<sup>٢٩</sup>.

تُبرز الأبيات مكانة رسالة النبي ﷺ، التي قامت على التوحيد والحق، وتميزت بسماحتها وشموليتها. وفيها إشارة إلى جذور هذه الرسالة في التاريخ، ودعوة الفلاسفة القدماء لهذه الفكرة. وينتقل الشاعر إلى دولة يسودها القيم الإسلامية قائلا:

"فرسمتَ بعدك للعباد حكومةً  
لا سوقة فيها ولا أمراء

الله فوق الخلق فيها وحده  
والناس تحت لوائها أكفاء

والدين يسر والخلافة بيعة  
والأمر شورى والحقوق قضاء"<sup>٣٠</sup>.

هنا يلجأ الشاعر إلى مبادئ الحكم التي أرساها الإسلام، والتي قامت على العدل والمساواة والشورى. هذه الحكومة نموذج فريد يتسم بسيادة الله، واحترام حقوق الناس جميعا، وتيسير أمورهم، حتى قال:

---

<sup>٢٩</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٧.

<sup>٣٠</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

"الاشتراكيون أنت إمامهم

لولا دعاوى القوم والغلواء"<sup>٣١</sup>.

يرى شوقي أن الإسلام، بمنهجه العادل، هو الأصل الذي يكون قدوة لكل من يدعو إلى العدالة الاجتماعية، ويتفوق حتى على الاشتراكية المعروفة بوسطيته، وابتعاده عن الغلو والتجاوزات.

هنا يحاول الشاعر التأكيد على أن القيم التي يدعو إليها الإسلام تُشابه المفاهيم التي تُرَوِّجها المدارس الفكرية الحديثة، وهو ما يعكس اهتمامه الكبير بهذه التيارات الفكرية. وهذا النهج من جانبه أثار شيئاً من الجدل، وتعرض لانتقادات من علماء الدين وشخصيات بارزة أخرى. وفي عام ١٩٤٩م، عند تسجيل هذه القصيدة بتلحين الموسيقار المصري رياض السنباطي (١٩٠٦-١٩٨٦م) وبغناء المطربة الشهيرة أم كلثوم، واجه هذا الفريق أزمة عندما طلب الملك فاروق، حاكم مصر حينها، حذف هذا البيت من القصيدة، لأنه كان ينفر بشدة من كلمة الاشتراكية، ويعتبر هذا البيت بمثابة ترويج صريح لها، إلا أن المغنّية أصرت على موقفها بقوة، ممّا دفع الملك إلى التراجع عن قراره<sup>٣٢</sup>.

يواصل الشاعر حديثه عن مبادئ الإسلام وجمالها:

"الحربُ في حقّ لديك شريعةٌ

ومن السُّموم الناقعات دواءٌ

والبرُّ عندك ذمّةٌ وفريضةٌ

لا مِنّةٌ ممنونةٌ وجِبَاءٌ

جاءت فوحّدت الزكاةً سبيلَه

حتى التقي الكرماءُ والبُخلاءُ"<sup>٣٣</sup>.

<sup>٣١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

<sup>٣٢</sup> «ولد الهدى».. عندما طلب الملك فاروق حذف «الاشتراكيون أنت إمامهم»، جريدة ويتو (Veto)، ت.ن: 16/11/2018، ت.ت:

<https://www.vetogate.com/3356723#.9/11/2024>

<sup>٣٣</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٧-٤٨.

"أنصفتَ أهلَ الفقرِ مِن أهلِ الغنى فالكلُّ في حق الحياة سواءً

فلو أنّ إنساناً تخيّرَ مِلةً ما اختارَ إلا دينك الفقراءُ"<sup>٣٤</sup>.

يُجسّد الشاعر بكلمات عذبة وجيزة سموّ القيم والمبادئ الإسلامية. ويبين عدالة الإسلام وشموليته، إذ تجمع بين القوة والرحمة، وتجعل البر والإنفاق واجبا شرعيا، وليس فضلا على الآخرين. كما تُظهر كيف أن نظام الزكاة يخلق توازنا بين الأغنياء والفقراء، ويحقق الإسلام المساواة والإنصاف في حق الحياة، حتى أن الفقراء يرونه الدين الأمثل لهم.

يتضح مما سبق أن هناك بونا شاسعا بين فكرة الشاعرين. وإذا كرّس شوقي جزء كبيرا من مديحه النبوي للحديث عن روعة القيم، فهذا يشير إلى إيمان شوقي بأن تلك القيم هي العنصر الأبرز الذي يميز شخصية النبي ﷺ ويجعله قدوة للبشرية.

## رحلة الإسراء والمعراج

تعدّ حادثة الإسراء والمعراج واحدة من أبرز المعجزات التي سبقت الهجرة النبوية، وقد أثبتها القرآن الكريم، مما جعلها محور اهتمام المؤرخين والمفسرين والمحدثين، كما احتفى بها شعراء المديح باعتبارها رمزا لعظمة النبي ﷺ ومصدرا للفخر.

في قصيدة الهمزية لكل من الشعارين يتناول مقطع خاص هذه الحادثة العظيمة. تناول البوصيري وشوقي هذا الحدث العظيم بروح مليئة بالإعجاب والإجلال، إلا أن لكل منهما أسلوبه الخاص. ركّز البوصيري على مفهوم المعجزة، في حين أبدع شوقي في رسم مشاهد

<sup>٣٤</sup> نفس المصدر، ص: ٤٨.

الرحلة بلمسات تصويرية بديعة، تعكس جمال الحدث وعظمة النبي الكريم في بلوغه مقاما لا يناله إلا من اصطفاه الله. وأضف إلى ذلك أن البوصيري إنما خصّ لحادثة الإسراء والمعراج ستة أبيات من قصيدته، وهو عدد قليل مقارنة مع طول القصيدة وأهمية هذا الحدث العظيم. وأحمد شوقي أفرد عشرة أبيات لها مصورا لكل ما شهده النبي وما شاهده. يقول البوصيري:

"فَطَوَى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَاءَ

ت العلا فوقها إسراء

فَصِيفِ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ لِلْمَخ

تار فيها على البراق استواء

وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْ

ن وتلك السيادة القعساء

رَتَبْتُ نَسَقَطُ الْأَمَانِيُّ حَسْرَى

دونها ما وراء هن وراء" ٣٥.

تصف الأبيات تلك الليلة العظيمة التي استوى فيها النبي على البراق، وصعد إلى السماوات وقرب من الله قدر قوسين. وتؤكد الأبيات على عظمة هذا المقام الرفيع الذي تعجز الآمال عن بلوغه أو حتى تصوره، فهو مرتبة لا يمكن أن تتجاوزها أي طموحات أو أحلام.

يتحدث الشاعر عن عودة النبي ﷺ إلى وطنه بعد رحلة الإسراء والمعراج، مسلطا الضوء على ردود الفعل السلبية التي واجهها من قومه، قائلا:

"ثُمَّ وَاقَى يَحْدِثُ النَّاسُ شُكْرًا

إذ أتته من ربه النعماء

وَتَحْدَى فَارْتَابَ كُلَّ مَرِيْبٍ

أو يبقى مع السيول الغُثاء" ٣٦.

<sup>٣٥</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٦.

<sup>٣٦</sup> نفس المصدر، ص: ١٦.

عندما أخبر الناس عن تلك الرحلة العجيبة التي تجاوزت حدود العقل البشري، قابلوه بالشك والاستهزاء، غير قادرين على استيعاب عظمة الحدث وإدراك صدقه، ويتعجب الشاعر من تشكيك المعاندين، ويؤكد على استحالة بقاء الباطل مع الحق، مثلما لا يبقى الغشاء في السيول.

أمّا شوقي فيتناول في هذا الجزء من القصيدة أبعاد الرحلة من دلالات روحية ومعاني باطنية مرتبطة بهذا الحدث العظيم، ويركّز على الجوانب الرمزية لهذه المعجزة، مع طرح نقاش دار حولها، فيقول:

"يا أيُّها المُسرَى بهِ شرفاً إلى ما لا تنال الشمس والجوزاء  
يتساءلون، وأنتَ أَطهرُ هَيْكل بالروح أم بالهيكَل الإسراء  
بِهما سَمَوَتَ مُطَهَّرَيْنِ كِلاهُما نور وريحانية وبهاء  
فَضْلُ عَلَيْكَ لذي الجلال ومنة والله يفعل ما يرى ويشاء"<sup>٣٧</sup>.

يبدأ الشاعر بالإشارة إلى عظمة هذه الرحلة التي بلغ النبي فيها آفاقاً لا تصل إليها الشمس ولا النجوم. ويتناول من يتساءل حول طبيعة الإسراء، هل هي رحلة بالروح أو الجسد، مؤكداً أن النبي ﷺ هو ذو جسد ظاهر. يبدو أنّ شوقي يريد بالفصل بين ذكر التساؤل والإجابة بالجملة الحالية - وأنتَ أَطهرُ هَيْكل، إثبات دعواه بأسلوب رائع. وذلك أنّ المناجاة مع الله تحققت لأنّ روح النبي الكريم مقدسة، وكذلك جسده أيضاً لا يقل قداسة عن روحه، مما يجعل الإسراء بالجسد أمراً منطقياً وغير بعيد، كما أنّه يؤكّد

<sup>٣٧</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٨.

فكرته في بيت لاحق بوصف الجسد والروح بصفات النور والبهاء والروحانية. وهنا تذكير أيضا بأن الجدال ليس ذا معنى، إذ فضل الله وعنايته بالنبي هي الأساس، والله يملك القدرة على تحقيق ما يشاء.

وينتقل شوقي إلى الصور البلاغية لسرد العظمة التي نالها النبي ﷺ من خلال هذه الرحلة

المنيفة، ولوصف الجمال في ذاته والسموات التي عرج به إليها، فيقول:

"تغشى الغيوب من العوالم كلِّما طُويت سماء قُلدتكَ سماء

في كل منطقة حواشي نورها نونٌ وأنت النقطة الزهراء

أنت الجمال بها وأنت المُجتلَى والكفُّ والمرأة والحسناء

الله هيا من حظيرة قدسه نزلا لذاتك لم يجزه علاء

العرش تحتك سُدّة وقوائما ومناكب الروح الأمين وطاء

والرسل دون العرش لم يؤذن لهم حاشا لغيرك موعد ولقاء"<sup>٣٨</sup>.

صوّر الشاعر النبي ﷺ في رحلة المعراج بطريقة تفيض بالجمال والرمزية، حيث بدا كأنه

جمال السماوات وزينتها، وحرية تتلألأ على جيدها، بل كان النقطة الزهراء التي تمثل

مركز النور فيها. أما إعجاب النبي بما شاهد في هذه الرحلة، فقد صاغه شوقي بلغة

خيالية خالصة، بعيدة عن الروايات الواردة في الإسراء والمعراج، كما لوحظ أنّ "رسول

الله كان مشدوها بما يرى من جمال وجلال ولكنه كان هو الجمال والجلال، فكأنما كان

وهو يتملى بالنظر الى جمال السماوات وجلالها يتملى بالنظر إلى نفسه، فهو الجميل، وهو الجمال، وهو الناظر الى الجمال، وهو الجميل بيده مرآة يرى فيها جماله<sup>٣٩</sup>.

وصور الشاعر تقريب الله تعالى لرسوله الكريم تصويرا شعريا يمجد مكانته الفريدة، حيث أعد الله له مقامًا رفيعا لم يبلغه أحد غيره في حضرة قدسه. في هذا المقام، يكون العرش تحته وجبريل عليه السلام متكأ له كأن النبي وطئ على منكبه.

هنا يلاحظ أن هذا التعبير الشعري يظهر جافيا وغير ملائم، تقول د. سعاد عبد الوهاب<sup>٤٠</sup>: "وأحسب أن التحتية هنا لا معنى لها، وكان انسجام الصورة يقتضيه أن يقول: العرش أمامك أو فوقك أو إلى جوارك أو بالقرب منك، كما أن تصوير النبي وهو يتخذ من مناكب جبريل مستندا له وتكأة فيه لون من الجفوة، لأن هنا التصوير الذي لا يليق لا بالحامل ولا بالمحمول"<sup>٤١</sup>.

تشير الباحثة إلى أن الشعر الذي يتناول النبي ﷺ ينبغي أن يوازن بين الإبداع الأدبي والإجلال الديني، بحيث تصل الرسالة الروحية والجمالية للقارئ المسلم دون أي شعور بجفاء أو تقليل من الشعائر والمبادئ الإسلامية.

وباختصار يُبرز شوقي المعراج كرحلة كونية تجمع بين الإعجاز الإلهي والتكريم للنبي، فوظف وصفا تفصيليا للحادثة ضمن إطار رمزي.

---

<sup>٣٩</sup> د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، *إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية*، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، القاهرة - د.ت، ص: ١٥٣.

<sup>٤٠</sup> د. سعاد عبد الوهاب تعمل كأستاذ الأدب الحديث في قسم اللغة العربية - جامعة الكويت.

<sup>٤١</sup> د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، *إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية*، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، القاهرة - د.ت، ص: ١٥٤.

والأمر الملحوظ أن كلا الشاعرين لم يتطرقا هنا إلى تفاصيل رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، بل ركّزا على المعراج فقط. يبدو أن عظمة حدث المعراج أذهلتهما لدرجة صرفت انتباههما عن الإسراء. وهذا يختلف عن قصيدة البردة ومعارضة شوقي لها، حيث تناول كلاهما الإسراء والإمامة بالأنبياء بصورة واضحة.

### النشاطات الدعوية والاضطهادات العنيفة

تناول البوصيري في قصيدته نشاطات النبي ﷺ الدعوية، وما واجهه من صعوبات، لكنه عرض ذلك ضمن سياق الموضوعات الأخرى. أما شوقي، فقد أبدع في تسليط الضوء على هذا الجانب بشكل مميز، مخصّصا قسما من قصيدته للحديث عن التحديات التي واجهها النبي ﷺ وصحبه في بداية الدعوة. يقول شوقي:

"الحقُّ عَرَضُ اللَّهِ كُلُّ أَيْبَةٍ  
بين النفوسِ حِمَى له ووقاءُ  
هل كان حَوْلَ مُحَمَّدٍ من قَوْمِهِ  
إلا صَبِيٌّ واحدٌ ونساءُ  
فَدَعَا فَلَبيّ في القبائلِ عُصْبَةٌ  
مُسْتَضْعَفُونَ قلائِلُ أنْضَاءُ  
رُدُّوا بِبِأْسِ العَزْمِ عنه من الأذى  
ما لا تَرُدُّ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءُ"<sup>٤٢</sup>.

تشير الأبيات إلى أن الحق أو الدين شرف الله وكرامته، وهو موضع حماية ورعاية لدى النفوس الكريمة التي تعتبر الدفاع عنه واجبا مقدسا وتحميه كدرع حصين. كان عدد المسلمين في البداية قليلا حيث لم يوجد حول النبي إلا المستضعفون من رجال ونساء،

<sup>٤٢</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠ م، ص: ٤٩.

ومع ذلك لبوا دعوته، وكان الصحابة شجعان ردّوا الأذى بعزيمة صلبة أقوى من الصخر.

ويواصل الشاعر الحديث مشيراً إلى نجاح المسلمين في استئصال عقائد الشرك، كما يشيد بتواضعهم بعد الانتصارات، حيث لم تغرهم النعم ومظاهر الترف، بل استمروا متمسكين بالقيم النبيلة التي تعلّموها.

أما قصيدة البوصيري فتُبرز أبياتها في مختلف المواضع جوانب مهمة من دعوة النبي الكريم وتضحياته لنشر رسالة الإسلام. أولاً تشير إلى مرحلة مبكرة من الدعوة، عندما بدأ النبي ﷺ يدعو قومه إلى الإيمان بالله الواحد في مجتمع تسوده الجاهلية فيقول:

"ثم قام النبي يدعو إلى الل  
ه وفي الكفر نجدت وإباء  
أُمّا أُشريتُ قلوبهم الكف  
ر فداء الضلال فيهم عياء"<sup>٤٣</sup>.

يوضّح الشاعر أن النبي ﷺ بدأ دعوته بين قوم كانوا متمسكين بعادات الجاهلية والكفر. كانت قلوبهم غارقة في الضلالة، فجعلت مهمة النبي صعبة جداً. يتناول الشاعر نفس الموضوع بعدما ذكر حادثة المعراج واصفاً ثبات الرسول الكريم الذي لم يصرفه أذى الكافرين وسخريتهم عن أداء رسالته.

وفي القصيدة إشارة إلى بعض الحوادث الشنيعة التي تمّت من الأعداء تجاه النبي ﷺ في سبيل الدعوة كإساءة امرأة وصفها القرآن بحمالة الحطب، حيث يقول الشاعر:

"وأعدت حمالة الحطب الفه  
ر وجاءت كأنها الوراق

<sup>٤٣</sup>البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٥.

يوم جاءت غضبي تقول أفي مث

لمي من أحمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أي

ن ترى الشمس مقلّة عمياء<sup>٤٤</sup>.

يصف الشاعر أمّ جميل، التي كانت تحمل الحجارة بنية إيذاء الرسول الكريم، ويشبها بحمامة سوداء، في مظهرها الموحش وسرعتها في الكيد. جاءت غاضبة ومليئة بالكبرياء، وهي تتساءل: كيف يمكن أن يوجّه أحمد الهجاء إلى شخص مثلي؟ لكنها لم تستطع أن ترى النورانية والعظمة الحقيقية للنبي، فانصرفت دون أن تدرك مقامه السامي. فيشير الشاعر إلى أن عماها لم يكن مجرد عمى بصريّ، بل كان عمى بصيرة منعها من رؤية الحق.

وكذلك تذكر القصيدة حادثة محاولة اليهودية سمّ النبي في ذراع الشاة، وكيف أن الله أنطق الذراع لتحذير النبي من الخطر.

يتضح مما سبق أن كلا من الشعارين تناول مرحلة الدعوة الإسلامية بأسلوب مختلف يعكس رؤيته. شوقي يتميز بأسلوبه الحماسي الذي يركز على تمجيد المناضلة وعظمة الإيمان، بينما يتسم البوصيري بأسلوبه السردى الذي يمزج بين التصوير الدقيق للأحداث.

---

<sup>٤٤</sup> نفس المصدر، ص: ١٩.

## التوسل والشكوى

التوسل والشكوى في المدائح النبوية من العناصر التي تجسد عمق العلاقة الروحية بين الشاعر والنبى ﷺ. وتعد هذه المدائح وسيلة صادقة للتعبير عن الحب والتقدير، إلى جانب كونها دعاء وطلباً للعون في أوقات الشدة والابتلاء.

يتناول كل من البوصيري وأحمد شوقي موضوع التوسل والشكوى، معبرين عن مكانته العظيمة كوسيلة للشفاعة، ومصدر للرحمة، وماذا للمؤمنين عند الكروب. يتمحور الخطاب في القصيدتين حول عرض الضعف البشري والاحتياج إلى النبي كشفيع ومصدر للأمل والخلص.

من اللافت أن البوصيري أفرد أكثر من مائة بيت للتوسل والشكوى في قصيدته، رغم أنه تطرق أحياناً إلى وصف عظمة النبي ﷺ وأمته. ولم يقتصر توسله على النبي الكريم فحسب، بل امتد حيث شمل يشمل أهل بيته وأصحابه، وخصوصاً الخلفاء الراشدين. في المقابل، اختصر شوقي الشكوى في حوالي عشرة أبيات، بتخصيص عدد مشابه من الأبيات لكل محور من محاور قصيدته، وهو يعكس أسلوبه المتوازن في تناول.

في كلتا القصيدتين، الغرض الأساسي هو تمجيد النبي ﷺ وإظهار الاحتياج العميق لرحمته وشفاعته. والأبيات فيهما تحمل مشاعر الإجلال والرغبة من مقام الرسول الكريم. لما انتقل البوصيري إلى جانب الحزن على الخطايا والرجاء في المغفرة عبّر أحمد شوقي عن شكواه من أزمات الأمة المعاصرة وانحرافها عن القيم النبوية. تحمل الأبيات

رسائل إصلاحية، تدعو إلى التمسك بالقيم الإسلامية وإعادة النظر في السلوك الاجتماعي. يقول شوقي:

"يا مَنْ له عِزُّ الشَّفاعةِ وَحدَهُ  
وهو المُنزَّهُ ما له شُفعاءُ  
عرشُ القيامةِ أنتَ تحتَ لوائهِ  
والحوضُ أنتَ جِباله السَّقاءُ  
تروي وتسقي الصالحين ثوابهم  
والصالحاتُ ذخائرُ وجزاءُ  
المِثْلِ هذا ذُقتَ في الدنيا الطَّوى  
وانشَقَّ من خَلقٍ عليك رِداءٌ"<sup>٤٥</sup>.

يُظهر الشاعر النبيَّ الكريم ﷺ يوم القيامة، كشفيع البشرية الوحيد وحامل لواء الحمد، بالإضافة إلى دوره في سقاية المؤمنين من المورد الكوثر. كما تشير الأبيات إلى مكافأة الصالحين على أعمالهم الصالحة، مع إشارة إلى المعاناة التي تحملها النبي الكريم في الدنيا لنشر الرسالة رغم مكانته العظيمة في الآخرة.

في الأبيات التالية، يذكر الشاعر العمل الصالح الذي قام به، وهو ليس إلا قصائد المدح التي كتبها. ويرجو أن يقبلها النبي الكريم، فتكون سببا في شفاعته له يوم القيامة، فيقول:

"لي في مديحك يا رسولَ عرائسُ  
تُيَمِّنَ فيك وشاقِهِنَّ جلاءُ  
هِنَّ الحِسانُ فإنَّ قِبلتَ تَكْرُماً  
فمُهورُهِنَّ شِفاعَةٌ حَسَناءُ"<sup>٤٦</sup>.

<sup>٤٥</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٩-٥٠.

<sup>٤٦</sup> نفس المصدر، ص: ٥٠.

يقوم الشاعر بتشبيه قصائده الجميلة بالعرائس، ويعتبر مهرها شفاعة، وينتقل إلى التعبير عن رجائه في النبي الكريم ليكون سببا في نجاة الأمة من أزماتها الراهنة، معبرا عن أمله في أن يكون مدحه وسيلة لاستجلاب الرحمة والخير للأمة:

"ما جئتُ بِأَبِكَ مادِحًا بل داعيا      ومن المديح تضرُّعٌ ودُعاءٌ"<sup>٤٧</sup>.

"أدعوك عن قومي الضِّعَافِ لِأُزْمَةٍ      في مثلها يُلقَى عليك رجاءٌ

"أدري رسولُ الله أنْ نُفوسَهُم      ركبَت هواها والقلوبُ هواءُ

مُتفكِّكون فما تضمُّ نُفوسَهُم      ثقةٌ ولا جمَع القلوبَ صفاءُ

رقدوا، وغرَّهُم نعيمٌ باطلٌ      ونعيمٌ قومٍ في القُيودِ بلاءٌ"<sup>٤٨</sup>.

تتحدث الأبيات عن حالة الضعف والانقسام التي أصابت الناس بسبب اتباع أهوائهم وانخداعهم بنعيم زائف. يوضِّح الشاعر أن الثقة والصفاء بين القلوب غائبان، مما جعل النفوس متفرقة والعلاقات ضعيفة. كما ينتقد غفلة الناس وانشغالهم بمتع الدنيا المؤقتة، مؤكدا على أن ما يظنونه سعادة قد يكون في الواقع بلاء يحيق بفناء حريتهم وسعادتهم الحقيقية.

وعلاوة على ما سبق، يمطر الشاعر الشتم على الظالمين للشريعة الإسلام التي كانت أساسا لنهضة عظيمة لم يشهد مثلها حتى علماء روما، ويشير إلى أن هذه الشريعة الإسلامية كانت منبعا للحضارة، فقد أضاءت العالم بنورها، وأرشدت السعداء في أمور الدين والدنيا. ثم يصلي الشاعر على النبي ﷺ ويدعو بالخير والجنة لأهل بيته الكرام،

<sup>٤٧</sup> نفس المصدر، ص: ٥٠.

<sup>٤٨</sup> نفس المصدر، ص: ٥٠.

مشيرا إلى مكانتهم الرفيعة، ويتوسل إليه بفاطمة الزهراء، كوسيلة أقوى للتقرب إلى النبي الكريم.

وتوسلُ البوصيري في القصيدة يتسم بالطول والعمق، حتى يمكن اعتباره من أبرز الأجزاء وأكثرها تفصيلا. هذا المقطع يكشف بوضوح عن هدف القصيدة، حيث يبدأ بندااء موجه للنبي ﷺ، ويتوسل بالأصحاب الكرام والخلفاء الراشدين على وجه الخصوص. ويتسع التوسل فيشمل ذكر الحسن والحسين، مع الإشارة إلى المآسي التي وقعت في كربلاء. كما يتضمن الدعاء لأم السبطين فاطمة الزهراء، وعيَّ النبي، حمزة والعباس، إضافة إلى أمهات المؤمنين الطاهرات وأبنائه. الشاعر يتوجه بالدعاء والاستغاثة بكل هؤلاء الكرام، مستهلا أبياته على النحو التالي:

"يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا مي عليه مدح له وثناء

بالعلوم التي عليك من اللد ه بلا كاتب لها إملاء

ومسير الصبا بنصرك شهرا فكأن الصبا لديك رخاء"<sup>٤٩</sup>.

هذا تمجيد النبي ﷺ بأوصاف عظيمة، حيث يخاطبه الشاعر بلقب 'أبا القاسم' ويذكر العلم الذي أودعه الله في قلب النبي مباشرة دون كاتب، كإشارة إلى وحي الله له. كما يشير إلى معجزة الريح التي سُخِّرت لنصرته، واصفا إياها كأنها نسيم رخاء بين يديه.

وكما سلف ذكره، يتوجه الشاعر بالدعاء والتوسل إلى كل من ذكرهم في قصيدته، مستعرضا عظمتهم ومكانتهم الغالية. وكذلك في هذا الجزء، يعبر عن عمق حبه للنبي

<sup>٤٩</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٣٤.

ﷺ، متوسلاً المغفرة من أخطائه وذنوبه وأفكاره التي أضلته. هنا يدرك المتلقي بسهولة أن الشاعر قد فقد السيطرة على مشاعره، حيث يقدم في أبياته حاجاته واحدا تلو واحد أمام جانب النبي العظيم كملاذ وحيد لكل همومه ومشاكله. ومن تلك الأبيات:

- (أ) "آهٍ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي أَلِفٌ مِنْ عَظِيمٍ ذَنْبٍ وَهَاءٌ  
أَرْتَجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ بِ نَفَاقٍ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءٌ  
وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجِسْمِ مِ اعْوِجَاجٍ مِنْ كَثْرَتِي وَأُنْحَاءٌ"<sup>٥٠</sup>.
- (ب) "يَا نَبِيَّ الْهُدَى اسْتِغَاثَةً مَلْهُو فِ أَضْرَّتْ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءُ  
يَدَّعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصُدُقَ الرَّغْبَاءُ  
أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرَفِي لِلْكَرَى وَاصِلٌ وَطَيْفُكَ رَأَى  
لَيْتَ شِعْرِي أَدَاكَ مِنْ عَظْمِ ذَنْبٍ أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيَّمِينَ حُظَاءٌ"<sup>٥١</sup>.
- (ج) "وَمِنَ الْفَوْزِ أَنْ أُبَيِّتَكَ شَكْوَى هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءٌ"<sup>٥٢</sup>.

الحب الشديد الذي يكتنه الشاعر للنبي يتجلى بوضوح في كلماته، حيث يعترف برغبته العميقة في الارتواء من ينبوع الحب النبوي مرارا. يقول البوصيري:

- "لَمْ أُطَلِّ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نُطْقِي وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءٌ  
غَيْرَ إِنِّي ظَمَأَنْ وَجَدٍ وَمَا لِي بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتِوَاءٌ"<sup>٥٣</sup>.

<sup>٥٠</sup> نفس المصدر، ص: ٣٩.

<sup>٥١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٠.

<sup>٥٢</sup> نفس المصدر، ص: ٤٠.

<sup>٥٣</sup> نفس المصدر، ص: ٤٢.

على عكس الأجزاء التي تناولت وصف الأحداث التاريخية، فإن هذا المقطع ينبض بمشاعر صادقة وعاطفة جياشة. كتب الشاعر هذه القصيدة بعد زيارة النبي ﷺ، مما أضفى عليها لمسات خاصة من الشوق والألم النفسي الذي يشعر به كل محب عند الفراق. وهذا ربما يكون ما جعل هذا الجزء مميزاً ومليناً بالعاطفة. في النهاية، يختم الشاعر قصيدته بالصلاة والسلام على النبي الكريم.

مقارنا بين هذا المقطع من الهمزيتين قام بعض الباحثين والكتاب بتوجيه نقد للبوصيري بشأن ابتغاء الخير لنفسه دون الأمة المحمدية كما أشارت إليه د. سعاد قانلا: "وواضح من هذا التقابل أن بين الشعارين من البعد ما بين الإيثار والأثرة من فارق، وحسبي في التعليق عليهما ما أبداه الأستاذ (على النجدي ناصف) من أن شوقي: "بحكم مواهبه، ورسوخ ملكة الشعر عنده - يجعل من نفسه لساناً لقومه، يصف للرسول الكريم أدوائهم ويسأل لهم الطب والشفاء، فهو جماعي زعيم، واسع النظرة، مشترك الفضل، مؤمن بقوة الترابط في الأمة الواحدة، وتأثر أحادها بما تتأثر به جملتها، وان اختلفوا في مبلغ هذا التأثير ومداه.

أما البوصيري فكما رأيت من الأثرة والفردية، يبغى الخير لنفسه، ويخصها به وحدها كأنه لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها، ولا يريد أن يكون لها فيما تشتهي شريك مع أن حال المسلمين لعنده كانت أكثر سوءاً، وأشد فساداً منها لعهد شوقي، فالفتن قائمة، والحروب متداركة، والاضطراب شامل، والفوضى تكاد تغشى كل مكان"<sup>٥٤</sup>.

<sup>٥٤</sup> د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، القاهرة - د.ت، ص:

يبدو أن هذا النقد الموجه للبوصيري ربما يكون ناتجا عن سوء فهم لطبيعة قصيدته وأسلوبها. فقصيدة البوصيري ليست مجرد مدح للنبي الكريم، بل هي تعبير عن تجربة روحية خاصة تجمع بين التواضع والارتباط العميق بالحبیب المصطفى ﷺ. طلبه الخير لنفسه يعكس تجربة وجدانية صادقة تنسجم مع أسلوبه الذي امتاز بالعفوية والصدق، ولا ينبغي تفسير ذلك كأنايية أو تجاهل للأمة. ويبدو أن هذا التفسير والتشكيك في نية الشاعر كما في المنظور السابق، ينجم عن تحيز واضح وتهمة سابقة مرتبطة بشخصية الشاعر وعقيدته. في الواقع، لا يمكن فهم مدى عمق التزام الشاعر بالمجتمع من خلال اقتباس مقتطف من إحدى قصائده. قد كان البوصيري وقف على الأوضاع السياسية آنذاك وأطلق سهام نقد لاذع على أعداء الأمة حتى في قصيدة الهزمية كما سيذكر في الفصل اللاحق. ومن الأمر المدهش، أن يُحكم على البوصيري بهذه الطريقة، بوضعه في مقارنة مع شاعر قضى سنوات طويلة في بلاط القصر، وواجه انتقادات واسعة لقلة الالتزام بالقضايا الاجتماعية ومشاكل الأمة.

علاوة على ذلك، يجب مراعاة السياق التاريخي لكل من البوصيري وشوقي. فقد عاش البوصيري في زمن مليء بالفتن والانهايار الثقافي، بينما كتب شوقي في فترة نهضوية اتسمت بروح قومية وجماعية. ورغم تركيز البوصيري على ذاته، فإن مديحه الشامل للسيرة المعطرة يحمل شعلة تحفيزية للأمة بأكملها، إذ تسعى مثل هذه القصائد لإحياء القيم النبوية ولغرس روح الإلهام والنضال في النفوس.

فبالإيجاز، اختلاف الاتجاهات الأدبية لكل من البوصيري وشوقي يعكس السياقات المختلفة التي أثرت في كتاباتهما، مما يجعل مقارنة تجربتهما أمرا يتطلب فهم الظروف التي عاشها.

## المحاور الأخرى في القصيدتين

نظرا لأن القصيدتين تنتميان إلى شاعرين عاشا في قرنين مختلفين وتحت ظروف سياسية واجتماعية متباينة، فإن بينهما فوارق تظهر بوضوح. ورغم أن كلاهما تناول موضوعات مشتركة، فإن طريقة عرض هذه الموضوعات ومدى التركيز عليها يختلف بينهما. وكذلك، تناول كلا الشاعرين الموضوعات المختلفة تماما، حيث ركز كل منهما على قضايا تعكس اهتماماته ورؤيته الخاصة. على سبيل المثال، يبرز شوقي المنظور الإسلامي للحرب والعدالة التي ينبغي مراعاتها حتى في النزاعات، بينما يميل البوصيري إلى إظهار اهتمام أكبر بالأحداث التاريخية، مثل الهجرة، التي تعد واحدة من المحطات البارزة في حياة النبي ﷺ. ورغم الإيجاز في تناوله لها، إلا أنه لم يغفل الإشارة إليها.

كما أن البوصيري يسرد تفاصيل مثل نقض صحيفة الحصار، والعواقب التي حلت بأعداء النبي، بالإضافة إلى محاولة الشاعر تقديم الحجج بأسلوب حوارى، على مواقف ومعتقدات اليهود والمسيحيين حول الثالوث والبداء. وتُخصّص القصيدة أيضا مجالا للاحتفال بفتح مكة، لتعزيز أهمية هذا الحدث. إلى جانب ذلك، تنقل القصيدة رحلة الشاعر إلى مكة والمدينة بأسلوب عاطفي، يشبه أسلوب شعراء الجاهلية في وصف الطريق والأماكن التي مروا بها أثناء رحلاتهم بحثا عن محبوبتهم.

من خلال التحليل المقارن بين همزيتي البوصيري وأحمد شوقي، يظهر أن كلا الشاعرين قد اجتمعا في بعض الرؤى والأفكار، بينما اختلفا في أساليب تناول الموضوعي. فقد تشابهت قصيدتهما في العديد من المحاور، حيث تناول كل منهما ولادة النبي ﷺ، وطفولته، وشمائله العطرة، ورحلة المعراج، والقرآن الكريم، ومبادئ الإسلام، والتوسل، والصلاة عليه ﷺ، غير أن هذا التشابه لم يكن تطابقا تاما، بل هناك اختلافات في بعض النواحي.

اتفق الشاعران في نهجهما في افتتاح القصيدة، حيث شرع كل منهما مباشرة في مدح النبي ﷺ، متجاوزين التقليد القديم الذي كان يبدأ بالمقدمة الغزلية أو الوقوف على الأطلال. اعتمد البوصيري على تفصيل الأحداث وسرد السيرة النبوية مع ذكر الأسماء والشخصيات، بينما ترك شوقي التفصيل وركّز على جمال مبادئ الإسلام وأثرها الحضاري. ومن اللافت أن البوصيري لم يمنح أبياتا كافية لشمائل النبي ﷺ ورحلة المعراج رغم أهمية هذين العنصرين، بينما تعامل شوقي مع جميع المحاور بتوازن دون إطالة وتقصير في أحدها.

أما في باب التوسل والشكوى، فقد خصّص البوصيري أكثر من مائة بيت للتوسل، مما جعل الذات الشاعرة حاضرة بوضوح في قصيدته، وعكست أبياته صدق العاطفة والتأثر الروحي العميق. أما شوقي، فقد وزع أبيات التوسل بما يتناسب مع المحاور الأخرى، وجاءت مشاعره أقل ذاتية وأكثر توجها نحو الأمة وقضاياها، مما يجعله أكثر ارتباطا بالسياق الفكري والاجتماعي لعصره.

## الفصل الثاني: تجليات بيئة الشاعرين في الهمزيتين

فكرة الإنسان نتاج ينعكس فيه البيئة التي يعايشها والمجتمع الذي يعامله، ولذلك قال الناقد المصري طه حسين: "التفكير ظاهرة اجتماعية لافردية"<sup>٥٥</sup>. فالآثار الأدبية نثرية كانت أو شعرية تتجسّد فيها الطبيعة التي تلمس حياة أصحابها. الأشعار الجاهلية كانت مملوءة بوصف الأطلال والصحراوات والجمال بينما كانت الإنتاجات الشعرية في العصر العبّاسي تميل إلى وصف البلدان المفتوحة والمدن والقصور والبساتين. وذلك بسبب اختلاف وتعدّد الاهتمامات في العصرين. فالأدب عامّة هو ثمرة تفاعل الأديب مع بيئته والظروف المؤثرة فيها، ولذا كانت موضوعات الشعر وشكله الفني في كل عصر صدى لمظاهر البيئة. فلا بدّ في تحليل الأعمال الإبداعية من الوقوف على الأوساط الاجتماعية والعناصر الخلفية التي ساهمت في تكوين شخصيّات مؤلّفيها.

بدأ المدح النبوي منذ عصر رسول الله ﷺ لأنّ الناس من حوله أعجبوا بشخصيته وكمالها، فتوجهوا إليه بالمدح كما يمدحون ساداتهم. المدح النبوي هو لون من ألوان الشعر الديني، اختلط بألوان أخرى في مسيرة تطوره حتى العصر المملوكي، ولذلك عدّ بعض الدارسين مدح آل البيت من المدح النبوي، فالمدح النبوي الذي جرى على الطريقة التقليدية ما كان مواكبا ومسائرا لصورته التي عُرفت في العصر المملوكي، لأنّ مدح آل البيت -ولو كان فيه ذكرٌ لرسول الله ﷺ - ليس مدحاً خاصاً به. فاختلفت

<sup>٥٥</sup> حسين، طه، فصول في الأدب والنقد، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٧.

القصائد النبوية تدريجيا بمرور الزمن في بنيتها وموضوعاتها، وبحلول العصر المملوكي كانت أكثر انتشارا ووفرة مما كانت عليه في الفترات السابقة.

وراء اتساع المدح النبوي في العصر المملوكي دواعي كثيرة ومتنوعة، والظروف السياسية والاجتماعية والدينية السائدة آنذاك كانت كلها تدفع الشعراء إلى الإكثار من مدح رسول الله. شعراء المدح النبوي لم يكونوا بعيدين عن عصرهم ومجتمعهم، وإنما كانوا يجسّدون حالا موجودة، وهي التمسّك بالمبادئ الإسلامية في ظل ظروف الحرب والقهر، وتعرض الدين لهجمة شرسة، ونبههم لافتراءات الغزاة وإفكهم، فكان لا بد لهم من الرد، ومن الانتصار لدينهم ونبههم، فتضلّعوا من السيرة النبوية والشمائل النبوية، وأشاعوها للوصول إلى الهدف الشريف. وذلك أنّ الصراع مع العدو الخارجي كان على أشد حاله، والغزاة أرادوا اقتلاع الوجود العربي، وقد صبغ الأوروبيون عدوانهم بصبغة دينية، فهاجموا الإسلام وانتقصوا من قدر النبي ﷺ، فردّ الشعراء عليهم بالإشادة برسول الله ﷺ ومدحه وتقديمه على الأنبياء الكرام والناس جميعا. وقدّموا في المدائح النبوية صورا من البطولة والتضحية وأمثلة على التفاني في نصرة الحق، ليحثوا المسلمين على مقاومة الغزاة. وكذلك الأمر مع سياسة بعض المماليك الداخلية، فقد انفردوا بالسلطة، ولم يقيموا العدالة الاجتماعية كما يجب أن تكون، ولم يحافظوا على حقوق المواطنين، فجاءت المدائح النبوية لتذكر المماليك بهذه الحقوق ولتحفز العرب على المطالبة بها، واستعادة مكانتهم وأمجادهم. وكذلك العصر المملوكي كان حافلا بصور من المظالم التي

عانى منها الناس كثيرا فجاءت المدائح النبوية متوسلة برسول الله ﷺ ليرفع عنهم هذه المحن.

## دور البيئة في تشكيل معاني و أبعاد القصيدتين

وكانت البيئة من أهم مقومات الإبداع لدى الشاعر البوصيري، حيث استلهم كثيرا من المعاني من الأوضاع السياسية والاجتماعية والأدبية كما قال الناقد المصري شوقي ضيف: "وهو في تضاعيف ذلك المديح النبوي كله يجسد جهاد الرسول والصحابة لأعداء الإسلام من المشركين واليهود حتى يُدلع الحمية في قلوب معاصريه لسحق حملة الصليب سحقا لا يبقى منهم ولا يذر وتلقف منه المنشدون على حلقات الذكر - لا في بيئة طريقته الشاذلية وحدها، بل في جميع الطرق الصوفية بمصر - هذه القصيدة وأخذوا ينشدونها مترنمين بها حتى يستحيل المصريون شواظا آدميا يأتي على الصليبيين والتتار جميعا"<sup>٥٦</sup>. فالبوصيري وقصائده بما فيه الهزمية كانت ثمرة البيئة المحيطة به. أما أحمد شوقي، فكتب المدائح النبوية في زمن اتسم باضطرابات سياسية واجتماعية، حيث كان العالم الإسلامي يواجه تحديات الاحتلال والتغريب. أثرت هذه البيئة في محتوى القصيدة، فجعلته يُبرز قيم العدالة والرحمة والعلم، التي يمثلها النبي ﷺ.

## عناصر التأثير السياسي

كانت الفترة التي شهدتها البوصيري من أبرز الفترات في تاريخ مصر، والتي تعرض خلالها البوصيري ومعاصروه للعديد من الأحداث السياسية والمواقف المختلفة باختيار دولة

<sup>٥٦</sup> د. شوقي ضيف، الشعر وطابعه الشعبية على مرّ العصور، دار المعارف، القاهرة - ١٩٨٤م، ط: ٢، ص: ١٧٨-١٧٩.

الأيوبيين وسقوطها في أيدي المماليك. ظهر في العصور الوسطى مؤسس الدولة الأيوبيّة صلاح الدين الأيوبي (٥٨٩-٥٣٢ هـ \ ١١٣٨-١١٩٣ م) كرمز القوّة والكيان الإسلامي واستطاع أن يوحد العالم الإسلامي بما فيه من مصر والشام واليمن والحجاز تحت راية الخلافة العبّاسية. ولكن بعد أن صار هذا القائد الثائر في ذمّة الرحمن أخذت نخوة دولته وشكيمتها في التضاؤل، لكون أبنائه وإخوته وأبناء إخوته على ثروة الدولة متكالبين، و إلى تقسيمها إلى عدّة أجزاء مُسرّعين. وبالرغم من أنّ العادل أبا بكر وهو أخو صلاح الدين الأيوبي حاول بقدر المستطاع أن يعيد مجد الدولة وسُمّوها لم ينجح إلّا بقدر غير ملحوظ.

خلال طفولة الشاعر، دعا البابا أنوسنت الثالث (Pope Innocent -III) في روما إلى الحملة الصليبية الخامسة. في هذه الحملة، هاجم ملك المجر وأمراء ألمانيا طبرية من عكا، ثم هاجم الصليبيون بقيادة مبعوث البابا دمياط في ١٢١٨ م واحتلّها، ودارت الحرب بين الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، أي ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، وبينهم حتى تنتهي في ١٢٢١ م.

وكان البوصيري ابن اثني عشرة سنة في التقويم الهجري، حين انشب الصراع عام ٦٢٠هـ\ ١٢٢٣ م بين الملك الكامل بالقاهرة، وأخيه الملك المعظم عيسى بالشام، فتحوّلت صورة الكامل الناجح من بطل إلى جبان، وخان الأمة بإهداء القدس بلا مكافئة لفردريك هوهنشتاوفن (Friedrich von Staufen)، أكبر ملوك أوروبا حينذاك، الملقب بالإمبراطور الروماني المقدس لتكون قواته في فلسطين حاجزا بين الكامل وأخيه. فصارت

القدس التي حررها صلاح الدين الأيوبي في يد الفرنجة مرّة أخرى خمسة عشر عاما. وحينما استعادها المسلمون الخوارزميون القادمون من شرق إيران في عام ١٢٤٤م\٦٤٢هـ كان البوصيري قد بلغ الرابعة والثلاثين.

بعد خمس سنوات، في ٦ يونيو عام ١٢٤٩م يشهد الشاعر حصار الفرنج مرة أخرى لدمياط واجتياحهم للمدينة في نوفمبر ثم زحفهم، بقيادة ملك فرنسا، والقديس فيما بعد، لويس التاسع، باتجاه القاهرة. وبعد ذلك انتصر المماليك عليه في المنصورة، وحبسه في دار ابن لقمان.

بعد تسع سنوات، في عام ١٢٥٨م، كان البوصيري يرى بغداد تقع في أيدي المنغول، ويسمع أنباء أليمة عن مجزرة لم يعرف ولم يشهد شعبيها مثلها. وكان من الممارسات الشائعة للغزاة مغادرة المدن التي دمرها عرضة للنهب لمدة ثلاثة أيام. فقد سفك المنغول دماء البغداديين لمدة أربعين يوما، إلى أن أجبر السكان في البلاد على الاختباء في المقابر والطوابق السفلية للمنازل. ويقدر المؤرخون عدد القتلى، سواء بالسيوف أو بالمجاعة، من عشرات الآلاف إلى مئات الآلاف. ومن العراق إلى الشام استمرت المذابح وتوالت، وسقطت حلب ودمشق في الأيدي السود للمتحالفين من المنغول والأرمن والصليبيين، ثم أقبل الغزاة على مصر، ولكن لم تستمر ولم تطل مهاجماتهم حيث أخفقت المنغول في معركة عين جالوت بمقاومة شديدة من قبل المماليك سنة ٦٥٨هـ\ ١٢٦٠م.

لم تكن الحملات التي شتمها الصليبيون واليهود قضايا سياسية فحسب عند الشاعر البوصيري الغيور، بل كانت أيضاً قضايا ثقافية ودينية، وذلك أنه خشي أن تسود معتقدات الأديان الأخرى على المبادئ الإسلامية، فهاجم الشاعر في قصائده تقاليدها ومفاهيمها الباطلة حتى أنه صاغ قصيدة مستقلة مستفيضة في الردّ على المحتلين وذمّ عقائدهم. وهي لامية سمّاها 'المخرج والمردود على النصارى واليهود'. وكذلك الشاعر كان يدلي في جميع مدائحه النبوية بموقفه المتين من هؤلاء الأجانب المحتلين، فيصفهم بالفساد والرشوة وشهادة الزور.

يرى الشاعر الردّ على أعداء النبي ﷺ دفاعاً عنه وتعاليمه. ومع ذلك لم يكن هذا الأمر فقط الدافع الحقيقي فيما رأى بعض الباحثين بل هناك عوامل أخرى كما قال الأستاذ الدكتور نبيل خالد أبو علي "وأكد لا أجزم بأنّ غيرته على الإسلام فقط هي التي دفعته للتعرض للنصارى واليهود كما أنّي لا أستطيع أن أزعم أنّ فساد ما بينه وبين النصارى في خبرته العملية معهم هي السبب الوحيد الذي جعله يتتبع فساد عقيدتهم وسوء خلقهم"<sup>٥٧</sup>. وكان بعض العمال عندئذٍ يخالطون المحتلين ويخونون المواطنين المسلمين ويتربصون بنفس دولتهم الدوائر. كلّ ذلك حفّز الشاعر على توجيه النقد العنيف ضدّ هؤلاء الأعداء. وهذا النقد يطول في أكثر من خمسين بيتاً في همزيتة، فيقول الشاعر:

"خَبَرْنَا أَهْلَ الْكُتَابِينَ مِنْ أَيِّ نَأْتَاكُمْ تَثْلِيثَكُمْ وَالْبَدَاءُ

مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ وَاعْتِقَادٌ لَا نَصَّ فِيهِ ادِّعَاءُ

<sup>٥٧</sup> أبو علي، أ.د. نبيل خالد، الأدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني، مؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع، غزة - ٢٠١٩م،

والدَّعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا      بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءٌ<sup>٥٨</sup>.

وضع البوصيري لبيّناتِ النقد الموضوعي لعقائد المحتلين من خلال هذه الأبيات الثلاثة، حيث إنّه جلب نفوسهم إلى التفكّر في معتقداتهم، وإلى تحليلها حسب المعايير المنطقية، فطلب منهم المشاطرة بالبراهين العقلية. ويصرّح البوصيري بأنّ التثليث والبداء ما جاء أيّ دليل عليهما في كتاب من الكتب المقدّسة، وأنّ العقيدة التي لا يعضدها نصّ من النصوص السماوية لا تكون إلّا عن محض السفه والعناد، ويضيف أنّ المزاعم ما لم يوجد عليها أدلّة يوثق بها كالأدعياء المنسوبة إلى الأصول المفترى عليها.

ويحرّك الشاعر نفوسهم وعقولهم بالتنبيه على التناقض الواضح في معتقداتهم قائلاً:

"ليت شعري ذكرُ الثلاثة والوا      حد نقصٌ في عدّكم أم نماءٌ

كيف وحدّتم إلهًا نفى التو      حيد عنه الآباء والأبناء"<sup>٥٩</sup>.

يطلب البوصيري من المخالفين تبرير قولهم المتناقضين، وذلك أنّهم يذكرون الثلاثة تارة حيث قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة ويذكرون الواحد تارة أخرى حيث ادّعوا توحيداً، فحيث ذكروا التثليث كان ذكرهم الواحد نقصاً، وحيث ذكروا الواحد كان ذكرهم التثليث زيادةً، وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لأنّهم تارة يثبتون تعدّد الإله وتارة يثبتون عدم تعدّده. وكذلك يسأل الشاعر كيف يعتقدون بتوحيد الإله مع أنّ آبائهم وأبنائهم قاموا على نفيه.

<sup>٥٨</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١١.

<sup>٥٩</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١١.

في هذه الأبيات يتناول الشاعر المحاور العقلية في ألفاظ بسيطة بدون تعقيد معنوي، ويتجلى فيها أثر البيئة المحيطة بالشاعر حيث يتمسك بأسلوب الاستدلال الشائع في عصره.

يحاول الشاعر بعد ذلك إثراء القصيدة بالأدلة التي تشير إلى عجز الإله الذي يعتقدونه فيقول:

"أهو الراكب الحمارَ فيا عجب      زَ إِلَهٍ يَمَسُّهُ الْإِعْيَاءُ

أجمع على الحمار لقد جلَّ      حمارٌ بجمعهم مَشَاءُ

أم سواهم هو الإله فمانسُ      بةُ عيسى إليه والانتماء"<sup>٦٠</sup>.

بكلّ عجب واندهاش يتساءل كيف يصبح نبي الله عيسى إلها مع أنه يركب حماراً؟، أليس ذلك مؤذناً بعجزه وعدم كفاءته؟، لأنّ هذا الإله لعله يكون غير قادر على المشي أو الوصول إلى المكان المنشود بسرعة بدون وسيلة من الوسائل. في هذه الأبيات يتم دحض حجج الذين يقولون إنّ عيسى هو الله وإنّ هناك أكثر من إله واحد، ثمّ يسأل الشاعر هل كلّ واحد من الآلهة على الحمار، فيتعجب من قوّة ذلك الحمار الذي يحمل هؤلاء الأرباب أجمع، ويختم بطرح سؤال آخر، وذلك أنه إذا لم يكن هؤلاء آلهة فلماذا يدعون الألوهية في عيسى ويعتقدون أنه هو الربّ القدير على كلّ شيء. وينتقل الشاعر بعده إلى ذكر محاولة القتل لعيسى قائلاً:

"قَتَلْتَهُ الْيَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمْ      وَلِأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ

<sup>٦٠</sup> نفس المصدر، ص: ١١.

إِنَّ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّهِ

تَعَالَى ذِكْرًا لَقَوْلٍ هُرَاءَ

مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَكُلُّ

لَزِمَتْهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ<sup>٦١</sup>.

يشير البوصيري إلى أنّ يسوع تمّ اغتياله من قبل اليهود حسب معتقدات النصارى، وهذا أمر عجيب حقًا إذ لا يمكن أن يصبح الشخص الذي يموت أو يُقتل إليها يُعبد. وفوق ذلك، يزعمون أنّ عيسى المسيح لقد بعث بعض من مات منهم، فكيف لا يُمكن لشخص يُعطي الحياة للموتى أن ينقذ من الموت؟. فادّعاءهم أنّه هو الله أو أنّه هو ابن الله هو خاطئ زائف.

وتشهد هذه الحجة على أنهم لا يملكون الحكمة والفهم. ويصرّح الشاعر بأنّ ما قالوه في الله تعالى هراء باطل كما صارت دعاوي اليهود سخيّة لا طائفة تحتها. فمزاعم كلا الفريقين قبيحة للغاية. وتاليا يشرع الشاعر في وصف معتقدات اليهود، ويقول:

"إِذْ هُمْ اسْتَقْرَأُوا الْبَدَاءَ وَكَمَّ سَا

قَى وَبِالْأَلِيمِ اسْتَقْرَأَ

وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَهَّ

أَرَ فِي الْخَلْقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ"<sup>٦٢</sup>.

واتبعت اليهود نظريّة البدء - وهي دعوى يراد بها أن نظاما أو شريعة لا يستبدل بنظام آخر أو شريعة أخرى - وهذه المطاردة العمياء تسببت لهم بأضرار جسيمة. ويشكّ الشاعر هل هم يعتقدون في قدرة الله القاهرة حيث يسيطر على جميع الخلق، ويعمل ما يشاء فيهم، ولديه القدرة على إنشاء وإضعاف نظام القانون. ويواصل البوصيري حملته الفكرية حيث يقول:

<sup>٦١</sup> نفس المصدر، ص: ٢٧.

<sup>٦٢</sup> نفس المصدر، ص: ٢٧.

"جوّزوا النسخ مثل ما جوّز المسدّ خ عليهم لو أنهم فقهاء  
هو إلا أن يرفع الحكم بالحكم م وخلق فيه وأمر سواء  
ولحكم من الزمان انتهاء ولحكم من الزمان ابتداء"<sup>٦٣</sup>.

يقول الشاعر أنه لو كان لديهم عقل سليم لسمحوا بإسقاط قاعدة وإحضار قاعدة أخرى، كما تمّ قبول قاعدة المسخ، والمسخ هو تحويل شكل إلى أقبح منه، وهذا ما تصوروه من خلال تجربتهم. ولقد حوّلهم الله إلى قردة وخنزير بسبب الفضائع التي ارتكبوا عليها يوم السبت في عهد النبي موسى عليه السلام كما أشار إليه القرآن الكريم. ومن العجب أنّهم لا يدركون أن التحول وتغيير القانون هما نفس الشيء، لأنّ النسخ في الشرع بيان إزالة حكم شرعي بخطابٍ آخر شرعي، فالحكم الأوّل -وهو المنسوخ- ينتهي والحكم الثاني -وهو الناسخ- يحلّ محلّ التنفيذ. وإنّ الاستعاضة عن حكم بحكم آخر هو لصالح الخلق. والله تعالى شأنه يُضَعِّفُ قانونا وفقا للسياق ويشعر قانونا آخر أكثر فائدة وعملية.

ختم البوصيري أبياته بالحديث عن يوم السبت، اليوم الذي خصّصه الله لبني إسرائيل للعبادة ومنعهم من القيام بأي عمل آخر فيه. وأشار إلى أنه لو أراد الله لهم الخير والهداية، لجعل عبادتهم يوم الأربعاء، اليوم الذي خُلِق فيه النور الذي يهدي الناس إلى الطريق الصحيح. كما أوضح أن كلمة 'السبت' ترتبط بالفراق والانفصال، مما يعكس

---

<sup>٦٣</sup> نفس المصدر، ص: ٢٧.

معاني سلبية. وذكر كيف أن الله نهى عن الصيد يوم السبت، وعندما خالفوا هذا الأمر، عاقبهم الله بتحويل صغارهم إلى قرود وكبارهم إلى خنازير .

من خلال هذه الأبيات، يظهر الشاعر سخافة عقائد المعاندين، كما يعكس موقفه من فساد سلوكهم وتأثيره السلبي على الأمة.

في هذا السياق، يوظف الشاعر القصيدة كسلاح قوي في الصراع الفكري، حيث لا يكتفي بمجرد الفكاهة أو إهانة خصومه، بل يدعوهم إلى التأمل في معتقداتهم وأفكارهم. يسعى الشاعر لإظهار ضعف حججهم من خلال طرح أسئلة متعددة تدفعهم للتفكير وإعادة النظر.

في ظل الانقسامات السياسية والاجتماعية التي عصفت بالأمة الإسلامية، لعبت المدائح النبوية دوراً تحفيزياً لإحياء قيم الوحدة والعدالة. يقول شوقي ضيف: "يصور (البوصيري) جهاده وجهاد أصحابه لأعداء الإسلام، حتى استسلموا عن يد وهم صاغرون، متخذاً من ذلك شعاراً لجهاد الصليبيين حتى تمحقهم الجيوش العربية محقاً. ولم تقف تلك القصيدة الرائعة (البردة) وأختها الهمزية السالفة عند دورانهما في حلقات الذكر وحفلات الأعياد والموائد، بل اتسع انتشارهما في جميع الأوساط المصرية والشامية، إذ تجردت جماعات من الناس للطواف بهما في ديار مصر والشام، منشدة لهما على الطبل والمزمار"<sup>٦٤</sup>.

---

<sup>٦٤</sup> د. شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، القاهرة - ١٩٨٤م، ط: ٢، ص: ١٨٠.

أمّا المديح النبوي لشوقي فلم يكن بعيدا عن التأثيرات السياسية والاجتماعية التي أحاطت به. كان الشاعر وثيق الصلة بالأحداث الكبرى التي شكلت تاريخ الشرق العربي والإسلامي، ولذا ينعكس ذلك بوضوح في شعره. فقد عاش شوقي خلال فترة الاحتلال الإنجليزي لمصر، الحدث السياسي والعسكري الأبرز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والذي ترك تأثيرا عميقا في وجدانه ووعيه، فلم يبتعد عن الإشارة إليه في قصائده. كما شهد الحرب العالمية الأولى التي أنهت الإمبراطورية العثمانية ووضعت معظم البلاد العربية والإسلامية تحت سيطرة النفوذ الأوروبي، مما زاد شعوره بالانتماء لدار الإسلام وتأمّله لما أصابها. وأخيرا، عاصر الشاعر أقول الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ م، حيث كان من مؤيدي فكرة الجامعة الإسلامية التي رآها رمزا لوحدة المسلمين وقوتهم.

ورغم ما وُجّه إلى الشاعر من انتقادات بعزّة العاطفة الصادقة في قصائده نتيجة حياته كشاعر بلاط، إلا أن أعماله في أواخر حياته، خصوصا بعد نفيه إلى إسبانيا، كانت مختلفة تمامًا. ومن أبرز هذه الأعمال قصيدة الهمزية التي نظمها عام ١٩١٧ م، تجسدت فيها هموم شوقي وأفكاره حول حال الأمة العربية التي كانت تعيش في أجواء من الخوف والاضطراب، دون قائد يرشدها أو رؤية واضحة للمستقبل. وتكشف أبيات القصيدة بجلاء عن مدى انزعاج الشاعر من الفوضى والظلم الذي سيطر على المجتمع آنذاك. يمكن أن يلاحظ التأثير السياسي في الأبيات من خلال عدة محاور، كتصوير النبي كقائد

سياسي ملهم. يقول الشاعر:

"الحقُّ عالي الرُّكن فيه مُظفّر  
في المُلْك لا يعلُو عليه لواءُ"

ذُعِرَتْ عروشُ الظالمين فزلزَلَتْ

وعَلَتْ على تيجانهم أصداء<sup>٦٥</sup>.

يعكس هذا البيت صورة النبي محمد ﷺ كرمز للقيادة الناجحة التي تنتصر على الظلم. يظهر إيمان شوقي الراسخ بسيادة الحق وعلوه فوق كل قوى الباطل. وكذلك يُبرز تصوره لتهايوي عروش الظلم أمام صوت العدالة وصرخات الشعوب، وذلك يعكس شعور الشاعر العميق بالاضطرابات التي عاشها العالم العربي والإسلامي في تلك الفترة. ويعلو صوت الشاعر عندما يقول:

"وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ كأنما

جاءَ الخصومَ من السماء قضاءً

وإذا حميتَ الماءَ لم يُوردَ ولو

أن القياصرَ والملوكَ ظمأ<sup>٦٦</sup>.

في هذين البيتين، يُبرز شوقي هيبة القضاء حين يُصدره رسول الله ﷺ، ويصفه بأنه يكون قضاء ينزل من السماء على رؤوس الخصوم، مشيراً إلى أنّ العدل من حضرة النبي يُسكت الخصوم، ويصوّر قوة حماية النبي الكريم لحقوق الناس وممتلكاتهم، مشمها ماءهم المحمي بحصن منيع لا يستطيع أحد الاقتراب منه، حتى ولو كان طالبو الماء من أعظم الملوك والقيصرة وأكثرهم نفوذاً. يذكّر الشاعر هنا المجتمع الإسلامي، الذي دمّره الغزو والاستعمار، بحاجة إلى قائد يحمل روح العدالة والعزم الراسخ، وهما من الصفات التي اتسمت بها شخصية الرسول ﷺ، ليعيد للأمة توازنها وقوتها.

ينظم الشاعر قصيدته في زمن تلاشت فيه سلطة الخديوي في مصر تحت وطأة الاحتلال البريطاني. في نظره، كان الحكم الخديوي مرادفاً للخلافة الإسلامية، ويرى أن ما حاق

<sup>٦٥</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٤.

<sup>٦٦</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

بالناس من فوضى وأزمات إنما هو نتيجة فقدانها. لذا، عبّر الشاعر بحماسة عن شوقه

العميق لعودة الخلافة، ولم يدع فرصة للإشادة والتمجيد لها، كما يقول:

"والدين يُسرُّ والخلافةُ بيعةٌ والأمرُ سُورى والحقوقُ قضاءٌ"<sup>٦٧</sup>.

هذا البيت يعبر عن رؤية الشاعر المثالية للنظام الذي يتسم بالعدل والانسجام. يشير

إلى أن الدين، بطبيعته، قائم على التيسير والتبسيط. أما الخلافة، فهي في نظر الشاعر

عقد وبيعة بين الحاكم والمحكوم، حيث تُبنى على الرضا المتبادل والالتزام المشترك بين

الأمة وقائدها. ويتجلى في البيت مفهوم الشورى كركيزة لإدارة الأمور العامة، وذلك

يعكس روح الديمقراطية في النظام الإسلامي. أما الحقوق، فهي مقضية بعدل وإنصاف

دون تفريق بين الناس. في هذه الصورة المثالية، يبرز الشاعر نموذجاً للنظام الذي يحلم

به، نظاماً يتوازن فيه الدين والسياسة، والحرية والعدل.

وبطريقة مشابهة، أولى الشاعر اهتماماً خاصاً ببعض الانتقادات التي وُجّهت إلى الإسلام.

ومن أبرز تلك الانتقادات التي أثارها المستشرقون في ذلك العصر، دعوى بأن الإسلام

انتشر بالقوة وأنه دين السيف والحرب. وكان الشاعر يردّ على هذه المزاعم من خلال

أبياته، كلما سنحت له الفرصة:

"الحربُ في حقِّ لَدِيكَ شَرِيعةٌ ومِن السُّمومِ الناقعاتِ دواءٌ"<sup>٦٨</sup>،

"كَم مِن غَزاةٍ لِلرَّسولِ كَرِيمةٍ فِيها رِضاٌ لِلحَقِّ أوِ إِعلاءُ

كانت لَجُنْدِ اللَّهِ فِيها شِدَّةٌ فِي إِثْرِها لِلعالمينِ رِخاءُ

<sup>٦٧</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

<sup>٦٨</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

ضربوا الضلالة ضرباً ذهبَت بها

فعلى الجهالة والضلال عفاءً

دعموا على الحرب السلام

وطالما حقنت دماءً في الزمان دماءً<sup>٦٩</sup>.

تتناول هذه الأبيات فكرة الجهاد في الإسلام باعتباره وسيلة لتحقيق العدل والحق. يشير الشاعر إلى أن الحرب، رغم قسوتها، قد تكون في بعض الحالات ضرورية مثل الدواء المر الذي يعالج الأمراض. ويُبرز الغزوات التي قادها النبي محمد ﷺ كمثال على الحروب التي هدفت إلى نصره الحق ورفع رأيته. كانت هذه الغزوات مليئة بالتضحيات والصعوبات لجند الله، لكنها صارت رخاء وخيراً للبشرية. كما أن هذه الحروب لم تكن للقضاء على الضلالة والجهل فقط، بل أيضاً لتحقيق السلام الذي كان سبباً في إنهاء كثير من النزاعات وسفك الدماء.

وكذلك تتماشى هذه الأبيات مع البيئة السياسية المضطربة في عصره حيث كانت الشعوب الإسلامية تناضل ضد الاستعمار. يُذكر الشاعر بأن النضال والكفاح ضرورة مستمرة لمواجهة داء الاحتلال الأوروبي الذي كان يسيطر على العالم العربي.

ومن الواضح أن هذه الانتقادات كانت حاضرة في ذهن الشاعر حتى أثناء كتابته لمديحه الشهير 'نهج البردة'، حيث قال:

"قالوا غزوتَ ورُسُلُ الله ما بُعثوا

لقتلِ نفسٍ ولا جاءوا لسفكِ دمٍ

جهلٌ وتضليلٌ أحلامٍ وسفسطةٌ

فتحتَ بالسيفِ بعد الفتحِ بالقلمِ"<sup>٧٠</sup>.

<sup>٦٩</sup> نفس المصدر، ص: ٤٩.

<sup>٧٠</sup> نفس المصدر، ص: ٢٤٠.

وكذلك كان شوقي يسخر قلمه الفياض لإبراز عظمة الإسلام مقارنة بأفكار مثل الديمقراطية والاشتراكية التي كانت بصدد التطور في وقت الشاعر، مؤكداً أن الإسلام سبقها في تأسيس قيم العدالة والمساواة، ويُشير إلى المساواة الاقتصادية التي جاء بها الإسلام، حيث دعا إلى توزيع الثروة بشكل عادل، محارباً الفقر والاستغلال. الأسطر التالية تحتفل بالعدالة الاجتماعية والمساواة التي أرساها الإسلام:

"جاءت فوحّدت الزكاةً سبيلَه  
حتى اتقى الكرماء والبُخلاءُ

أنصفتَ أهلَ الفقر من أهل الغنى  
فالكلُّ في حق الحياة سواءٌ"<sup>٧١</sup>

"فرسمتَ بعدك للعباد حكومة  
لا سُوقَةٌ فيها ولا أمراءُ

الاشتراكيون أنت إمامهم  
لولا دعاوى القوم والغُلواءُ"<sup>٧٢</sup>.

إلى جانب كل ما سبق، تناول الشاعر أزمة التراجع الثقافي التي واجهها المجتمع الإسلامي في زمنه، موجّهاً دعوته الصادقة لهم قائلاً:

"أدعوك عن قومي الضّعافِ لأزمةٍ  
في مثلها يلقى عليك رجاء

أدرى رسولُ الله أن نفوسهم  
ركبت هواها والقلوبُ هواءُ

متفككون فما تضمُّ نفوسهم  
ثقةٌ ولا جمعُ القلوبِ صفاءُ

رقدوا، وغرهمُ نعيمٌ باطلٌ  
ونعيمٌ قومٍ في القيودِ بلاءُ"<sup>٧٣</sup>.

---

<sup>٧١</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠ م، ص: ٤٨.

<sup>٧٢</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

<sup>٧٣</sup> نفس المصدر، ص: ٥٠.

لا تقتصر أمثال هذه المحاور في قصيدة 'الهمزية' وحدها، بل تتجلى في كل أشعاره التي تناولت مدح الرسول ﷺ روح عميقة تتجاوز حدود المديح التقليدي لتشمل قضايا الأمة وآلامها. فهو لا ينظر إلى المدح كغاية بذاته، بل يجعله وسيلة لنقل أحاسيسه تجاه مجتمعه، حيث يظهر حزنه على ما آل إليه من قلق وتراجع. كما يدعو الشاعر في قصيدته 'سلوا قلبي' مخاطبا الرسول ﷺ:

"سألت الله في أبناء ديني  
فإن تكن الوسيلة لي أجابا  
وما للمسلمين سواك حصن  
إذا ما الضرر مسهم ونابا"<sup>٧٤</sup>.

وتستمرّ هذه الظاهرة في خاتمة 'نهج البردة' حيث قال:

"فالطفُ لأجل رسول العالمين بنا  
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم  
يا رب أحسنت بدء المسلمين به  
فتمم الفضل وامنح حسن مختم"<sup>٧٥</sup>.

باختصار، لعبت الظروف السياسية والاجتماعية دورا كبيرا في تشكيل تجربة شوقي الشعرية، ربما بدرجة تفوق تأثيرها على أي شاعر آخر. ويتجلى هذا التأثير بوضوح في بعض مواضع مدائحه، بينما يبدو أقل وضوحا في مواضع أخرى. وفي تعامله مع من يُظهر مواقف عدائية تجاه الأمة ومبادئها، ينهج شوقي نهجا سمحا إذ يُصحح أخطاءهم بلطف دون عنف، بينما البوصيري لا يتردد في تسميتهم والدخول في نقاشات أيديولوجية معهم دفاعا عن موقفه. يبدو أن هذا الأسلوب جاء نتيجة لضغوط

<sup>٧٤</sup> نفس المصدر، ص: ٨١.

<sup>٧٥</sup> نفس المصدر، ص: ٢٤٧.

الانتقادات والتحديات التي واجهها المسلمون، والتي بلغت حدا كبيرا دفعه لاعتماد هذا النهج في التعبير والدفاع عن أفكاره.

## عناصر التأثير الصوفي

كانت البيئة الصوفية عاملا حاسما في تشكيل شخصية الشاعر شرف الدين البوصيري وصقل مدائحه النبوية. فقد ترعرع في مناخ مليء بالتعاليم الروحية والقيم الصوفية التي تركت بصمتها الظاهرة على أشعاره. في عصر الشاعر، شهد التصوف ازدهارا واسعا مع انتشار الطرق الصوفية وازدياد دور الزوايا كمراكز للتربية الروحية. وجد الشاعر في هذه البيئة مجالا خصبا لتمهيد روحه وعمق إيمانه. وكان يتخذ محبة النبي ﷺ ومدحه مع الشوق والإخلاص مسارا نحو التقرب من الله.

كما تمت الإشارة سابقا، كان الشاعر معجبا بطريقة الشاذلية، الذي كان له حضور بارز في زمنه. ومع ذلك، تباينت الآراء حول مدى تقدمه في هذا المسار الروحي. فبينما يرى البعض أنه وصل إلى مقام الغوثية، ولكن يعرض محقق ديوان الشاعر محمد سيد كيلاني وجهة نظر مغايرة حيث قال: "وقد أراد البوصيري أن يكون صوفيا فأخفق، وهو كرجل لم يستطع أن يتشرب تعاليم الشاذلية. وإنما نجد في أخلاقه وحياته ما لا يتفق مع أخلاق الصوفية"<sup>٧٦</sup>.

ولعل ما دفعه إلى هذا الموقف هو مدح الشاعر للحكام، إلا أن الشاعر مدح الحكام على أساس الأعمال النافعة التي قاموا بها للمجتمع، وكذلك ربما أراد الشاعر من الحكام

---

<sup>٧٦</sup> ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥م، ط: ١، ص: ٢١.

دعم نمو الطريقة الصوفية. يستشهد د. فتح الله مصباح على هذا بالتاريخ قائلاً: "ولنا في التاريخ عبرة. ذلك أن قطبين من أقطاب المدرسة الشاذلية سيوجدان أمام الموقف نفسه كما في المغرب زمن السلطان المولى إسماعيل، وهذان القطبان هما 'ابن عجيبة' و'الحراق'. فالأول كان معارضاً فهاجمته السلطات وحالت دون نشر دعوته، والثاني بحكمته ومعرفته استغلال الظروف السياسية لصالح دعوته، فارتأى تأييد السلطان سليمان في محنته السياسية [...] فانقلب هذا الأخير إلى مؤيد للحراق ومساعد له على بناء مرافق للدرقاوية، وقبل منه النصيحة في الرعية، فالسيارة تدور حيثما دارت المصالح"<sup>٧٧</sup>.

بما أنّ البوصيري استند إلى مبادئ الصوفية وأفكارهم كما ذكر كان تأثيره واضحاً في قصائده. ومن أبرز المضامين الصوفية التي تبرز في قصيدة الهزمية فكرة الحقيقة المحمدية<sup>٧٨</sup> أو النور المحمدي الذي يتغشى كل شيء بالكمال والجمال. الحقيقة المحمدية ليست مجرد مفهوم شعري بل هي جوهر روحي عميق يشكل حجر الأساس في التصوف، ويظهر بشكل أو بشكل آخر في قصيدة البوصيري.

النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في هذه الرؤية ليس فقط إنساناً عظيماً أو قائداً، بل هو مصدر النور الذي يضيء الكون بأسره. كل الكمالات التي تتجلى في البشر أو الأنبياء أو أي مظهر من مظاهر الجمال في العالم، هي في الحقيقة تجليات لنوره. فيرى جماعة

---

<sup>٧٧</sup> فتح الله مصباح، د. محمد، *بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم*، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠١١م، ص: ٤٦.  
<sup>٧٨</sup> وللحقيقة المحمدية اصطلاحات أخرى عند الصوفية مثل: القبضة المحمدية والحقيقة الأحمدية وباطن النقطة وبدرة الوجود والروح الأعظم والعقل الأكبر والدرة البيضاء وعرش التجلي.

الصوفية النور المحمدي جوهرًا روحياً سبق وجود العالم المادي. الحقيقة المحمدية تجعل النبي الكريم رمزا ووسيلة للصلة الروحية بين الإنسان والعالم الأعلى، حيث يصبح نموذجا للكمال ومصدرا يلهم الصوفيين في رحلتهم تجاه الله.

في قصيدة البوصيري تتجلى هذه الفكرة بوضوح من خلال تصوير النبي كالشمس التي تستمد منها الكواكب نورها، أو كمنبع النور الذي يفيض على كل شيء، حيث يقول:

"أنت مصباح كل فضل فما تصُّ  
دُرْ إلا عن ضوئك الأضواء"<sup>٧٩</sup>.

فالشاعر يعبر عن النبي ﷺ باعتباره مصدر الفضل التي تتفرع منها جميع المكارم، مؤكداً أن ما يظهر من كمالات لدى الآخرين إنما هو مستعار من هذا النبع المحمدي العظيم. يقول ابن عجيبة في شرح الهمزية: "لا شك أن سيدنا ﷺ هو نور الأنوار، ومعدن المعارف والأسرار، فمن نوره ﷺ اقتبست الأنوار، ومن معدن سره التمسست الأسرار، ولا شك أيضاً أنه ﷺ أفضل الفضائل والكمالات، ومن فضله ﷺ تفرعت المكارم والكرامات، وقد سبق نوره الوجود خلقاً وتقديراً، فلم يزل مصباح الكون سراجاً منيراً، فلا تصدر الأضواء إلا من ضوء نوره الباهر، ولا تلتبس الفضائل إلا من وجوده الظاهر"<sup>٨٠</sup>.

ويكرر الشاعر فكرة مماثلة في موضع آخر من القصيدة، فيقول:

"لا تَقِسْ بالنبيِّ في الفضلِ خَلْقًا  
فهو البحر والأنامُ إضاءُ  
كلُّ فضلٍ في العالمين فمن فَضِّ  
لِ النبيِّ استعارُهُ الفُضْلَاءُ"<sup>٨١</sup>.

<sup>٧٩</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١١.

<sup>٨٠</sup> ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، *الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري*، دار الكتب العلمية الحديثة، بيروت - ٢٠١٠م، ط: ١، ص: ١٧.

<sup>٨١</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٢٠.

النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية – وهو مصدر جميع الأكوان - ليس فقط محورا في قصيدة الهمزية بل أيضا في جميع قصائد البوصيري في المدح النبوي، وهو لم يترك قصيدة إلا غرس من خلالها هذه الفكرة في قلب المتلقي، وفي قصيدة البردة يقول الشاعر:

"وكلهم من رسول الله ملتمس      غرنا من البحر أو رشفنا من الدير"<sup>٨٢</sup>.

"وكل أي أتى الرسل الكرام بها      فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها      يظهرن أنوارها للناس في الظلم"<sup>٨٣</sup>.

يذكر الشاعر من ذلك أن الصفات التي ميز الله بها الرسل والأنبياء تعود في أصلها إلى نور النبي ﷺ، فهو الشمس التي تشع بالضياء، وهم الكواكب التي تستمد منه نورها. والكواكب، كما هو معتقد عندئذ، لا تملك نورا، بل تستعيره من الشمس. وعندما يستعين البوصيري بهذه، فإنه يعبر عن فكرة أن النور المحمدي واحد في جوهره، وإن اختلفت تجلياته.

وفي نفس القصيدة يقول:

"وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من      لولاه لم تخرج الدنيا من العدم"<sup>٨٤</sup>.

وفي قصيدة المحمّدية يقول الشاعر:

"محمّد خبيثٌ بالنور طينته      محمّد لم يزل نورا من القدم"<sup>٨٥</sup>.

---

<sup>٨٢</sup> نفس المصدر، ص: ٢٢٩.

<sup>٨٣</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣٠.

<sup>٨٤</sup> نفس المصدر، ص: ٢٢٩.

<sup>٨٥</sup> نفس المصدر، ص: ٢٢٦.

وفي قصيدة يعبر فيها عن زيارة الحجار والقبر الشريف، يقول الشاعر عن تجلي النور

المحمدي بصورة مغايرة:

"كان سرّاً في ضمير الغيب من قبل أن يُخلق كونٌ أو يكونا

تُشرقُ الأكوانُ من أنواره كلما أودعها اللهُ جبيننا

أسجد الله له أملاكه يوم خرّوا لأبيه ساجديناً"<sup>٨٦</sup>.

ويرى الشاعر في بيت من قصيدة 'ذخر المعاد في وزن بانة سعاد' جوهر النبي الكريم

موجوداً في كل فرد من أفراد النسب الزكي، فيقول:

"من آدمٍ ولحين الوضعِ جوهره الـ المكنونُ في أنفَسِ الأصدافِ محمولٌ"<sup>٨٧</sup>.

في هذه المواقف كلها، اعتمد البوصيري على مذهب شيخه أبي العباس المرسي، الذي

أشار قائلاً: "وهو (النبي) مُمدّ كل الكائنات حتى إن جميع الأنبياء عليهم السلام خلقوا

من نوره"<sup>٨٨</sup>.

وتتكرّر هذه الفكرة بصورة متنوعة في بيت آخر من قصيدة الهمزية. ولما قال الشاعر:

"إنما مثّلوا صفاتك للناس كما مثّل النجوم الماء"<sup>٨٩</sup>.

حاول تشبيه صفات النبي ﷺ بصفات مثالية عليا تنتمي إلى عالم المثل الأفلاطوني، بينما

صفات الآخرين - حتى الأنبياء - تنتمي إلى عالم الصور الذي لا يعكس الحقيقة بدقة.

---

<sup>٨٦</sup> نفس المصدر، ص: ٢٤٧.

<sup>٨٧</sup> الصدف بمعنى غشاء الدرّ، البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٢١١.

<sup>٨٨</sup> ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، *شرح تائية البوزيدي في الخمرة الأثلية*، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء - ١٩٩٨م، ص: ٥٦.

<sup>٨٩</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١١.

فالنبي هو الأصل والمصدر النقي، بينما الآخرون يحاولون تقليده، فتظهر محاكاتهم متأثرة وغير مكتملة، كصورة النجوم التي تنعكس في الماء<sup>٩٠</sup>.

وباختصار، يصوّر الشاعر البوصيري النبي الكريم محاطا بشيء من القداسة ومركزا لكل الوجود. ومن خلال قصيدته، يدعو الشاعر المؤمنَ إلى تقديم كلِّ ما له في هذه الدنيا الفانية لجنابه. فهو الذي اختصه الله بنور إلهي خاص. ومن هذا النور يستمد النبي مكانته كمرشد للبشرية جمعاء، منذ بداية الخلق وحتى النهاية.

وكذلك، تحتل مشاعر الحب منزلة مرموقة في الأناشيد والأشعار الصوفية. ففي بعض النصوص، يتجلى الحب الإلهي بصورة أعمق، بينما تبرز في نصوص أخرى مشاعر الحب للنبي ﷺ بوضوح وتألق. وفي قصائدهم، يظهر الرسول الكريم في صورة الحبيب، حيث يعبر الشعراء عن حبه العميق وشوقهم الكبير لرؤيته. ويصفون بحماسة مشاعر اللقاء القلبي عندما يصلون إلى الروضة الشريفة أو يزورون المدينة المنورة التي حظيت بشرف حُطى النبي الكريمة. كما تنبض أشعارهم بألم الفراق وحرقة الشوق التي تعترهم عندما يغادرونه، فتتحول كلماتهم إلى مرآة لعاطفة صادقة وشوق لا ينقطع.

على الرغم من أن قصائد الأسلاف، بما في ذلك الصحابة، عبّرت عن الحزن العميق لفقدان النبي ﷺ، إلا أنهم تجنبوا مخاطبته بلفظ 'الحبيب'. يقول شاعر النبي حسان بن ثابت رضي الله عنه حزينا:

"فَبَكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةٍ  
وَلَا أَعْرِفُنْكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ"

<sup>٩٠</sup> أ.د عبد الفتاح عبد المحسن الشطي، قصيدة المديح النبوي صلى الله عليه وسلم بين البوصيري وشوقي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٨١) العدد (٤) أبريل ٢٠٢١م، ص: ٨٩-٩٠.

وما لكِ لا تبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغ يتغمد

فجُودي عليه بالدموع وأعُولي لفقد الذي لا مثله الدهر يُوجد"<sup>٩١</sup>.

ربما كانوا يرون أن الخطاب بالحبيب' لا يليق بمقام النبي، إذ كانوا ينظرون إليه كقائد عظيم وبطل أنقذهم من ظلمات الجهل والفساد إلى نور الهداية. وقد يكون من منظورهم أن مخاطبة القائد بلفظ 'الحبيب' يعدم ما يستحقه من تعظيم واحترام. ومع ذلك، جاءت الأجيال اللاحقة بنظرة مختلفة، إذ وجدوا أن وصف النبي بـ'الحبيب' يعزز مشاعر القرب الروحي منه ويعبر عن حبه العميق له. فمنذ عهد البوصيري، أصبحت هذه الصيغة أكثر شيوعاً في الشعر.

حبُّ النبي ﷺ من أعمق المواضيع التي شغلت فكر البوصيري وملأت روحه، إلى درجة أبدع فيها في التعبير عنها. يبدو أن الشاعر، منذ ارتباطه بالطريقة الشاذلية، لم يتجه بأشعاره إلى المحبة الإلهية كما فعل ابن الفارض، بل وجه إبداعه نحو المديح النبوي. وفي هذا المجال، استطاع أن يبلغ قمة لم يصل إليها أحد من قبله ولا من معاصريه. وقد أدرك أن حبَّ الله ورسوله هو الأساس الذي تنبع منه كل الخيرات، ومن خلاله يستطيع السالك أن يتغلب على جميع العقبات الروحية والأخلاقية. ولذلك يعبر عن عاطفة الحبّ تجاه جنابه الشريف في جميع مدائحه. يقول في قصيدة البردة:

"وأثبت الوجدُ خطِّي عبرةً ورضي مثل الهمار على خديك والنعنم"<sup>٩٢</sup>.

"نعمُ سرى طيفُ منْ أهوى فأرّقني والحب يعترض اللذات بالألم

<sup>٩١</sup> د. عثمان طه، قصائد مختارة في حب سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، دار المنهاج، بيروت - ٢٠١٣م، ص: ٣٠.

<sup>٩٢</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٢٢٦.

يا لائمي في الهوى العذري معذرة  
مني إليك ولو أنصفت لم تلم  
عدتكَ حالي لا سري بمستتر  
عن الوشاة ولا دائي بمنحسم  
محضتني النصيح لكن لست أسمعهُ  
إن المحب عن العذال في صمم<sup>٩٣</sup>.

تعكس هذه الأبيات تجربة الحب العذري وما يصاحبه من معاناة وألم نفسي. يظهر الشاعر أثر الحب العميق في حياته من خلال علامات الدموع التي تركت أثرها على خديه. ويبرز طبيعة الحب العذري الذي يمتزج فيه النقاء والإخلاص بالألم الذي يعترض طريق اللذات. وفي مواجهة اللوم من الآخرين، يقدم الشاعر اعتذارا ويؤكد أن من لم يذق طعم الحب لا يمكنه أن يدرك معاناته. كما يكشف عن عجزه في إخفاء مشاعره أمام الواشين، حيث لا يستطيع ستر حاله ولا شفاء ألمه. وفي نهاية المطاف، يرفض نصيحة العذال، معبرا عن أن المحب يكون في حالة من الصمم تجاه كلماتهم.

يصف الشاعر في الهمزية الأثر العميق الذي تركه اللقاء في قلبه، قائلا:

"فرأينا أرضَ الحبيبِ يَغُضُّ ال  
طرفَ منها الضياءُ وَاللُّأْلَاءُ"<sup>٩٤</sup>.

"وذهلنا عند اللقاء وكم أذُ  
هَلْ صَبَّأَ من الحبيبِ لِقَاءُ"<sup>٩٥</sup>.

تعكس الأبيات اللقاء مع الحبيب كتجربة روحية مهيبه تملأ القلب بالذهول والشوق. ويحاول الشاعر تصوير لحظة الرجوع التي جاءت قبل أن يرتوي قلبه من وهج المحبة:

"وَرَجَعْنَا وَلِلْقُلُوبِ التَفَاتَا  
تُ إليه وللجُسُومِ انْتِنَاءُ

<sup>٩٣</sup> نفس المصدر، ص: ٢٢٧.

<sup>٩٤</sup> نفس المصدر، ص: ٣٢.

<sup>٩٥</sup> نفس المصدر، ص: ٣٣.

وَسَمَّحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسُ      مَحُّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخْلَاءُ"<sup>٩٦</sup>.

بعد عودة الشاعر وأصحابه إلى بلدتهم، تظل قلوبهم متعلقة بالحبيب، وأجسادهم تنحني شوقاً نحوه، فكأن العودة لم تقطع حبال الوصل الروحي الذي يربطهم به. كما يُوجّه الشاعر في قصيدة البردة عتاباً شديداً لجسده، لائماً إياه على عدم إظهار علامات الحب التي تعكس صدق مشاعره الداخلية، يقول الشاعر في الهمزية:

"يَدَّعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو      ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصُدُقَ الرَّغْبَاءُ

أَيُّ حُبِّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرَفِي      لِلْكَرَى وَاصِلٌ وَطَيْفُكَ رَأَى"<sup>٩٧</sup>.

وعلى نفس الطريق يتكرر موضوع الحب واللوعة بشكل لافت في مدائح البوصيري، حتى أنّه كان يرجو في زيادة الشوق بأعماله المدحية كما قال:

"مدائحه تزيد القلب شوقاً      إليه كأنها حلبي وطيب"<sup>٩٨</sup>.

ولا يزال هذا الحب يتجلى كفكرة محورية مهمة أثرت في الشعراء الذين جاؤوا بعده واستلهموا منه. كما يعكس هذا عمق المشاعر الصادقة التي تميز بها الشاعر. والمحور الآخر الذي برز في مدائح البوصيري والمدائح التي جاءت بعده هو الدعاء والتوسل بالنبي ﷺ وطلب الشفاعة. فقد أصبح التوسل بالنبي الكريم، والتشفع به، والصلاة عليه، عنصراً جوهرياً لا يخلو منه شعر المدائح النبوية منذ عصر البوصيري.

<sup>٩٦</sup> نفس المصدر، ص: ٣٣.

<sup>٩٧</sup> الرء اسم امرأة، فالشاعر يريد أن خيال الشاعر محتجب كما احتجبت الرء. البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٤٠.

<sup>٩٨</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان*، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٥٩.

الشاعر في مدحه للرسول لا يطلب مكافآت دنيوية كالتى يسعى إليها الشعراء في مدح الملوك أو الوجهاء، بل يتطلع إلى غايات أسمى وأعظم، وذلك أن يزيل الله كربه، ويزيده من فضله ونعمته، ويغفر له ذنوبه. ولهذا السبب، يوجد أن جميع شعراء المدائح النبوية يحرصون على التوسل بالنبي ﷺ، والدعاء بطلب المغفرة من الله، أملا في أن يكون مدحهم وسيلة لنيل رحمته ورضاه.

في أغلب قصائد البوصيري في مدح الرسول، يتوجه الشاعر بنداء مباشر إلى الرسول ﷺ، معبرا عن شكواه، ويدعو الله أن يحقق حاجاته متوسلا بعظمة النبي الكريم. يقول الشاعر في قصيدة البردة مخاطبا للنبي الكريم:

"يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم"<sup>٩٩</sup>.

لم يُصِرَّ الشاعر على توجيه الدعاء إلى النبي في ختام القصيدة، وعند التأمل في قصائده، يتضح غياب هيكل ثابت أو نمط محدد مسبقا للموضوعات المطروحة وأساليب تناولها في القصيدة. وقد بدأ في مستهل قصيدته الأخرى بنداء الرسول الكريم حيث قال:

"وافاك بالذنب العظيم المذنبُ  
خجلا يُعَنِّف نفسه ويؤنَّب  
لم لا يشوب دموعه بدمائه  
ذو شيبة عورائها ما تُخضب  
لعبتُ به الدنيا ولولا جهله  
ما كان في الدنيا يخوض ويلعب"<sup>١٠٠</sup>.

<sup>٩٩</sup> د. عثمان طه، قصائد مختارة في حب سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، دار المنهاج، بيروت - ٢٠١٣م، ص: ١٤٦. ورد في الديوان 'يا أكرم الرسل' بدل 'يا أكرم الخلق'.

<sup>١٠٠</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٦٦.

حتى أن الشاعر أبدع قصيدة متميزة كرّسها برمتها للدعاء للنبي ﷺ والتوسل به، بعنوان القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية. ركّز فيها على الصلاة على النبي الكريم وأصحابه الكرام والرسل الصالحين، مع المشاطرة بالرجاء في مغفرة الله وتفريج الكروب، يقول في آخرها متوجهاً إلى الله ومتوسلاً بنبيه:

"وكن لطيفاً بنا في كل نازلة      لطفاً جميلاً به الأهوال تنحسر

بالمصطفى المجتبي خير الأنام ومَنْ      جلالهً نزلتْ في مدحه السور"<sup>١٠١</sup>.

أمّا في قصيدة الهمزية فقد خصّص الشاعر أكثر من مائة بيت للدعاء والتوسل والتعبير عن شكواه. كتب البوصيري هذه القصيدة بعد زيارته لمكة المكرمة والمدينة المنورة وزيارته للروضة الشريفة، لذلك يمكن ملاحظة أن هذه القصيدة أكثر عاطفية من غيرها من القصائد، فبالإضافة إلى أن مخاطبة النبي متعة، ربما صار الشاعر يتصور أنه يشاطر بهوموه مع النبي الذي أصبح أقرب إليه بهذه الزيارة، ولهذا قضى الشاعر وقتاً طويلاً يحكي للنبي كل مشاكله وذنوبه التي وقعت منه في الأيام الماضية، وفي بعض المواضع يكرر نفس الشيء، حتى أن الأبيات الأخيرة تشير إلى أن الشاعر دخل عالماً مختلفاً تماماً.

وعلى عكس ما هو معتاد في قصائده الأخرى، يعترف الشاعر بأنه ارتكب الكثير من الذنوب بعد أن أقسم بالنبي، وبعلمه والصحابة الكرام، والخلفاء الراشدين، وآل البيت، حتى لو لم تكن هناك توسل واضح في هذه الأبيات، فمن الممكن رؤية تلميح إليها، حيث بدأ الشاعر هذا المقطع قائلاً:

"يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا

مي عليه مدح له وثناء

بالعلوم التي عليك من الل

ه بلا كاتب لها إملاء" ١٠٢.

وينتقل منه إلى ذكر الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم:

"وَبَرِيحَانَتَيْنِ طَيِّبُهُمَا مِنْ

كَ الَّذِي أودعتهما الزَّهْرَاءُ" ١٠٣.

يتحدث الشاعر عن عظمتهم وما واجهوه من محن في كربلاء وما أعقبها من أحداث

أليمة. ثم ينتقل إلى ذكر الخلفاء الراشدين، مستهلاً بأبي بكر الصديق، حيث قال:

"بأبي بكرٍ الذي صحَّ لنا

س به في حياتك الإقتداء" ١٠٤.

وبعد أن يسرد الشاعر مآثر أبرز الصحابة ويتناول أهم الأحداث التي وقعت في حياتهم،

يتوجه إلى النبي معترفا بالذنوب التي اقترفها:

"الأمانَ الأمانَ إنَّ فُؤادِي

من ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ

قد تَمَسَّكْتُ مِنْ وِدَادِكَ بِالْحَبِّ

لِ الَّذِي اسْتَمَسَّكَتُ بِهِ الشَّفَعَاءُ

وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّنِي السُّوْ

ءُ بِحَالٍ وَلي إِلَيْكَ التَّجَاءُ

قد رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَب

رَدُّهَا فِي فُؤَادِنَا رَمَضَاءُ

وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقُرِّ

حَمَلْتَنَا إِلَى الْغَيِّ أَنْضَاءُ

وَأَنْطَوْتُ فِي الصُّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسِي

مَا لَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ أَنْطَوَاءُ" ١٠٥.

١٠٢ نفس المصدر، ص: ٣٤.

١٠٣ نفس المصدر، ص: ٣٤.

١٠٤ نفس المصدر، ص: ٣٥.

١٠٥ نفس المصدر، ص: ٣٧.

في هذا الجزء الأخير حتى النهاية، يصيح الشاعر بألمه إذ قال إن قلبه صار مجمدا بالذنوب التي يحملها، ويرجو في حبل المحبة الذي يحمله الشفعاء، ويظهر هنا اعتقاد الشاعر الراسخ بأن النبي، بفضل رحمته وحنانه، لن يخذله بسبب محبته العميقة له. ويتابع الشاعر بتعبيره عن أمله الكبير في النبي ﷺ، مؤكدا أن هذا الأمل سيمنح قلبه السكينة والراحة. ثم يضيف أنه جاء إلى النبي الكريم بقليل من الأعمال الصالحة، وأن المركبات المتعبة أوصلته إلى جنابه. في هذا، يعبر عن تواضعه واعترافه بضعف أعماله، ولكنه يعبر أيضا عن ثقته بأن النبي سيرحب به.

وأخيرا، يبوح الشاعر للنبي بما يثقل قلبه حيث قال إن هناك احتياجات كثيرة في قلبه، وكرم النبي العظيم هو السبيل الوحيد لتلبيتها. في هذا الختام، يظهر الشاعر حاجته الماسة لعطف النبي وكرمه، مبرزًا يقينه على أنه سيجد فيه الملاذ والنجاة.

بعكس القصائد النبوية قبل عصر المماليك، تتجلى بوضوح بصمات الفكر الصوفي في أشعار البوصيري، خصوصا في وضع وتقديم كل أمله في النبي الكريم. هذا النهج يضيف عمقا عاطفيا صادقا على قصائده، حيث لا يعكس توأصلا عاطفيا للنبي بهذا القدر إلا الشخص الذي لديه إيمان كبير بالنبي وحب شديد له.

أما عند أحمد شوقي فلا يمكن أن يوجد تأثير صوفي قوي في قصائده، لأنه ما كان صوفي النزعة، ولم يتقن العلوم الدينية. ولكن يظهر تأثير واضح لقصائد البوصيري النبوية في أشعاره. وفوق ذلك، الطبيعة الشعرية تميل دائما إلى الانجذاب للأفكار الصوفية بما تحمله من رمزية وخيال، وهذا ما يتجلى أيضا عند شوقي. وكذلك، فإن عدم تأثره الكبير

بحركات جديدة إسلامية في القرن التاسع عشر، دفعه إلى التوجه نحو تقليد البوصيري. وعلى الرغم من اهتمامه بوحدة الأمة الإسلامية ورغبته في تعزيز تضامنها، إلا أنه لم يتبن أفكاراً جديدة في الدين.

النزعة الصوفية في قصيدة شوقي تظهر من خلال التركيز على نورانية النبي ﷺ وعظمته الروحية. وهو يقول:

"في كلِّ منطقةٍ حواشي نورها نونٌ وأنتَ النقطةُ الزهراء" ١٠٦.

يخاطب الشاعر النبي ﷺ ويصوّر فكرة أنه عندما ينظر إلى مجموعة دوائر الضوء أو أشعته كحرف من الحروف الهجائية وهو النون، فإنك تمثل الجزء الأهم في تكوين ذلك الحرف وهو النقطة. فيشير شوقي إلى النبي الكريم كمصدر للنور الكوني. في التصوف، يُنظر إلى النقطة كرمز للبدء، وذلك يعكس فهما صوفيا للنبي الكريم ﷺ. وكذلك في الفكر الصوفي، توسعت دلالات النون فتشمل معاني باطنية وروحية عظيمة. فقد اعتبر الشيخ شهاب الدين السهروردي النون رمزا للنزوع إلى المطالب، بينما وصفه ابن عربي بأنه سر عظيم وباب الجود والرحمة. وكذلك اقترح بعض العلماء أن لحرف النون دورا جوهريا في عملية الخلق الإلهي، مستندين إلى كلمة 'كن'، حيث يرى أن النون فيها يمثل الرابط الذي به تتجسد الإرادة الإلهية في صورة المخلوقات. فهو ليس مجرد حرف، بل رمزٌ عميقٌ يعبر عن اللحظة التي ينتقل فيها الأمر الإلهي من عالم الغيب إلى عالم الوجود، ليصبح كل شيء كما أراده الله. وعند بعضهم يرتبط حرف النون بالكمال

١٠٦ شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٨.

والتمام، حيث يعتبرون أن هذا الحرف يمثل نهاية السلسلة الصوفية ووصول العبد إلى مقام الفناء في الله. فاستخدام النون يبرز تأثير القصيدة بالمبادئ الصوفية.

وكذلك، يوظف الشاعر تصويرا صوفيا عميقا لتجسيد عظمة الرسول ﷺ، حيث يقدمه كمركز ومصدر يشع منه جمال العالم بأسره. في هذا التصور، الرسول ليس فقط إنسانا عظيما، بل هو النقطة التي تدور حولها معاني الكمال والجمال، كما تدور الكائنات حول مصدر نورها وبهائها. وهو أيضا يضيف عناصر الخيال إلى الصورة التي ابتكرها لوصف النبي الكريم، يقول الشاعر:

"أنتَ الجَمالُ بها وأنتَ المُجتلَى والكفُّ والمرأةُ والحسَناءُ

اللهُ هيأَ منَ حظيرةِ قُدسِهِ نُزلاً لِداتِكَ لم يَجْزِهِ عَلاءُ

العرشُ تحتكَ سُدَّةٌ وقوائِمًا ومناكبُ الرُّوحِ الأمينِ وطاءُ

والرُّسُلُ دونَ العرشِ لم يُؤذَنَ لهم حاشا لغيرِكَ مَوعِدٌ ولقاءٌ" ١٠٧.

قد اختار شوقي أيضا أسلوب التوسل والدعاء كجزء من مدائحه النبوية، وهو بذلك يسير على خطى البوصيري. يُظهر هذا الاختيار مدى الارتباط الوثيق بين التوسل والمديح النبوي، حيث إن التوسل لم يكن مجرد عنصر أدبي، بل هو روح هذا النوع من الشعر. ويتخذ الشاعر مدائحه وسيلة للشفاعة عند النبي ﷺ، حيث قال:

"لي في مديحك يا رسولَ عرائسُ تُيَمِّنَ فيكَ وشاقِهِنَّ جَلاءُ

هُنَّ الحِسانُ فإنِ قبِلتَ تَكرُماً فمُهورُهُنَّ شِفاعَةٌ حَسَناءُ" ١٠٨.

١٠٧ نفس المصدر، ص: ٥٠.

١٠٨ نفس المصدر، ص: ٥٠.

يشبه الشاعر مدائحه بعرائس حسناوات أصبحن في غاية الجمال بفضل ارتباطهن بالنبي ﷺ. هذه القصائد مباركة اكتسبت إشراقها وجلالها بمدحه.

ويبين الشاعر أن المهم الدعاء للنبي ﷺ والتضرع إلى جانبه قائلا:

"ما جئتُ بابك مادحًا بل داعيًا      ومن المديح تضرُّعٌ ودُعاءٌ"<sup>١٠٩</sup>.

ويختتم بالصلاة والتوسل بفاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ:

"صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَحِبَ الدُّجَى      حَادٍ وَحَنَّتْ بِالْفِلا وَجُنَاءٍ

وَاسْتَقْبَلَ الرِّضْوَانَ فِي غُرْفَاتِهِمْ      بِجِنَانِ عَدَنِ أَلْكَ السُّمْحَاءِ

خَيْرُ الوَسَائِلِ مَنْ يَقَعُ مِنْهُمْ عَلَى      سَبَبِ إِلَيْكَ فَحَسْبِي الزَّهْرَاءُ"<sup>١١٠</sup>.

يتضح من هذه الملاحظة أن الأفكار الصوفية، رغم ندرتها، قد تسربت إلى قصائد شوقي، وإن لم يكن ذلك بدافع التصوف. وذلك بسببين، الأول أن شوقي كان شاعرا مستقلا، لا ينتهي إلى أي حركة دينية في عصره، مما جعله بعيدا عن تأثيراتها وضغوطها. والثاني أن الشاعر استلهم من أسلوب البوصيري في بناء قصيدته، وهو تأثير يظهر ليس فقط في هذا المقطع، بل يمتد أيضا إلى أجزاء أخرى من شعره، كما سيناقش ذلك بتفصيل في الجزء التالي من هذه الدراسة.

وفي المجمل، على ضوء التحليل الشامل للهمزيتين لكل من البوصيري وأحمد شوقي، يتضح أن الظروف السياسية والاجتماعية كانت عوامل رئيسية في تشكيل هتين

<sup>١٠٩</sup> نفس المصدر، ص: ٥٠.

<sup>١١٠</sup> نفس المصدر، ص: ٥٠.

القصيدتين. كان البوصيري شاعرا يعكس في قصيدته القضايا الحية التي واجهها المسلمون في عصره، مثل التصدي للاحتلال الصليبي والاضطرابات السياسية، مما أكسب شعره بُعدا نضاليا. وكذلك، من خلال توظيف مفاهيم روحانية مثل النور المحمدي ومحبة النبي والتوسل به، أبدع البوصيري قصيدة صارت من أبرز آثار الشعر الصوفي.

على الجانب الآخر، استلهم أحمد شوقي أسلوب البوصيري مع الاحتفاظ بطابعه الخاص، حيث برزت في قصيدته نزعة مستجدّة تمزج بين محاكاة التراث والتطلع إلى مستقبل للأمة. تأثر شوقي ببيئته المضطربة سياسيا واجتماعيا، فجاء شعره انعكاسا لطموحاته في الوحدة والعدالة، مع إضفاء رمزية صوفية تُبرز عظمة النبي ﷺ. وهكذا، شكلت همزية شوقي امتدادا حداثيا لمدرسة البوصيري.

### الفصل الثالث: الصور البلاغية في الهمزيتين

يتكون العمل الأدبي من مجموعة من العناصر التي يختارها كل مبدع بناء على هدفه وظروفه الخاصة. وتعد الصور البيانية من أهم تلك العناصر، والقلب النابض للأعمال الأدبية، خاصة الشعرية، فهي الرابط الذي ينسجم مع بقية العناصر ويكملها. بل يمكن القول إنها من أبرز مكونات الإبداع الشعري، ولها دور كبير في تقييم الأعمال الأدبية ومبدعيها. ولقيام بمثل هذه التقييمات، يتم النظر في المصادر التي استلهم منها الشعراء صورهم البيانية، ومدى ارتباطها بالهدف الشعري. وقد جمع ابن طباطبا في كتابه 'عيار الشعر' قائمة المصادر البارزة لهذه الصور، حيث قال: "واعلم أن العرب أودعت

أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم، ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها، وهم أهل وبر، صحوهم البوادي، وسقوفهم السماء فليست تعدو أوصافهم ما رأوا منهما وفيهما، وفي كل واحدة منهما في فصول الزمان على اختلافها من شتاء، وربيع، وصيف وخريف، من ماء، وهواء، ونار، وجبل، ونبات، وحيوان، وجماد، وناطق، وصامت، ومتحرك وساكن... فضمّنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها، إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها<sup>١١١</sup>. قد بيّن ابن طباطبا في هذا النصّ المصادر التي يستعين بها الأدباء على التصوير الفنيّ. وبالإضافة إلى ذلك، قد يتأثر شاعر ببعض منابع الصور البيانية لدورها الفعّال في ذاته، فيميل إلى مصدر دون مصدر. وكذلك تتميّز إبداعات الشعراء الذين لديهم مصادر كثيرة من نتاجات الآخرين ممّن مصادره أقلّ لأنّ الفرصة المحيطة بأولئك المبدعين تعطي خيالهم طاقة مميّزة وخيارات متعدّدة. وسلامة الحواسّ أيضا تلعب دورا كبيرا في اختيار المصادر، كالبصر والسمع والذوق واللمس والشمّ، وذلك "أنّ التصوير في الأدب نتيجة لتعاون كلّ الحواسّ وكلّ الملكات"<sup>١١٢</sup>. فتصوير الألوان لدى المتنبيّ لا يكون مشاهبا لاستخدام المعريّ لها، إذ من المعروف أنّ المعريّ فقدَ البصر في مقتبل عمره، مع أنّه لا يمكن أن يغفل عن موهبة الشاعر من جهة لأنّ لكلّ شاعر إحساسا ولغة وعالما أدبيّا خاصّا يتميّز به عمّن سواه.

---

<sup>١١١</sup> ابن طباطبا، أبو الحسن محمّد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز المانع، دار العلوم للطباعة والنشر،

الرياض، ١٩٨٥م، ص ١٥.

<sup>١١٢</sup> مصطفى ناصيف، الصورة الأدبية، ص ٨.

فالمصادر المعينة على موادّ الصور البيانية هي التي تأدّي إلى جودة الآثار الأدبية. فلها أهمّية للغاية لدى الشعراء أيّا كانت أغراضهم. وشعراء المدائح النبويّة أيضا قد استقوا صورهم من مصادر متعدّدة كالطبيعة والإنسان والدين والتاريخ والحياة العامة. وسيأتي الحديث عنها مع مناقشة الأنواع البلاغيّة من تشبيه واستعارة وما إلى ذلك. تتميز المدائح النبوية في العصر المملوكي بثرائها بالأساليب البلاغية المتنوعة، وهو أمر طبيعي لشعراء تأثروا بإرث الأدب الزاخر للعصور السابقة. فقد أبدعوا في استخدام البلاغة لتزيين قصائدهم ونقل معانهم، حيث صاغوا صوراً فنية تأسر خيال المتلقي وتعبّر بصدق عما يختلج في نفوسهم من مشاعر وعواطف .

ومما يميز هذه القصائد في المدح النبوي هو ارتباطها العميق بالأحاسيس الداخلية والعواطف الجياشة التي تعكس قلوباً مفعمة بالإيمان النقي والمحبة الصادقة، والمشاعر والعواطف الصادقة لا يمكن أن يعبر عنها بدقّة إلا من خلال الوسائل البلاغية.

## التشبيه

اعتمد الشعراء عبر العصور الأدبية على التشبيه بشكل كبير، خاصة في الفترات المتأخرة، إذ كان له أهمية مزدوجة؛ فهو يلبي أذواق المتلقين ويثير إعجاب النقاد والبلاغيين. عند تحليل التكوينات البلاغية في الشعر، يُعتبر التشبيه الأداة البارزة، ليس فقط لجاذبيته لدى الجمهور، بل لدوره المحوري في البلاغة والنقد الأدبي.

وقد أشار البلاغي القديم جلال الدين القزويني (ت. ٧٣٩هـ) إلى مكانة التشبيه العالية،  
موضحاً أن العقلاء أجمعوا على قيمته وأثره. فإذا كان مدحا كان أبهى وأفخم، وإن كان  
ذمّا كان أوجع وألذع، وإن كان افتخارا كان أبعد وأشرف، وإن كان اعتذارا كان إلى القبول  
أقرب وللقلوب أخلب.<sup>١١٣</sup>

وكذلك التشبيه يمثل جسر عبور لغيره من ضروب البلاغة الأخرى، كما أنه لا يمكن  
تأمل الاستعارة والمجاز دونه.

المفهوم الاصطلاحي للتشبيه عند النقاد القدامى قد تشابهت آراؤهم بشكل كبير. يبدو  
أن جميعهم اتفقوا على أساسيات التشبيه ودوره في البلاغة. ومنهم على سبيل المثال عبد  
العزیز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) الذي عرّف التشبيه بأنه مقارنة بين طرفين أو أكثر،  
لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال، وقد تستند  
هذه العلاقة إلى مشابهة حسية أو حكم ومقتضى ذهني<sup>١١٤</sup>. وعند قدامة بن جعفر (ت.  
٣٧٧هـ)، "التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمها ويوصفان بها،  
وافتراقاً في أشياء ينفرد كل واحد منها عن صاحبه بصفتهما"<sup>١١٥</sup>. الجرجاني ينظر إلى  
التشبيه كعملية مقارنة تعتمد على اشتراك الطرفين في صفات حسية أو ذهنية، مع  
تركيز أكبر على المشابهة. أما ابن قدامة، فيركز على التوازن بين الاشتراك في معانٍ عامة

---

<sup>١١٣</sup> القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، بشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة - د.ت، ص: ٢٣٨ -  
٢٣٩، بتصرف.

<sup>١١٤</sup> الجرجاني، عبد العزيز القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، دار  
إحياء الكتب العربية، القاهرة - ١٩٥١، ط: ٢، ص: ٤٥

<sup>١١٥</sup> قدامة بن جعفر، أبو الفرج البغدادي، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية - ١٣٠٢هـ، ط: ١، ص: ٣٦.

والافتراق في صفات خاصة، مما يجعل التشبيه أداة توضح أوجه التشابه والاختلاف بين الطرفين. وسبب ذكر الافتراق أنه لا معنى في التشبيه بين المشتركين في كل وجه، فينبغي النظر في الاختلاف بين الشئيين.

ويؤن الباحثون في العصر الحديث مفهوم التشبيه بشكل أوسع يشمل جميع جوانب هذا النوع من الصور البيانية، يقول د. عبد العزيز عتيق - بعدما لاحظ التعريفات القديمة المتعددة - "إنه بيان شيء أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدره، تقرب بين المشبّه والمشبه به في وجه الشبه"<sup>١١٦</sup>. ولدى جابر عصفور التشبيه "علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال، وهذه العلاقة تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة"<sup>١١٧</sup>.

التعريفات القديمة والحديثة للتشبيه تتفق في الأساسيات لكنها تختلف في المنهجية والرؤية.

منذ القدم، أولى العرب عناية خاصة بالتشبيه، فهو ليس فقط أحد أبسط الأشكال البلاغية، بل يمتاز بقدرته الفائقة على إضفاء لمسة جمالية، حتى صار معيارا يتعين به

---

<sup>١١٦</sup> د. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار الأفاق العربية، القاهرة - ٢٠٠٦م، ط: ١، ص: ٤٢.

<sup>١١٧</sup> عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت- ١٩٩٢م، ط: ٣، ص

تميز الشعراء. فالشاعر الذي يتقن التشبيهات البارعة كان يُقدَّم على غيره، في حين كان من يهملها يُؤخَّر. وكذلك، ربما يعود انتشار هذا النوع إلى سهولة استخدامه كأداة فنية من الزخارف البلاغية.

استعان الشاعر البوصيري في تصوير شخصية الرسول بأجمل صورة بلاغية متنوعة، مثل التشبيه والاستعارة، لتقريب المعاني وتعزيز أثرها. وتمتاز هذه الصور البلاغية بتنوعها بين البساطة والتعقيد. ففي مواضع تقتصر على إبراز أوجه التشابه أو الإشارات الواضحة، بينما في مواضع أخرى تندمج بالتعقيد، حيث تحمل رموزاً متعددة وصوراً فنية عميقة تتطلب تأملاً لفهم دلالاتها.

باعتباره شاعراً عاش في زمن كانت فيه الصور البيانية عامّة والتشبيهات على الأخص تحظى بأهمية كبيرة، لجأ البوصيري إلى توظيف العديد منها في قصائده. التشبيهات التي نسجها الشاعر في قصائده تحمل جمالاً فريداً، لدرجة أنها أصبحت مصدر إلهام واحتراف للأجيال التي جاءت من بعده، كقوله:

"كَأَنَّما اللُّؤلؤُ المَكُونُ فِي صَدْفٍ مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِّنْهُ وَمُبْتَسَمٌ"<sup>١١٨</sup>.

ربما كانت الفكرة ذاتها حاضرة في قصائد أخرى تصف النبي، لكنها اكتسبت لفتة بهذا القدر بعد أن صاغها البوصيري بأسلوبه الفذ. وبالمثل، من بين أبيات البوصيري الحاوية لفلسفة رائعة، ولو لم تكن من وصف النبي ﷺ:

"والنفسُ كالطفلٍ إن تهمله شَبَّ على حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمُ"<sup>١١٩</sup>.

<sup>١١٨</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٢٣٠.

<sup>١١٩</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٢٢٨.

وهكذا، يصبح التشبيه الأداة الرئيسية التي يعتمد عليها الشاعر لإبراز الأفكار الغامضة بصورة واضحة ولتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان بأسلوب جذاب.

أمّا شوقي فقد وظّف هذه التقنية الأدبية بشكل واسع، حيث يظهر تأثيره بالمدرسة الكلاسيكية الجديدة وبموضوعات وتشبيهات من العصر العباسي، على غرار العديد من شعراء عصره. وكان متميزاً في صياغة الأفكار بطريقة جميلة من خلال التشبيهات.

وله أيضاً منها الجميلة المحتفل بها كقوله في مدح النبي ﷺ:

"يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة حديثك الشهد عند الذائق الفهم"<sup>١٢٠</sup>.

ومع ذلك، لم يسلم شوقي من الانتقاد، حيث رأى البعض أنه بالغ في استخدام التشبيهات، مما أثار جدلاً حول تأثير ذلك على نصوصه.

### التشبيهات في قصيدة الهزمية للبوصيري

#### التشبيه المرسل

البيت	المشبه	المشبه به	أداة التشبيه
وَمُحَيّاً كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيّاً أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ	محياً	الشمس	الكاف
فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجَفِ الْأَكْ مَامٍ وَالْعُودِ شُقٌّ عَنْهُ اللَّحَاءُ	هو (حُسن النبي الكريم)	الزهر، العود	الكاف
وَالْأَقَاوِيلَ عِنْدَهُمْ كَالْتِمَائِي لِ فَلَإِ يُوهِمَنَّكَ الْخَطْبَاءُ	الأقاويل	التمائيل	الكاف

<sup>١٢٠</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٢٣٦.

الكاف	الحب والنوى	هي (الآيات القرآنية)	فَبِي كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزُّر رَاعٍ مِنْهُ سَنَابِلُ وَزَكَاءُ
الكاف	المسك	صلاة	وَصَلَاةٌ كَالْمِسْكِ تَحْمِلُهُ مِنْ نِي شَمَالٍ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءُ
الكاف	تمثيل النجوم	تمثيل الصفات	إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّا سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ
الكاف	طرد الذناب	طرد الجن	تَطْرُدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ لِلسَّمِّ عِ كَمَا تَطْرُدُ الذَّنَابَ الرِّعَاءُ
كَانَ	العنقاء	ضمير كأنه (الفحل)	وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُنُقَ الْفَحِ لِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ
كَانَ	الورقاء	ضمير كأنها (حمالة الحطب)	وَأَعَدَّتْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ الْفِيهِ رَوْجَاءَتْ كَأَنَّمَا الْوَرْقَاءُ
كَانَ	روضة غناء	البيداء	فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيْثُمَا قَا بَلَّتِ الْعَيْنُ رَوْضَةً غَنَاءُ
كَانَ	أرض مبسوطة عليها ملاءة حمراء	البِقَاعِ (المجاورة للمدينة)	وَكَأَنَّ الْبِقَاعَ ذَرَّتْ عَلَيْهَا طَرَفُهَا مَلَاءَةٌ حَمْرَاءُ
كَانَ	أرض تنشر الجنوب والحريباء إليها المسك	الأرجاء (المجاورة للمدينة)	وَكَأَنَّ الْأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَالِ مِسْكِ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْحَرِيبَاءُ
كَانَ	الأجساد المغسولة بالماء	الجسوم (الزوار)	وَجُسُومٌ كَأَنَّمَا رَحَضَتْهَا مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرَّحَضَاءُ
كَانَ	ألوان الحرياء	ألوان الوجوه	وَوُجُوهٌ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهَا مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحَرِيبَاءُ
كَانَ	المطر الذي تسكبه السحابة الوطفاء	الدموع	وَدُمُوعٌ كَأَنَّمَا أَرْسَلَتْهَا مِنْ جَفُونِ سَحَابَةٍ وَطْفَاءُ

والأعادي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ منهم الرُّقُّ حُلٌّ عَنْهُ الْوِكَاءُ	كل طريح	الزق الذي حل عنه الوكاء	كَأَنَّ
---	---------	----------------------------	---------

### التشبيه البليغ

المشبه به	المشبه	البيت
مِصْبَاحُ	أَنْتَ (الرسول الكريم)	أَنْتَ مِصْبَاحٌ كَلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ ضَوْنِكَ الْأَضْوَاءُ
الشمسُ	هُوَ (علي بن أبي طالب)	لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ يَقِينًا بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غِطَاءٌ
شمسُ فضلٍ	الرسول الكريم (محدوف)	شَمْسٌ فَضْلٍ تَحَقَّقُ الظَّنُّ فِيهِ أَنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ
الشمس	ضمير أنه (الرسول الكريم)	
البحر	هُوَ (الرسول الكريم)	لَا تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ
إِضَاءُ	الأنامُ	
اللَّأْلَاءُ	ضمير أنه (المدح)	فَأَثِيبُ خَاطِرًا يَلِدُّ لَهُ مَدُّ حُكِّ عِلْمًا بَأَنَّهُ اللَّأْلَاءُ
الرِّمَانُ	فَضْلُكَ (يا رسول الله)	إِنَّمَا فَضْلُكَ الرِّمَانُ وَأَيَّا تُكِّ فِيمَا نَعُدُّهُ الْآنَاءُ
هِدَاءُ	السِّبْيَاءُ	فَحَبَّأَهَا بِرًّا تَوْهَمَتِ النَّأْ سُ بِهِ أَنَّمَا السِّبْيَاءُ هِدَاءُ
بحر	هُوَ (الرسول الكريم)	وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهُوَ بَحْرٌ لَمْ تُغِيهِ الْأَعْبَاءُ
الرِّبَاءُ	هُوَ (السَّابُّ)	كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ فَهُوَ فِي سُوءِ فِعْلِهِ الرِّبَاءُ
النحلُ	هُوَ (السَّابُّ)	أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرَضُهَا يَجْلُبُ الْخَتَّ فَ إِلَيْهَا وَمَا لَهُ إِنْكَاءُ
حَسَّانُ	أنا (الشاعر)	أَنَا حَسَّانٌ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحُّ تُّ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي الْخَنَسَاءُ
الخنساءُ	أنا (الشاعر)	

فَبِكَىٰ ذُنْبُهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ نَهَتْ الدَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَاءٌ	البُكَاءُ	مُكَاءٌ
حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَايِلَ وَالْعَصَ فُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعْفَاءُ	الرسول (المحذوف)	حبة

## التشبيهات في قصيدة الهمزية لأحمد شوقي

### التشبيه المرسل

البيت	المشبه	المشبه به	الأداة
والرأي لم يُنضِ المهنَّدُ دُونَهُ كالسيف لم تُضرب به الأراءُ	الرأي	السيف	الكاف
أسمى كأنك من جلالك أمةً وكأنه من أنسه بيداؤ	ضمير كأنك (الرسول)	أمةً	كأنَّ
وجَدَ الرُّعافَ مِنَ السُّمومِ لأجلها كالشَّهيدِ ثم تتابع الشُّهداءُ	الرُّعافَ	الشَّهيدِ	الكاف

### التشبيه البليغ

البيت	المشبه	المشبه به
أما الجَمالُ فأنتِ شمسُ سماءِهِ وملاحهُ الصَّديقُ منك أياؤ	أنتِ (الرسول)	شمس
وإذا مشيتَ على العِدا فغضنفرُ وإذا جريتَ فإنك النكباءُ	أنتِ (المحذوف - الرسول الكريم)	غضنفرُ
	ضمير إنك (الرسول الكريم)	النكباءُ
وإذا رحمتَ فأنتِ أمُّ أو أبُّ هذانِ في الدنيا هما الرُّحماءُ	أنتِ (الرسول الكريم)	أم
	أنتِ (الرسول الكريم)	أب

صَدْرُ الْبَيَانِ	الْقُرْآنُ (المحذوف)	صَدْرُ الْبَيَانِ لَهُ إِذَا التَّقَتِ اللَّغَى وَتَقَدَّمَ الْبُلْغَاءُ وَالْفُصْحَاءُ
مَشْرَعٌ	حديثك	أما حديثك في العقول فَمَشْرَعٌ وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمُ الْغَوَالِي الْمَاءُ
الماء	وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمُ الْغَوَالِي	
سُجْنَاءُ	الناسُ	أَبُو الْخُرُوجِ إِلَيْكَ مِنْ أَوْهَامِهِمْ وَالنَّاسُ فِي أَوْهَامِهِمْ سُجْنَاءُ
النقطةُ الزهراءُ	وَأَنْتَ (الرسول الكريم)	فِي كُلِّ مَنْطِقَةٍ حَوَاشِي نَوْرَهَا نَوْنٌ وَأَنْتَ النَّقْطَةُ الزَّهْرَاءُ
الحِسانُ	هُنَّ (مدائح الشاعر)	هُنَّ الْحِسانُ فَإِنْ قَبِلْتَ تَكْرُمًا فَمُهورَهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسَنَاءُ

هذه أمثلة التشابيه التي استخدمها البوصيري وشوقي في همزيتيها في صور مختلفة تبرز أساليب كل منهما في التعبير. عند تحليل هذه التشابيه، يلاحظ أن البوصيري يعتمد في بناء صور التشبيه على الأدوات المباشرة مثل 'الكاف' و'كأن'، مع استخدام صور التشبيه البليغة بشكل متوازن. أما شوقي فيميل إلى التركيز على التشبيه البليغ أكثر من التشبيه المرسل، كما أن التشابيه في قصيدة البوصيري أكثر وضوحاً، مثل قوله 'محيالك كالشمس منك مضيء'، حيث شبه وجه النبي ﷺ بالشمس في ظهوره وإشراقه، وهو يخلق صورة بسيطة وواضحة تسهل على القارئ العام فهم الفكرة. في المقابل، في همزية شوقي، توجد صور أكثر تعقيداً، مثل قوله: 'أما الجمال فأنت شمس سمائه'، حيث يدمج بين التشبيه والاستعارة ليرمز مكانة النبي الكريم، وهذه الصورة عميقة تتطلب تفكيراً وتأملًا، وهي مفهومة بشكل أعمق لدى المثقفين.

وكذلك الأثر النفسي الذي تولده صور التشبيه في همزية البوصيري يتركز على شعور الدهشة والراحة الروحية. على سبيل المثال، صورة 'فكان البيداء من حيثما قابلت العين روضة غناء' تبرز جمال الطبيعة المرتبطة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يخلق شعورا بالهدوء والسكينة. أما في همزية شوقي، فإن الصور تحفز التفكير والتأمل، مثل قوله 'حديثك في العقول مشرع'، حيث يربط النبي بالعلم والحكمة، حيث يثير دهشة القارئ ويشعره بعمق المعاني.

تتجلى في تشابه البوصيري بصمة التقاليد البلاغية الكلاسيكية حيث يميل إلى استخدام صور متكررة مثل الشمس والبحر. أما شوقي، فقد حافظ على هذه العناصر الكلاسيكية ولكنه أضفى عليها طابعا ذا جدّة من خلال استخدامه لصورة الشمس والغضنفر بأسلوب غير عادي. ومع ذلك، لم يخلُ أسلوب البوصيري من صبغة الابتكار، كما في تشبيهه لمن يسيء إلى النبي الكريم بالنحلة التي تؤذي نفسها بقرصها، فيكون هلاكها نتيجة فعلها، دون أن تمس النبي ﷺ بسوء.

إضافة إلى ذلك، ركز كل من الشعارين على استخدام أسلوب التشبيه بين الأمور الحسية، حيث لم يظهر في أغلب الأمثلة المذكورة اللجوء إلى تشبيه العقلي بالحسي أو العقلي بالعقلي، إلا أن البوصيري قدّم صورة مميزة عندما شبه فضل النبي بالزمان، إشارة إلى اتساعه وأثره الدائم. أما شوقي، فقد أبدع في تصويره، فشبه الرأي بالسيف القاطع في قوة تأثيره كما شبه العلم والحكمة الثمينة بالماء، في كونه عنصرا أساسيا للحياة.

فلنخلص القول أن البوصيري وشوقي تميزا بقدرتهما الفائقة على تنوع أساليب التشبيه في قصائدهما مع احتفاظهما بالحرية الكاملة في اختيار النوع المناسب لكل سياق وخيال شعري.

## الاستعارة

الاستعارة صورة من الصور البيانية الذي تطور معناها على مر العصور. أشار الجاحظ إلى هذا النوع من التصوير قائلاً: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"<sup>١٢١</sup>، مع مرور الوقت، تمت إضافة التغييرات والإضافات الضرورية إلى هذا التعريف لتوفير قدر أكبر من الوضوح. ومن التعاريف التي تقترب من مفهوم الاستعارة في العصر الحالي، هو تعريف العالم البلاغي السكاكي، حيث قال: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"<sup>١٢٢</sup>.

وقد عرّف الكاتب أحمد الهاشمي الاستعارة مع ضوابطها وشروطها بقوله "هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة «المشابهة» بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع «قرينة» صارفة عن إرادة المعنى الأصلي"<sup>١٢٣</sup>. بمعنى آخر، هي تشبيه بليغ حُذف أحد طرفيه، حيث يُستعار لفظ المشبه به للمشبه.

<sup>١٢١</sup> ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد، *البيدعي في البيدعي*، دار الجيل، القاهرة - ١٩٩٠م، ط: ١، ص: ٦٠.

<sup>١٢٢</sup> السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد، *مفتاح العلوم*، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٨٧م، ط: ٢، ص: ٣٦٩.

<sup>١٢٣</sup> الهاشمي، أحمد، *جواهر البلاغة*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٩م، ص: ٣٠٦.

جرى هذا التطور في التعريف الاستعارية بسبب نماء الوعي البلاغي وارتقاء التفكير النقدي في الأدب العربي على مر الزمن.

تكمن قيمة الاستعارية في قدرتها على تحفيز خيال القارئ أو السامع، حيث تأخذه إلى عوالم رمزية أعمق من مجرد التشبيه المباشر. كلما كانت الاستعارية جديدة ومحكمة، زاد تأثيرها النفسي وأصبحت أكثر ثباتاً في الذاكرة. ولهذا تُعد أبلغ من التشبيه. إضافة إلى ذلك، فإن الصور الاستعارية المبدعة التي يصوغها البلغاء تُظهر عبقرية التعبير الإنساني. فالاستعارية -مع أنها أداة لتزيين الكلام- هي وسيلة لإعادة تقديم الواقع بشكل مختلف، لكونه أكثر قدرة على التأثير.

أبدع البوصيري وشوقي في تزيين قصائدهما بهذه التقنية البلاغية المميزة، كما ذكر عن التشبيه، من الاستعارات التي وظفها، ما هو بسيط الفهم وما يحتاج إلى تأمل لاستيعابه.

### الاستعارات في قصيدة الهمزية للبوصيري

نوع الاستعارية	بيت
استعارتان تصريحيتان	كيف ترقى رُقَيْكَ الأنبياءُ يا سماءَ ما طاوَلَتْها سماءُ
ثلاث استعارات تصريحية	نَسَبُ تَحْسِبُ العُلا بِحُلاهُ قَلَدَتْها نجومها الجوزاءُ
استعارية تصريحية	حبذا عِقْدُ سُودِدٍ وَفَخَّارٍ أنتَ فيه اليتيمَةُ العصماءُ
استعارية تصريحية	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَأنْتَ

	صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَاءٌ
استعارة مكنية	وَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّدَى اسْتِسْقَاءً
استعارة مكنية	خَمْسَةٌ طُهِّرَتْ بِقَطْعِهِمِ الْأَرْ ضُ فَكَفُّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءً
استعارة تصريحية	رَقٌّ لَفْظًا وَرَاقٌ مَعْنَى فَجَاءَتْ فِي حُلَاهَا وَحَلَمِهَا الْخَنَسَاءُ
استعارة تصريحية	وَأَرْتَنَا فِيهِ غَوَامِضَ فَضِيلٍ رِقَّةً مِنْ زُلَالِهَا وَصَفَاءً
استعارة تصريحية واستعارة مكنية	صَرَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالِدِهَاءُ
استعارة تصريحية	وَنَضَبَتْ بَزْوَةً فَرَابُغٌ فَالْجُحُ فَةٌ عَنْهَا مَا حَاكِهِ الْإِنْضَاءُ

### الاستعارات في قصيدة الهمزية لشوقي

استعارة تصريحية واستعارة مكنية	وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ
استعارات مكنية	وَالْعَرْشُ يَزْهُو وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ
استعارة مكنية	وَحَدِيقَةُ الْفُرْقَانِ ضَاكِكَةُ الرُّبَا بِالْتَرَجْمَانِ شَذِيَّةٌ غَنَاءُ
استعارة مكنية	وَالْوَحْيُ يَقْطُرُ سَلْسَلًا مِنْ سَلْسَلِ وَاللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الْبَدِيعُ رُوءَاءُ

استعارة مكنية	بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَرُزِنَتْ وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَاً بِكَ الْغَبْرَاءُ
استعارة مكنية	صَدْرُ الْبَيَانِ لَهُ إِذَا التَّقَّتْ اللَّغَى وَتَقَدَّمَ الْبُلْغَاءُ وَالْفُصْحَاءُ
استعارة مكنية	دِينٌ يُشِيدُ آيَةً فِي آيَةٍ لِبِنَاتِهِ السُّورَاتُ وَالْأَضْوَاءُ
استعارة مكنية	جَرَّتِ الْفَصَاحَةُ مِنْ يَنَابِيعِ النَّهْيِ مِنْ دَوْحِهِ وَتَفَجَّرَ الْإِنشَاءُ
استعارة مكنية	رَدُّوا بِأَسِ الْعِزْمِ عَنْهُ مِنَ الْأَذَى مَا لَا تَرُدُّ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءُ
استعارة تصريحية	لِي فِي مَدِيحِكَ يَا رَسُولَ عِرَائِسُ تُيْمَنُ فِيكَ وَشَاقِهِنَّ جَلَاءُ

تُمثِّلُ كِلْتَا الْقَصِيدَتَيْنِ نَمُودَجَا بَارِزَا فِي اسْتِخْدَامِ الْاسْتِعَارَاتِ الْبَلَاغِيَةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَفْكَارِ  
الرُّوحِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ. تَغْلِبُ عَلَى النَّصِيحِ عَاطِفَةٌ وَجَدَانِيَّةٌ مَلِيئَةٌ بِالْإِجْلَالِ وَالتَّقْدِيرِ لِلنَّبِيِّ  
ﷺ. لَكِنِ الْأَسْلُوبُ يَخْتَلِفُ؛ إِذْ كَثِيرَا مَا يَسْتَعْمِدُ شَوْقِي اسْتِعَارَاتٍ مَكْنِيَّةٍ مَتَشَابِكَةٍ، بَيْنَمَا  
يَمِيلُ الْبُوصَيْرِيُّ إِلَى الْوَضُوحِ وَالبَسَاطَةِ بِاسْتِعَارَاتٍ تَصْرِيحِيَّةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ. الْاسْتِعَارَاتُ  
الْمَكْنِيَّةُ هِيَ الَّتِي تَضَيِّفُ عَمَقًا وَغَمُوضًا لِلنَّصِ، وَهِيَ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْقَارِئِ التَّفَكِيرَ وَالتَّأَمُّلَ  
فِي الْمَعَانِي الْمَخْفِيَّةِ. يَعْكَسُ هَذَا النُّوعُ مَهَارَاتِ الْكَاتِبِ فِي خَلْقِ صُورٍ بَلَاغِيَّةٍ مَعْقَدَةٍ، وَيَعْتَبَرُ  
أَكْثَرَ إِبْدَاعًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ.

بدأ البوصيري قصيدته بتوظيف استعارتين تصريحتين بارعتين في قوله 'يا سماء ما طاولتها سماء'. حيث تشير السماء الأولى إلى النبي محمد ﷺ، بينما ترمز السماء الثانية إلى باقي الأنبياء والرسل. يقدم الشاعر صورة النبي الكريم كقائد عظيم يفوق جميع أتباعه ويلتزم جميعهم بأوامره. لقد نجح الشاعر في تلخيص الفكرة الأساسية للقصيدة بالكامل في هذا البيت الواحد، وذلك يجعل استهلاله غاية في الجمال والإبداع.

حينما يبرز البوصيري في أولى أبياته عظمة النبي ومكانته الرفيعة، يصور شوقي ردود فعل العالم على مولد النبي الكريم. طبق الشاعر استعارتين بالإضافة إلى تشبيهه، الأولى منها تصريحية حيث تم تشبيه النبي بالهدى، والثانية مكنية بتشبيه الزمان بإنسان يفرح مع ذكر إحدى صفاته (الفم) بطريقة حذف فيها المشبه به وذكر لازمه. هذه الصور تعزز تصوير الفرح والبهجة التي انتشرت في الكون بمولد النبي ﷺ.

وعلاوة على ذلك، يتجلى في النصين توظيف العناصر الطبيعية المعروفة لدى المتلقين كمصادر أدبية، حيث استنبط الشاعران صوراً من السماء والنجوم والصخرة والزلال والحديقة، لتقريب المعاني إلى الوجدان. ورغم التركيز هنا على استعارات مختارة من القصيدتين، فإن استعراض باقي الاستعارات يكشف عن تشابه كبير في اعتمادها على الطبيعة. إلى جانب ذلك، يظهر التشخيص سمة بارزة في هذه الصور البلاغية، إذ يمنح الطبيعة خصائص إنسانية، كما يتبين من هذه الأبيات: "وفم الزمان تبسم" و"الوحي يقطر سلسلاً" و"صخرة من إباءهم صماء".

البيت الشعري في قصيدة البوصيري "صرعت قومه حبائل بغي مدها المكر منها والدهاء" يعكس مهارة استخدام الاستعارات والتصوير البلاغي لعرض تأثير الأفعال السلبية. ففي هذا البيت، تظهر الاستعارة التصريحية من خلال تصوير أفعال ضارة كـ"حبائل بغي"، بينما يشير "مدها" إلى توسيع هذه الأفعال بشكل تدريجي. كما أن استخدام الاستعارة المكنية من خلال "مدها" وإسناده إلى "المكر والدهاء" يبرز بحيث يتم تشبيه المكر والدهاء بالصائد ويذكر لازمه.

وكذلك البيت في همزية شوقي "بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَرُيِّنَتْ وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَ بِكَ الْعَبْرَاءُ" يُبرز جمالا فريدا من خلال استعارة بليغة تجمع بين عظمة الخالق وجمال المخلوق. يعكس البيت رؤية فلسفية عميقة تجعل مولد النبي محمد ﷺ حدثا كونيا تتفاعل معه السماء والأرض في وحدة متناغمة. فالسما تزين، والأرض تفوح بالمسك، رمزا إلى شمولية الرسالة المحمدية. بهذا، يؤكد البيت على الإنسان كنقطة مركزية للكون. من خلال هذا التحليل يتضح أن استعارات البوصيري وشوقي في قصائدهما تعكس حبا عميقا وتقديرا كبيرا للنبي ﷺ. رغم اختلاف أسلوب البوصيري المبسط عن أسلوب شوقي الأكثر تعقيدا، فإن كلاهما نجح في استخدام الصور البلاغية للتعبير عن المعاني الروحية والدينية بشكل ماثر.

## الكناية

الكناية تعد من أبرز الأساليب البلاغية التي استخدمها الشعراء للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بطرق غير مباشرة. فقد وفرت للشعراء وسيلة راقية لإظهار ما يجول في

خواطرهم بأسلوب يتسم بالجمال. نادرا ما تخلو قصيدة من الكناية، سواء قصد الشاعر استخدامها عن عمد أم جاءت تلقائية.

عرّف الكناية كثير من النقاد واللغويين من القدماء والمحدثين. ومن النقاد الأقدمين من أدخل الكناية تحت باب الاستعارة وسّمّاها الأرداف كابن قدامة الذي عرفها بـ "أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي اللفظ الذي يدل على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له"<sup>١٢٤</sup>. أمّا التعريف الذي يقترب من مفهوم الكناية اليوم ما قاله القزويني "الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه"<sup>١٢٥</sup>. فهذا النوع من الصور البيانية أسلوب بلاغي يستخدم فيه تعبير يحمل معنى غير مباشر، بحيث يُفهم المقصود من السياق، كما يقال 'فلان يُشار إليه بالبنان'، وهي كناية عن الشهرة والتميز، لأن الإشارة بالبنان تدل على معرفة الناس به .

حظيت الكناية بتقدير كبير من قِبَل العلماء عبر العصور. أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن الكناية تمتلك قدرة فريدة على توصيل المعنى بطريقة أبلغ من التصريح المباشر، لأنها تضيف عمقا وإيحاء يعزز تأثير النص. وبالمثل، شبّه القزويني دور الكناية في الأدب بعمل الحجة أو البرهان عند إثبات قضية؛ إذ يرى أن الانتقال من الملزوم إلى اللازم

---

<sup>١٢٤</sup> دكتور إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت - ١٩٨٣م، ط: ٤، ص: ٢٦٦.

<sup>١٢٥</sup> القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة مختصر تلخيص المفتاح، مراجعة عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - د.ت، ط: ٣، ص ١٨٢ .

يجعل الفكرة أقوى وأكثر فعالية ومحكمة، كما تكون الدعوى المدعومة ببينة أقوى من الادعاء المجرد<sup>١٢٦</sup>.

يستخدم البوصيري و شوقي الكناية في قصيدتهما، ولكن بشكل محدود مقارنة بالأساليب البلاغية الأخرى. ورغم قلّتها، تضيف الكناية لمسة جمالية للنصين.

يعتمد البوصيري على الكناية لإظهار عناية الله وحمایته قائلاً:

"كَمْ يَدٍ عَنِ نَبِيِّهِ كَمَّمَهَا اللّٰهُ  
هُوَ فِي الْخَلْقِ كَثْرَةٌ وَاجْتِرَاءُ"<sup>١٢٧</sup>

يُظهر البوصيري أن الأيدي التي امتدت بالأذى تجاه النبي ﷺ لم تصبه جميعها، لأن الله تعالى حماه وصانه من كثير من مكائدهم. وقد لجأ الشاعر هنا إلى الكناية حيث عبّر بكلمة اليد عن الأفعال العدائية أو النية في البطش.

وكذلك في وصف السير إلى المدينة المنورة، يقول الشاعر:

"وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْبٍ  
بَيْةً وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءً".

يُعبّر الشاعر هنا عن شوقه وحبّه للنبي محمد من خلال تصوير رحلة الحجيج إلى موطن الحبيب المدينة المنورة، يصور الشاعر رحلة القوافل نحو المدينة كأنهم يذهبون وهم في سباق للوصول إلى غايتهم المنشودة. العبارة "رمىنا بها الفجاج" تحمل كناية عن شدة الشوق والعزيمة في الوصول إلى المدينة المنورة.

وفي بيت آخر يعبر الشاعر عن حزنه العميق وندمه على شبابه الذي مضى دون جدوى:

---

<sup>١٢٦</sup> مهنا هایل الرجیلات، الصورة الفنية في المدائح النبوية في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، جامعة مؤتة (كلية الدراسات العليا) - الكرك (الأردن)-٢٠١٧م، ص: ٢٠٤.

<sup>١٢٧</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٨.

"كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْ قَطْتُ إِلَّا وَلَّتِي شَمْطَاءٌ"<sup>١٢٨</sup>.

الكناية في هذا البيت تظهر في عبارتين، أولاً "نومة الشباب" تعني حالة الغفلة أو الانشغال التي كان يعيشها الشاعر في شبابه، حيث لم يكن يهتم بما يجب أن يفعله. ثانياً، "ولَّتِي شَمْطَاءٌ" تشير إلى لحيته التي اشتعلت شيباً، وهي كناية عن شيخوخته، حيث يعبر الشاعر عن مرور الوقت بسرعة دون أن يلتفت إلى الفرص التي ضاعت في شبابه.

وكذلك يعبر الشاعر عن معجزات النبي ﷺ فيقول:

"فَتَغْدَى بِالصَّاعِ أَلْفُ جِيَاعٍ وَتَرَوَّى بِالصَّاعِ أَلْفُ ظِمَاءٍ"<sup>١٢٩</sup>.

يعكس البيت البركة النبوية التي تحققت بتأييد من الله عز وجل، على جعل القليل كافياً للكثير. في غزوة تبوك، عندما واجه الصحابة نقصاً شديداً في الطعام، طلب النبي ﷺ منهم أن يجمعوا ما تبقى لديهم من زاد. جمع النبي هذا الطعام القليل بين يديه ودعا له بالبركة، فكان يكفي الجميع ويشبعهم بفضل الله. وكذلك ما حدث أثناء حفر الخندق في السنة الخامسة للهجرة، عندما استضاف النبي عدداً كبيراً من الصحابة في بيت جابر بن عبد الله. رغم قلة الطعام، بارك الله فيه حتى كفى الجميع وملاهم.

في هذا البيت "الصاع" كناية تشير إلى قلة المواد، بينما "الألف" ترمز إلى الكثرة العظيمة، جمالية الكناية في هذا البيت تظهر في توظيف الطريقة غير المباشرة التي يبرز عمق المفارقة ومدى عظمة البركة.

<sup>١٢٨</sup> نفس المصدر، ص: ١٦.

<sup>١٢٩</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣.

ومن معجزات النبي ﷺ الشفاء الذي منحته يده الشريفة، حيث يشير إليه الشاعر  
قائلا:

"وعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ"<sup>١٣٠</sup>

في هذا البيت يُذَكِّرُ الشاعر بالحوادث التي استعاد فيها الصحابة بصرهم بلمسة اليد  
الشريفة. "زرقاء اليمامة" شخصية اشتهرت في الموروث العربي بحدة بصرها، إذ كانت  
تري الأشياء على بُعد مسافة أيام. ف"ما لم تر الزرقاء" كناية عن أمر بعيد لم يتيسر  
لأحد إدراكه حتى لأصحاب البصر الحاد.

أما أحمد شوقي فهو أيضا ابتعد عن الإكثار في استخدام الكنايات. ومن أمثلة ذلك في  
همزته قوله:

"وإذا ملكت النفس قُمتَ بِبِرِّهَا وَلَوْ أَنَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ الشَّاءُ"<sup>١٣١</sup>.

يبرز هذا البيت الشريف سمو أخلاق النبي الكريم، ويُظهر إنسانيته ورفق تعامله مع ما  
يملك، مهما كان بسيطا أو قليلا. فالشاعر يشير إلى أن النبي ﷺ، رغم قلة أو صغر  
ممتلكاته المادية، كان يُحسن إليها ويعاملها ببرٍ ولطف، تجسيدا لصفاته النبيلة في الرضا  
والقناعة.

في تعبيره "ما ملكت يداك الشاء"، استخدم الشاعر كناية دقيقة عن صغر الممتلكات  
من الناحية المادية، مشيرا إلى الشاء، التي كانت من أبسط الحيوانات وأقلها قيمة في  
نظر العرب آنذاك، بوفرته وسهولة امتلاكها.

<sup>١٣٠</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣.

<sup>١٣١</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠م، ص: ٤٥.

ويقول الشاعر عن بيت النبوة:

"بيت النبيين الذي لا يلتقي إلا الحنائفُ فيه والحنفاءُ"<sup>١٣٢</sup>.

فبيت النبي ﷺ يتميز بشرف عظيم وعظمة لا تضاهي، فهو بيت النبوة والهداية، ومأوى الحق الذي لا يجتمع فيه إلا من يعتنق التوحيد الخالص وينبذ الشرك. فعبارة "لا يلتقي إلا الحنائفُ فيه والحنفاءُ" كناية دقيقة تعبر عن صفاء هذا البيت ونقاؤه، حيث لا مكان فيه إلا للموحدين الذين اختاروا طريق الاستقامة.

وفي مقطع آخر من القصيدة يقول شوقي:

"الدِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكَبْرَى التي فيها لباغي المعجزات غناء"<sup>١٣٣</sup>.

يُشير البيت إلى عظمة القرآن الكريم، الذي يعدّ أعظم معجزة إلهية منحها الله لنبيه محمد ﷺ. هنا الذكر كناية عن القرآن الكريم، فهو الاسم الذي يُجسّد مكانته العظيمة بوصفه ذكرا لله وذكرى للبشرية، يوجّهها نحو طريق الحق والخير.

وكذلك يقول الشاعر في هذا المقطع من القصيدة مشيرا إلى الأخلاق العالية:

"وَإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا في بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ"<sup>١٣٤</sup>.

في هذا البيت، استخدم شوقي كناية عن النسبة في عبارته "رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا في بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ". لأن الوفاء، كصفة معنوية، أُضيف إلى أمر مادي، وهو البردة، في صورة

<sup>١٣٢</sup> نفس المصدر، ص: ٤٣.

<sup>١٣٣</sup> نفس المصدر، ص: ٤٦.

<sup>١٣٤</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

بلاغية. هذا الأسلوب يُبرز أن الوفاء ليس مجرد خلق يعبر عنه بالأقوال، بل قيمة متجذرة في كل ما يرتبط بالنبى ﷺ.

وفي بيت آخر يقول الشاعر متحدثاً عن قوة السيادة والهيبة للنبي ﷺ:

"وإذا حميت الماء لم يُورد ولو أن القياصر والملوك ظمءاً"١٣٥.

'الماء' يُمثل هنا كناية عن أشياء ضرورية يُحافظ عليها صاحب الرسالة، وكلمة 'الظماء' في هذا البيت كناية عن شديدي الاحتياج. فهذا البيت يصور قوة القرار وهيبة النفوذ التي يتمتع بها الرسول الكريم، بحيث يقف الجميع، حتى الملوك وأعظم الناس عاجزين عن الوصول إلى ما يحميه أو يمنعه، رغم مكانتهم العالية وشدة حاجتهم.

فخلاصة القول أن كلا من البوصيري وشوقي استخدم الكناية في قصيدتهما بطريقة تخدم أهدافه الشعرية. في قصيدة البوصيري، استخدمت الكناية في كلتا القصيدتين لتعميق المعاني وزيادة الإيحاء، كما صور البوصيري عظمة بركة النبي في قوله "فتغدّى بالصّاع ألف جِيع"، وكما أبرز شوقي شرف بيت النبوة بأسلوب رقيق ومزخرف في قوله "بيت النبيّن الذي لا يلتقي إلا الحنائفُ فيه والحنفاءُ". وأحياناً استخدم كلاهما الكناية لإثراء النص بجمال مؤثر.

### البديع في القصيدتين

يُعدّ علم البديع من العناصر المهمة في الشعر العربي، لأنه يضيف جمالا في الألفاظ والمعاني، ويساعد على تقوية التأثير في المتلقي. وقد استخدم شعراء المديح النبوي هذا

الفن بشكل واسع، كما وظّفه البوصيري وشوقي في همزيتهما، حيث صار مساعدا في تزيين الكلام، والتعبير عن المشاعر الصادقة والمحبة العميقة للنبي ﷺ.

## الجناس

هو "هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى"<sup>١٣٦</sup>. يُعدّ الجناس نوعا من التكرار من حيث الشكل العام. وأفضل أنواع الجناس هو ما يأتي بشكل طبيعي دون تكلف، ويخدم المعنى. فالمعنى هو الذي يختار الكلمة المناسبة في السياق. ويكون الجناس جميلا ومؤثرا عندما لا يكون مصطنعا، لأنه يمنح الكلام نغمة موسيقية ناتجة عن تكرار الكلمات المتشابهة كليا أو جزئيا.

وفقا لهذا المعنى، يكثر استخدام الجناس في قصيدة الهمزية للبوصيري بشكل واضح جدًا. فقد كان البوصيري مولعا بهذا الأسلوب البلاغي، لكنه ركّز في الغالب على الجانب الصوتي للجناس أكثر من المعنوي، بسبب اهتمامه الشديد بالموسيقا الشعرية، كما هو معروف عنه. ولهذا، يلاحظ أن معظم قصائده لا تكاد تخلو من الجناس أو التضاد، وأحيانا يبدو أنه اختار الألفاظ بعناية شديدة وربما بتكلف.

وتظهر هذه الظاهرة بوضوح في قصيدة 'الهمزية'، حيث توجد أنواع متعددة من الجناس، مثل الجناس التام، ومن أمثله قوله:

"شُقَّ عن صدره وشُقَّ له البد ر ومن شرط كل شرط جزاء"<sup>١٣٧</sup>.

<sup>١٣٦</sup> الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٩م، ص: ٤٠٣.

<sup>١٣٧</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٤.

"فغدا ناظرا بعيني عقاب في غزاة لها العُقَاب لواء" ١٣٨.

هنا استخدم الشاعر كلمتين متشابهتين لفظا لكن معناهما مختلف.

فكلمة 'شق' الأولى تعني شق صدر النبي ﷺ عندما كان طفلا، أما 'شق' الثانية فهي

تعني انشقاق القمر كمعجزة حدثت له ﷺ. يصدر هنا سؤال: أليس الشق في

الموضعين بمعنى واحد، فكيف يكون جناسا؟ فأجاب عليه ابن حجر الهيتمي في شرح

الهمزية: "شق الأجرام الجمادية غير شق الأجرام الحيوانية من حيث الصورة والآلة،

وأیضا فشق القمر شق جرّمه كله، وشق الصدر إزالة غشائه لا غير، وكفى بهذا

اختلافا" ١٣٩.

وكذلك يكمن الجناس في كلمة 'عقاب'. الكلمة الأولى تشير إلى طائر العقاب الذي يتميز

بقوة النظر، فالشاعر يلمح إلى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اكتسب قوة البصر

ببركة ريق النبي ﷺ الذي مسّ عينيه. أما 'العقاب' الثانية في البيت فهي اسم لراية أسود

كان يحملها عليٌّ في غزوة خيبر.

ويظهر في قصيدة البوصيري أنواع كثيرة من الجناس، ومنها نوع خاص يُسمى الجناس

المحرّف، وهو أن تتشابه الكلمتان في نوع الحروف وعددها وترتيبها، لكن تختلفان في

الحركات، كما قال الشاعر:

"ورماهم بدعوةٍ من فناء الـ بيت فيها للظالمين فناء" ١٤٠.

١٣٨ نفس المصدر، ص: ٣٤.

١٣٩ ابن حجر الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن محمد، المنح المكية في شرح الهمزية (أفضل القرى لقراء أم القرى)، دار المنهاج،

بيروت - ٢٠٠٥م، ط: ٢، ص: ٣٢٨.

١٤٠ البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٧.

كلمة 'فناء' الأولى تعني ساحة الكعبة، أما 'فناء' الثانية فتعني الهلاك.

الكلمتان تتشابهان في الحروف ترتيبا ونوعا وعددا، لكن تختلفان في الحركات: الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة.

ومن أنواع الجناس الناقص ما يكون فيه أحد اللفظين ناقصا عن الآخر من حيث عدد الحروف، مع بقاء التوافق في نوع الحروف وهيئتها وترتيبها. وقد قسم البلاغيون هذا النوع إلى عدة فروع بحسب موضع النقص، مثل الجناس المردوف والمكتنف والمذيل. وتتجلى هذه الأنواع في أبيات البوصيري حيث قال:

"لم يُساووك في علاك وقد حا ل سَنَا منك دونهم وسناء"<sup>١٤١</sup>.

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء"<sup>١٤٢</sup>.

وأبو جهل إذ رأى عنق الفح ل إليه كأنه العنقاء"<sup>١٤٣</sup>.

تمثل هذه الأبيات أمثلة دقيقة للجناس الناقص بفروعه المختلفة؛ فالبيت الأول يبرز فيه الجناس المطرف، حيث نقصت الهمزة في نهاية الكلمة. أما الثاني، فيمثل الجناس المردوف، لنقص الحرف في أول اللفظ. ويجسد الثالث الجناس المذيل، إذ نقص منه أكثر من حرف.

<sup>١٤١</sup> نفس المصدر، ص: ١١.

<sup>١٤٢</sup> نفس المصدر، ص: ١٤.

<sup>١٤٣</sup> نفس المصدر، ص: ١٨.

تظهر في أبيات البوصيري أمثلة على الجناس الذي يختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع أحد حروفهما، مع تقاربهما في النطق سواء في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، كما في كلمتي 'السب' و'السّم'، و'فاح' و'لاح'. ومن أمثله قوله:

"وجد السبّ فيه سمّا ولم يد ر إذ الميم في مواضع باء" <sup>١٤٤</sup>.

فإذا شمت أو شممت رباها لاح منها برق وفاح كباء" <sup>١٤٥</sup>.

وهذا النوع من الجناس يُعرف بالجناس المضارع.

وتجلى في قصيدة 'الهمزية النبوية' لأحمد شوقي براعة الشاعر في توظيف الجناس كأداة بلاغية تُثري الإيقاع الداخلي وتعزز التأثير العاطفي للنص. يقول الشاعر:

"وإذا غضبت فإنما هي غضبة في الحق لا ضغن ولا بغضاء" <sup>١٤٦</sup>.

"وتمدُّ حلمك للسفيه مدارياً حتى يضيق بعرضك السُّفهاء" <sup>١٤٧</sup>.

"بسوى الأمانة في الصِّبَا والصدق لم يعرفه أهل الصدق والأمناء" <sup>١٤٨</sup>.

"نعم اليتيم بدت مخايل فضله واليتيم رزق بعضه وذكاء" <sup>١٤٩</sup>.

يوظف الشاعر جناس الاشتقاق في هذا البيت حيث استخدم كلمتي غضبت وغضبة.

وفي مقطع آخر من القصيدة يقول شوقي:

"داويت متئدا وداووا ظفرة أخف من بعض الدواء الداء" <sup>١٥٠</sup>.

<sup>١٤٤</sup> نفس المصدر، ص: ٢٩.

<sup>١٤٥</sup> نفس المصدر، ص: ٣٢.

<sup>١٤٦</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ١٢٠٢ م. ص: ٤٥.

<sup>١٤٧</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

<sup>١٤٨</sup> نفس المصدر، ص: ٤٤.

<sup>١٤٩</sup> نفس المصدر، ص: ٤٤.

<sup>١٥٠</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

يعكس هذا البيت الجناس المكتنف في كلمتي الدواء والداء، حيث وقع النقص في وسط الكلمة، بحذف حرف الواو.

ويستعين الشاعر بالجناس المذيل حيث قال:

"وَجَدَ الزُّعَافَ مِنَ السُّمُومِ لِأَجْلِهَا كَالشَّهْدِ ثُمَّ تَتَابَعُ الشُّهْدَاءُ"<sup>١٥١</sup>.

إذ نقص من الجزء الأخير من كلمة شهد أكثر من حرف من كلمة الشهداء.

لا تُرى في قصيدة الهمزية لأحمد شوقي إلا أمثلة نادرة للجناس، ويبدو أن الشاعر تجنّب الإكثار منه خشية أن تفقد القصيدة عفويتها ويظهر فيها التكلف.

## الطباق

الطباق هو الجمع في الجملة بين الشيء وضده، ويُعدّ من الأساليب البلاغية التي يلجأ إليها الشعراء عمداً، لا عفواً، إذ يُقصد بها إحداث عنصر جمالي بين الألفاظ والمعاني. ومن حيث الأصل اللغوي، فإن 'الطباق' مأخوذ من فعل 'طابق'، أي وضع الشيء على مثله بإحكام، كما يوضع غطاء القدر على فمه حتى يسدّه، ومنه إطباق بطن الكفّ على بطن الكفّ الآخر. وهذا التطابق الظاهري يحيل إلى تقابل معنوي في الاستخدام البلاغي، غالباً ما يتسم بالتضاد.

ويُشتق من الطباق نوع آخر يُعرف بـ'المقابلة'، وهو طباقٌ متعدد، بحيث يُذكر أكثر من معنى في الطرف الأول، ثم يُقابل بمعاني مضادة لها في الطرف الثاني، غالباً بنفس الترتيب. وتكمن القيمة الجمالية للطباق في ما يحدثه من انسجام مع آلية تداعي المعاني

<sup>١٥١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

في ذهن المتلقي، إذ إن الأضداد تعلق بالذهن بسهولة أكبر من المتشابهات، وذلك يجعلها وسيلة فعالة في التأثير.

وبالرجوع إلى القصيدتين، يلاحظ أن الشاعرين استخدموا هذا اللون البديعي بأهمية بالغة.

قد أكثر البوصيري من استخدام الطباق في قصيدته حتى كاد يخرج به عن حد الاعتدال إلى درجة لا تخلو من التكلف والتصنع. ومن الأمثلة على ذلك قوله:

"واختفى منهم على قرب مرءاهُ  
ومن شدّة الظهور الخفاء"١٥٢.  
"أصبحت سُؤلاً عجاجاً وأمستُ  
ما بها شائلٌ ولا عجفاء"١٥٣.  
"والجماداتُ أفصحتُ بالذي أخُ  
رس عنه لأحمدَ الفصحاء"١٥٤.  
"لا تحلّ البأساءُ منه عرى الصب  
ر ولا تستخفه السراء"١٥٥.

ففي هذه الأبيات يطابق الشاعر بين 'الظهور' و'الخفاء'، وبين 'أصبحت' و'أمست'، وبين 'أفصحت' و'أخرس'، وبين 'البأساء' و'السراء' في بناء بلاغي قائم على التضاد. وهذه الأمثلة تدل بوضوح على اعتناء البوصيري بهذا اللون من البديع، وسعيه إلى إبراز المعاني من خلاله، وذلك يعكس وعيه بجماليات الطباق وقدرته على توظيفه في خدمة المدح النبوي.

أما أحمد شوقي فقد وظّف الطباق في همزيته بقدر لا يستهان به، إذ قال:

١٥٢ البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٥.

١٥٣ نفس المصدر، ص: ١٣.

١٥٤ نفس المصدر، ص: ١٥.

١٥٥ نفس المصدر، ص: ٢٠.

"يوم يتيه على الزمان صباحه  
ومساؤه بمحمّد وضاء"<sup>١٥٦</sup>.  
"في كل نفسٍ من سطاك مهابةٌ  
ولكل نفسٍ في نداك رجاءٌ"<sup>١٥٧</sup>.  
"ومن العقول جداول وجمامد  
ومن النفوس حرائر وإماء"<sup>١٥٨</sup>.  
"جاءت فوحدت الزكاة سبيله  
حتى التقى الكرماء والبخلاء"<sup>١٥٩</sup>.  
"إن الشجاعة في الرجال غلاظة  
ما لم تنزهها رأفةٌ وسخاءٌ"<sup>١٦٠</sup>.  
"كانت لجُنْدِ الله فيها شدَّةٌ  
في إثرها للعالمين رخاءٌ"<sup>١٦١</sup>.

اعتمد شوقي في قصيدته على الطباق كأداة بلاغية بارزة تعكس قدرته على الجمع بين المعنى والدلالة من جهة، والتوازن الإيقاعي من جهة أخرى. وقد تكرر استخدام الطباق في مواضع متعددة من القصيدة، مثل: 'الصباح والمساء'، و'المهابة والرجاء'، و'الجداول والجمامد'، و'الحرائر والإماء'، و'الكرماء والبخلاء'، و'الغلاظة والرأفة'، و'الشدّة والرخاء'.

لم يكن استعمال الطباق في القصيدة مجرد تزيين أو زخرفة، بل جاء ليعبّر عن فكرة مهمة وهي أن النبي محمد ﷺ جاء ليصلح حال الناس، فيجمع بين المتناقضات، ويوازن بين القوة والرحمة، والشدّة واللين. فالشاعر يستخدم هذه المتضادات ليظهر شخصية

<sup>١٥٦</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢ م. ص: ٤٤.

<sup>١٥٧</sup> نفس المصدر، ص: ٤٥.

<sup>١٥٨</sup> نفس المصدر، ص: ٤٧.

<sup>١٥٩</sup> نفس المصدر، ص: ٤٨.

<sup>١٦٠</sup> نفس المصدر، ص: ٤٩.

<sup>١٦١</sup> نفس المصدر، ص: ٤٩.

النبي الذي عاش بين مختلف طبقات الناس، وليبرز كيف هدى النفوس المتفاوتة، وكيف صنع مجتمعا متوازنا يسوده العدل والرحمة.

## التورية

تُعد التورية من الأساليب البلاغية التي تبرز ذكاء الشاعر ومهارته في استخدام الكلمات. وهي أن يستخدم الشاعر كلمة لها معنيان: أحدهما ظاهر قريب يتبادر إلى الذهن بسرعة، والآخر خفيّ بعيد هو المقصود الحقيقي. والمستمع يظن أولاً أن الشاعر يقصد المعنى القريب، بينما هو يريد المعنى البعيد، ولهذا سُميت تورية، أي إخفاء المعنى الحقيقي.

من أمثلة التورية في قصيدة البوصيري قوله:

"واختفى منهم على قربٍ مرأً  
هُ ومن شدة الظهور الخفاء"١٦٢.

الظاهر من البيت أن خفاء النبي ﷺ عن أعين الكافرين كان بسبب شدة ظهوره ونورانيته، حتى إنهم لم يستطيعوا رؤيته رغم قربه، كما أن نور الشمس قد يحجبها عن العيون الضعيفة. هذا هو المعنى القريب. أما المعنى البعيد، وهو المقصود، فهو أن اختفاء النبي ﷺ عن أنظارهم لم يكن طبيعياً، بل معجزة خارقة، أي أنه ظهر واختفى في الوقت نفسه بأمر الله، وهو ما يفوق الإدراك المعتاد. ويقول أيضاً:

"الاح بالدهنوين بدرٌ لهابع  
د حنينٍ وحتتِ الصفراء"١٦٣.

١٦٢ البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٥.

١٦٣ نفس المصدر، ص: ٣١.

كلمة 'بدر' هنا قد يفهم منها السامع أنها تشير إلى القمر البدر، وهو المعنى القريب، خصوصاً أن البدر رمز متكرر في مدح النبي ﷺ. لكن الشاعر في الحقيقة يقصد مكان بدر، المشهور في السيرة النبوية. وذلك أن البوصيري ذكر هنا بعض الأماكن التاريخية التي مرَّ بها خلال رحلته إلى الحجاز. و'الدهونين' هي منطقة قريبة من بدر، حيث وقعت غزوة بدر الكبرى. يلمح الشاعر هنا إلى أن الإبل، حينما وصلت إلى تلك الأرض المباركة، بدت لها معالم ساحة بدرز، فاجتمع في البيت ذكر مواضع غزوات النبي ﷺ بطريقة ذكية تجمع بين المعنى الشعري والمعنى التاريخي، وهذا هو المعنى البعيد. وهكذا، تظهر التورية في قصيدة البوصيري وسيلة بلاغية راقية، تجعل المعنى أعمق وأغنى.

ختاماً، تمّ تسليط الضوء على جماليات فن البديع في همزيتي البوصيري وأحمد شوقي، من خلال دراسة بعض الأساليب البديعية التي زادت النصين جمالا وقوة في التأثير، خاصة في سياق مدح النبي ﷺ. لكل من ثلاثة أنواع البديع المذكورة حضور مميز في القصيدتين، وهي تعكس براعة الشعارين في استخدام اللغة للتعبير عن معاني نبيلة ومقاصد سامية.

## الفصل الرابع: آليات الاتّساق في الهمزيتين

إلى جانب الأفكار، يكتسب الشعر جماله من دقة اختيار الكلمات وترتيبها بطريقة إبداعية. تعكس كلمات الشاعر ثقافته وفكره، كما تعبر عن الظواهر الأدبية السائدة في عصره. لم يكن الشعر مجرد وسيلة لنقل الأفكار، بل اعتمد على تقنيات أسلوبية مثل انتقاء الكلمات واستخدامها بشكل مناسب، وإدخال التناص في الكلمات والتعابير، مما يمنح القصيدة جاذبية خاصة. فكل أسلوب يستخدم في التعبير عن الأفكار يضيف قيمة فنية، كما يظهر في تقنيات مثل بدء القصائد الجاهلية بوصف معشوقة خيالية، وهي ممارسة قد تبدو غير ضرورية اليوم لكنها كانت معيارًا للجمال الشعري في ذلك الوقت. وهذا يوضح أن أسلوب التعبير للقصيدة لا يقل أهمية عن مضمونها الفكري.

وقد مر الشعر العربي بمراحل متنوعة عبر العصور، تميزت كل مرحلة بطابعها الفريد وأساليبها الخاصة التي عكست روح زمانها. يمثل الشاعران أحمد شوقي والبوصيري مرحلتين أدبيتين مختلفتين، مما يشير إلى الفروق في أساليب العرض وانتقاء الكلمات

بينهما. ومع ذلك، وبسبب التشابه في محاور قصائدهما، أحيانا يمكن العثور على نقاط التقاء وتشابه في أساليب التعبير والعرض التي استخدمها كل منهما.

## التناسق في القصيدتين

التناسق هو مفهوم نقدي يعني العلاقة بين نص أدبي ونص آخر، أو إدخال نص داخل نص جديد، مما يوضّح التفاعل بين النصوص المختلفة. وهذا المفهوم يبين أن النصوص ليست مستقلة، بل هي جزء من شبكة مترابطة من الأفكار والنصوص. في الأدب العربي، تمّ استخدام التناسق في اصطلاحات أخرى مثل الاقتباس أو التضمين، مثل إدخال آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أبيات شعرية داخل نص جديد، مما يضيف عمقا ومعاني غنية. "على الرغم من أن العرب كانوا على دراية بمفهوم التناسق، إلا أنهم لم يستخدموا المصطلح بالطريقة الصريحة، بل استخدموا مصطلحات أخرى في المجال البلاغي مثل التضمين، والإشارة، والاقتباس، وفي المجال النقدي مثل التناقضات والسرقات والمعارضات. وجميعها أقرب قليلا أو كثيرا إلى مفهوم التناسق" <sup>١٦٤</sup>.

ويُعتبر التناسق وسيلة مفيدة لفهم النصوص الأدبية وتحليلها، لأنه يكشف عن العلاقات المتبادلة بين الأعمال الأدبية عبر العصور. وهو لا يقتصر على دراسة الفنون الأدبية فقط، بل يتجاوز ذلك إلى مجالات أخرى مثل السينما، والرسم، والموسيقى،

---

<sup>١٦٤</sup> نبيهة خالد حيدرة والأستاذ الدكتور / بلقاسم الجطاري، *التناسق أحد قضايا النقد العربي الحديث*، شعبة النشر والخدمات المعلوماتية، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، الإمارات العربية المتحدة-٢٠٢٢م، ص: ٧.

والعمارة، والتصوير، وكل أشكال الإنتاج الثقافي والفني تقريبا. فهو يعكس التفاعل بين مختلف الإبداعات الإنسانية، مما يُبرز الترابط والتأثير المتبادل بين هذه الفنون المتنوعة.

يمكن ملاحظة التناسق بوضوح في قصيدتي البوصيري وأحمد شوقي، حيث يتجلى في استقائهما من أفكار وألفاظ من القرآن الكريم ومصادر تاريخية وأدبية متنوعة. أحمد شوقي، على وجه الخصوص، اعتمد بشكل كبير على همزية البوصيري، فانعكس ذلك في شعره من خلال استخدامه للعديد من الأفكار والتعبير التي وردت في قصيدة البوصيري، بشكل مباشر أحيانا، بينما جاء البعض مشابها.

على العكس من أسلوب أحمد شوقي، تركز قصيدة البوصيري على سيرة النبي العطرة. يظهر ذلك من اعتماد البوصيري الكبير على كتب السيرة النبوية، حيث سعى إلى تضمين أبرز الأحداث التي شكّلت حياة النبي ﷺ. كما أنه، عند وصفه لتاريخ الرسول الكريم، أشار إلى أحداث مشابهة وقعت في حياة الأقدمين. فيبدو أن البوصيري يحاول التماشي في القصيدة مع التاريخ الإنساني قبل النبوة الخاتمة. يقول الشاعر:

"أذْكَرْتَنَا بِأَكْلِهَا أَكَلَ مِنْسَا  
ةِ سُلَيْمَانَ الْأَرْضَةَ الْخَرَسَاءُ"<sup>١٦٥</sup>.

"كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ  
فَهُوَ فِي سُوءِ فِعْلِهِ الزَّبَاءُ"<sup>١٦٦</sup>.

"وَعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ  
فَأَرْتَهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ"<sup>١٦٧</sup>.

<sup>١٦٥</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ١٨.

<sup>١٦٦</sup> نفس المصدر، ص: ٢٩.

<sup>١٦٧</sup> نفس المصدر، ص: ٢٣.

تعكس الأبيات تناصا واضحا مع التاريخ والأسطورة، حيث يربط البوصيري بين مدحه للنبي وبين أحداث وشخصيات بارزة من الماضي. في البيت الأول، يشير الشاعر إلى قصة النبي سليمان عليه السلام عندما أكلت الأرضة عصاه، وهي قصة من التراث الديني، ليُظهر كيف يمكن أن يزول مُلك الملوك عند فقدان أسباب القوة. انتقل الشاعر إلى هذه القصة بعدما ذكر نقض صحيفة الحصار التي أكلتها الأرضة. هذا التناص يبرز الحكمة الإلهية ويُظهر ضعف البشر أمام قدرة الله.

وفي البيت الثاني والثالث، استدعي البوصيري شخصيتين من التاريخ والأسطورة مثل 'الزباء'<sup>١٦٨</sup>، "وهي المرأة المشهورة بالملك القاهر في العرب، فإنها تناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها"<sup>١٦٩</sup>. ومن خلال هذا التناص، يبرز الشاعر أن من يسيء للنبي لا يُلحق الضرر إلا بنفسه، إذ تكون نهايته الهلاك بسبب الأقوال الشنيعة الخارجة من فمه، وكذلك 'الزرقاء' أو 'زرقاء اليمامة' شخصية من الأسطورة العربية، وهي التي تمثل البصيرة الحادة. من شدة وصحة بصرها كانت ترى مسيرة ثلاثة أيام. هذا التوظيف للشخصيات يعكس براعة الشاعر في جعل النبي محمد في مكانة عالية تتجاوز بطولات وأساطير السابقين، كما يساعد على تعزيز الرسالة الجوهرية للقصيدة.

---

<sup>١٦٨</sup> اسمها نائلة بنت عَمْرُو . انتحرت لتجنب الوقوع في قبضة أعدائها.

<sup>١٦٩</sup> ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠١٣م، ط: ٢، ص: ٢٧٧.

وقصيدة الهمزية لشوقي أيضا تتسم بالتناسل البارز مع الشخصيات التاريخية والفكرية البارزة، حيث يوظف الشاعر رموزا من التاريخ الإنساني والفلسفي لإبراز أهمية التوحيد والعدالة التي جاء بها الإسلام، يقول الشاعر:

"بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَهِيَ حَقِيقَةٌ  
نَادَى بِهَا سِقْرَاطُ وَالْقُدَمَاءُ  
إِيزِيسُ ذَاتُ الْمَلِكِ حِينَ تَوَحَّدَتْ  
أَخَذَتْ قِوَامَ أُمُورِهَا الْأَشْيَاءُ  
دَاءُ الْجَمَاعَةِ مِنْ أَرِسْطَالِيسَ لَمْ  
يُوصَفَ لَهُ حَتَّى أَتَيْتَ دَوَاءً"١٧٠.

يتجلى في هذه الأبيات توظيف التناسل مع شخصيات بارزة من التاريخ القديم، مثل سقراط وأرسطو وإيزيس. ففي البيت الأول، يستحضر الشاعر الفلاسفة القدماء، مشيرًا إلى أنهم دعوا إلى مبادئ التوحيد والحكمة، مما يعكس تقديره للإرث الفلسفي اليوناني وتأثيره في الفكر الإنساني، حيث جاء الإسلام ليكمل هذه المبادئ ويحقق كمالها .

كما يتذكر الشاعر اسم أرسطو، المعروف بنظرياته حول الاجتماع الإنساني والسياسة، ويشير إلى أن الإسلام جاء ليقدّم علاجاً للأمراض الجماعية التي لم يستطع حتى أرسطو تقديم حلول نهائية لها. أما إيزيس، الإلهة الميثولوجية التي مثلت النظام والاتحاد في الحضارة المصرية القديمة، فيربطها الشاعر بمفهوم التوحيد، مشيرًا إلى أنها عندما التزمت بهذا المبدأ العظيم، تمكنت من تدبير شؤونها. يعكس هذا التناسل رؤية شوقي

١٧٠ شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٤٧.

العميقة وولائه الخاص حيث يبرز تفوق الإسلام، القائم على التوحيد، على الموروث الفكري والديني السابق عليه.

## التناص مع القرآن الكريم

التناص مع القرآن الكريم من أبرز السمات التي ميزت المدائح النبوية، حيث استلهم الشعراء الألفاظ والصور والمعاني القرآنية ليزيدوا قصائدهم قدسية وبلاغة. وتعكس الهمزيتان أيضا تناصا وتفاعلا مع النصوص القرآنية. الأبيات المختارة من قصيدتي البوصيري وأحمد شوقي، إلى جانب الآيات القرآنية التي تتضمن مضمونها، كما يلي:

الآية المناسبة	الأبيات من همزية البوصيري
"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّفُتِنَّا الْقُلُوبَ لَنَفَضْنَهَا مِنْ حَوْلِكَ" (سورة آل عمران: ١٥٩)	"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَانَتْ صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَاءٌ"
"إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ" (سورة الحجر: ٩٥)	"وَكِفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَاءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتَهْزَاءٌ"
"...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...." (سورة التوبة: ١٠٠)	"رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنَّهُ فَآتَىٰ يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءً"
"...مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ..." (سورة الفتح: ٢٩)	"فَهِيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَىٰ أَعْجَبَ الزُّرَّاعَ مِنْهُ سَنَابِلٌ وَزَكَاءٌ"

<p>"مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ..." (سورة البقرة: ٢٦١)</p>	<p>"حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعْفَاءُ"</p>
<p>الآية المناسبة</p>	<p>الآبيات من همزية أحمد شوقي</p>
<p>"كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ" (سورة الذاريات: ٥٢).</p>	<p>"حسدوا فقالوا شاعرٌ أو ساحرٌ ومن الحسودِ يكون الاستهزاء"</p>
<p>"وَأْمُرُهُمْ سُورَى بَيْنَهُمْ" (سورة الشورى: ٣٨).</p>	<p>"وَالدِّينُ يُسْرُّ وَالخِلافةُ بِيعةٌ والأمرُ سُورَى والحقوقُ قضاءً"</p>

يظهر التناس مع القرآن الكريم في همزية البوصيري بشكل يتفاعل مع طول القصيدة، حيث تتكرر الاستعارات والاقتباسات القرآنية في مواضع متعددة من القصيدة، مما يعكس تأثره العميق بالأسلوب القرآني. كما يمتاز تنوع التناس لديه، إذ يشمل موضوعات الرحمة الإلهية، ونصرة النبي الكريم، وانتشار الإسلام، مما يجعله أكثر شمولية في استلهاام المفاهيم القرآنية. في المقابل، يوجد أنه استخدم شوقي التناس بشكل أكثر تركيزاً وانتقائياً، مقتصرًا على موضوعات محددة مثل مواجهة الرسول للاستهزاء ومبادئ الإسلام.

من حيث الأسلوب، يميل البوصيري إلى الاقتباس المباشر من القرآن مع تعديلات طفيفة، مما يجعل تأثير القرآن واضحًا في شعره، بينما يعتمد شوقي على التناس

الضمني، حيث يعيد صياغة المفاهيم القرآنية بأسلوب شعري أكثر استقلالية دون نقل النصوص حرفياً. وهذا يعكس اختلاف النهج بين الشعراء.

## التناسق مع الأحاديث

الأبيات من همزية البوصيري	الحديث المناسب
"جُعِلَتْ مَسْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ فَاهْتَزَّ رَبَّهُ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءً"	قال النبي ﷺ: "جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا" - رواه البخاري
"وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوُّ حِيدٍ وَهُوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ"	قال النبي ﷺ: "تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك" - رواه أبو داود
"سَيِّدٌ ضَحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْ يُ الْهَوَيْنَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ"	عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى تُرى منه لهواته، إنما كان يتبسم" - متفق عليه
"فِي الْمَهْدِ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِرَجَائِهِ وَبِقَصْدِهِ تُسْتَدْفَعُ الْبِأَسَاءُ"	وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم، عن أبيه: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل، وهو قول أبي طالب - رواه البخاري
الأبيات من همزية أحمد شوقي	الحديث المناسب

<p>قال النبي ﷺ: "أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ" - رواه البخاري</p>	<p>"بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَامَتْ سَمْحَةٌ بِالْحَقِّ مِنْ مَلِكِ الْهُدَى غَرَاءً"</p>
<p>إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ.. - رواه البخاري</p>	<p>"وَالدِّينُ يُسْرٌ وَالْخِلاَفَةُ بِيَعَةٌ وَالأَمْرُ سُورَى وَالْحَقُّوقُ قِضَاءٌ"</p>

يتجلى التناص في كلتا لقصيدتين بوضوح، حيث يستقي الشاعران من الأحاديث النبوية

لتعزيز معانيهما. إلا أن البوصيري يميل إلى التركيز

من زاوية أخرى، يُلاحظ أن البوصيري يستخدم التناص بطريقة مباشرة، حيث يقتبس

من الأحاديث النبوية بنصوصها أو بمعانيها القريبة. في المقابل، يُظهر شوقي براعة في

إعادة صياغة المعاني النبوية، مما يضيف على قصيدته حداثة ورونقا يتناسب مع تطور

الشعر العربي في عصره.

### التناص مع القصائد الأخرى

يتجلى التناص مع الأشعار الأخرى في كلتا القصيدتين، وخاصة مع الهزليات القديمة.

فعند التأمل في قصيدة همزية البوصيري، يتضح تأثرها بمعلقة الحارث بن حلزة من

حيث الموضوع والسرد. ورغم أن البوصيري يكرّس قصيدته لمدح النبي، بينما يفخر

الحارث بمناقب قبيلته، فإن جوهر القصيدتين يبقى في المدح.

استلهم البوصيري من صاحب المعلقة، مستعيراً العديد من الألفاظ الواردة فيها، ومنها

ما هو غريب، مثل: العلياء، قعساء، صماء، الغبراء، ضوضاء، الخلصاء، أفلاء، الحباء.

كما لجأ كلا الشعارين إلى ألفاظ مألوفة متداولة مثل: السماء، الديار، الدلاء، لقاء، دماء، عمياء، الصلاء، الربا. وهذا التناسع مع قصيدة بن حلزة - مع أن أبياتها لا يتجاوز خمسة وثمانين - يعكس عمق الصلة بين القصيدتين.

وربما لا يقتصر هذا التناسع على همزية البوصيري فقط، بل يمتد إلى همزيات أخرى، حيث يعتاد الشعراء الذين يكتبون الهمزيات—سواء كانت في المدح أو في الهجاء أو في غيره—على همزيات سابقة لاكتشاف المفردات التي تنسجم مع القافية الهمزية.

وفوق ذلك، يتبع البوصيري أحيانا نهج الحارث بن حلزة في أسلوبه، كما يظهر في طريقة سرد الأماكن واحدا تلو الآخر. يذكر البوصيري الأماكن التي يمر بها في طريقه إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة:

"فَأَقْضَيْتُ عَلَى مَبَارِكِهَا بَرْ  
كَمْهَا فَالْبُؤَيْبُ فَالْحَضْرَاءُ  
فَالْقَبَابُ الَّتِي تَلِيهَا فَبُئْرُ ال  
نَخْلِ وَالرَّكْبُ قَائِلُونَ رِوَاءُ  
وَعَدَتِ أَيْلُهُ وَحِقْلٌ وَقُرٌّ  
خَلْفَهَا فَالْمَغَارَةُ الْفَيْحَاءُ  
فَعِيونُ الْأَقْصَابِ يَتَّبِعُهَا النَّبْ  
لُكُ وَبِتَلُو كُفَافَةَ الْعَوْجَاءُ  
حَاوَرَتْهَا الْحَوْرَاءُ شَوْقًا فِينَبُو  
عُ فَرَقَّ الْيَنْبُوعُ وَالْحَوْرَاءُ  
لَاخَ بِالذَّهْنَوَيْنِ بَدْرٌ لَهَا بَع  
دَ حُنَيْنٍ وَحَنْتِ الصَّفْرَاءُ  
وَنَضَتْ بَرْوَةٌ فَرَابِعُ فَالْجُحُ  
فَهُ عَنْهَا مَا حَاكِهِ الْإِنْضَاءُ  
وَأَرْزَمَهَا الْخَلَاصَ بئْرُ عَلِيٍّ  
فَعَقَابُ السَّوِيْقِ فَالْخَلْصَاءُ"<sup>١٧١</sup>.

<sup>١٧١</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م، ط: ٢، ص: ٣١.

كما يستعرض الحارث بن حلزة الأماكن في طريق الحبيبة عندما تفارقه:

"بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبُرْقَةٍ شَمًّا      ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ  
فَمَحِيَّاءُ فَالْصَفَاحُ فَأَعْلَى      ذِي فِتَاقٍ فَغَاذِبٌ فَالْوَفَاءُ  
فَرِياضُ الْقَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُّر      بُبٍ فَالشُّعْبَتَانِ فَالْأَبْلَاءُ"<sup>١٧٢</sup>.

يسرد البوصيري أسماء أربعة وعشرين مكانا في أبياته القليلة، محاكيا في ذلك نهج الحارث بن حلزة، حتى إن كليهما يشير إلى منطقة الخلصاء. ويكشف هذا عن التناس الواضح مع المعلقة، مما يضيف على قصيدة البوصيري طابعا ذا أصداء الشعر الجاهلي. وكذلك تتشابه قصيدتا البوصيري والحارث بن حلزة في الأسلوب، حيث يعتمد كلا الشعارين على تكرار أدوات الاستفهام مثل 'أم' ل طرح تساؤلات متتابعة. يقول البوصيري في همزيتته:

"أَهُوَ الرَّكِيبُ الْحَمَارَ فَيَا عَجَّ      زَ إِلِهِ يَمَسُّهُ الْإِعْيَاءُ  
أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحَمَارِ لَقَدْ جَلَّ      لَ حِمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَاءُ  
أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الْإِلَهُ فَمَا نِسْ      بَهُ عَيْسَى إِلَيْهِ وَالْإِنْتِمَاءُ  
أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلَمْ خُصَّ      صَبَتْ ثَلَاثٌ بِوَصْفِهِ وَثُنَاءُ  
أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكَتَهُ      فِي مَعَانِي النُّبُوءَةِ الْأَنْبِيَاءُ"<sup>١٧٣</sup>.

كما يقول صاحب المعلقة:

<sup>١٧٢</sup> الشيباني، أبو عمرو، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - ٢٠٠١ م، ص: ٣٥٤.

<sup>١٧٣</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١ م، ط: ٢، ص: ٢٧.

"أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغ  
 نَمَ غَازِيَهُمْ وَمَتَّ الْجَزَاءُ  
 أَم عَلَيْنَا جُرَى حَنِيفَةَ أَوْ مَا  
 جَمَعَت مِنْ مُحَارِبٍ غِبْرَاءُ  
 أَم جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَمَنْ يَغ  
 دِرَ فَيَأْتَا مِنْ حَرِيهِمْ بُرَاءُ  
 أَم عَلَيْنَا جَرَى الْعِبَادُ كَمَا نِي  
 طَ بِجَوَزِ الْمَحْمَلِ الْأَعْبَاءُ  
 أَم عَلَيْنَا جَرَى قُضَاعَةَ أَم لِي  
 سَ عَلَيْنَا مِمَّا جَنَوْنَا أَنْدَاءُ"<sup>١٧٤</sup>.

يعزز هذا الأسلوب إيقاع القصيدتين ويخلق تدرجا فكريا في المعاني يدفع المتلقي للتأمل في الحجج المطروحة. ويتجلى التشابه في نمط التساؤل الجدلي الذي يوظفه كل شاعر لتفنيد مزاعم خصومه، فبينما يسعى الحارث إلى نقض الاتهامات الموجهة لقبيلته، يستخدم البوصيري الأسلوب ذاته لتفنيد مزاعم ألوهية المسيح.

أما قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي فتوظف العديد من الألفاظ والمعاني المستمدة من همزية البوصيري، مما يكشف عن تداخل نصي واضح بينهما. غير أن هذا التداخل لا يقتصر على المستوى الموضوعي والمضموني فحسب، بل يمتد إلى البنية الشعرية في بعض الجوانب.

يستخدم شوقي في شعره العديد من الكلمات التي استعارها من البوصيري، وخاصة في الجزء الأخير من كل بيت، حيث يختتمه بـ'الهمزة'، كالرُّبَا، غَنَاءُ، الهدى، حواء، زهراء، الأنام، القعساء، عظماء، الغبراء، الحياء، العذراء، لواء، الأمناء، رحماء،

<sup>١٧٤</sup> الشيباني، أبو عمرو، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلي للمطبوعات، بيروت - ٢٠٠١ م، ص: ٣٦٠.

جَوَزاء، الصخرَةُ الصَّمَاءُ. هذه بعض الأمثلة من الكلمات التي وظفها البوصيري في قصيدته، والتي قام شوقي أيضا باستخدامها في قصيدته.

يتجلى التداخل النصي في همزية شوقي، حيث يستمد العديد من الموضوعات والمضامين من همزية البوصيري. وقد تمت الإشارة إلى بعض منها في الفصل الأول من هذا الباب. هنا بعض من هذه الموضوعات المشتركة التي تجسد هذا التأثير.

يقول البوصيري:

"ليلةُ المولدِ الذي كان للدي  
بن سرورٍ بيومِهِ وأزدهاءُ  
وتوالتُ بشرى الهواتفِ أن قد  
وُلِدَ المصطفى وحُقَّ الهَناءُ"<sup>١٧٥</sup>.

ويبدأ شوقي قصيدته مستمدا من هذه الفكرة، فيقول:

"وُلِدَ الهُدَى فالكائناتُ ضياءُ  
وفمُ الزمانِ تبسُّمٌ وثناءُ  
الرُّوحُ والمالُ الملائكُ حولُهُ  
للدينِ والدنيا به بُشراءُ  
والعرشُ يزهُو والحظيرةُ تزدهي  
والمُنْتهى والسِّدرةُ العَصماءُ"<sup>١٧٦</sup>.

وفي موضع آخر يقول البوصيري:

"فَهينئاً به لأمِنَةَ القَض  
لُ الذي شَرِّقَتْ به حوَاءُ  
وَأَتَتْ قومَهَا بأفضلَ مما  
حَمَلَتْ قبلُ مريمُ العذراءُ"<sup>١٧٧</sup>.

ويقول شوقي:

---

<sup>١٧٥</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م*، ط: ٢، ص: ١١.  
<sup>١٧٦</sup> شوقي، أحمد، *الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م*، ص: ٤٣.  
<sup>١٧٧</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م*، ط: ٢، ص: ١٢.

"خيرُ الأبوَّةِ حازَهُم لك آدمٌ  
دُونَ الأنامِ وأحرزَت حواءُ  
هم أدرَكوا عِزَّ النبوةِ وانتهت  
فمِها إِلَيْكَ العِزَّةُ القعساءُ  
أثنى المسيحُ عليه خلفَ سماءِهِ  
وتهلَّلتِ واهتَزَّت العذراءُ"<sup>١٧٨</sup>.

من خلال هذه النماذج، يبرز تأثير أحمد شوقي بهمزية البوصيري في إعادة تقديم موضوعاتها بمزيد من التوسع والإبداع. ففي تصويره لمولد النبي، يعيد إحياء فكرة الاحتفاء الكوني، لكنه يضيف لمسات خاصة، حيث يجعل الكائنات تشع بالنور، والزمان يتجلى في ابتسامة، مما يمنح المشهد طابعاً روحانياً مؤثراً، كما يسלט الضوء على المكانة العظيمة التي نالها آدم وحواء بمولد النبي محمد ﷺ، مؤكداً أن هذا الحدث أضاف لهما شرفاً جديداً وعزةً غالية، ويشير إلى فرحة السيدة مريم العذراء عليها السلام.

ويتشابه أسلوب التعبير بين شوقي والبوصيري في عدة جوانب، منها تجنبهما لمقدمة النسب التقليدي في بداية القصيدة، وهو ما اتبعه شوقي في همزته كما فعل البوصيري. لكن على العكس من ذلك، لجأ شوقي إلى توظيف النسب في مطلع قصيدته نهج البردة محاكياً أسلوب البوصيري في البردة. كما يظهر تأثير شوقي بأسلوب البوصيري المميز في بعض المواضع، حيث يستخدم المنهج الذي اتسمت به قصيدة البوصيري، كما يتجلى ذلك في قوله:

<sup>١٧٨</sup> شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢م، ص: ٤٤.

"اسمُ الجلالة في بديع حروفه أَلِفٌ هنالك واسمُ «طه» الباءُ"<sup>١٧٩</sup>.

"في كلِّ مِنطِقَةٍ حواشي نورها نونٌ وأنتَ النقطةُ الزهراءُ"<sup>١٨٠</sup>.

محاكيا أسلوب البوصيري في قوله:

"آهٍ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي أَلِفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ"<sup>١٨١</sup>.

"قَلَّمَا حَاوَلْتُ مَدِيحَكَ إِلَّا سَاعَدَتْهَا مَيْمٌ وَدَالٌ وَحَاءُ"<sup>١٨٢</sup>.

"وَجَدَ السَّبَّ فِيهِ سُمًّا وَلَمْ يَدُ رِإْذُ الْمَيْمِ فِي مَوَاضِعَ بَاءُ"<sup>١٨٣</sup>.

في الختام، يمكن القول أن أحمد شوقي تأثر بأسلوب البوصيري في قصيدته الهمزية، حيث استعار العديد من الأفكار والتقنيات التي استخدمها البوصيري، مثل توظيف الحروف والكلمات بطريقة مميزة. ومع ذلك، جمع شوقي بين التقليد والإبداع في قصيدته. فبينما استخدم بعض الكلمات التي قد تكون غير مألوفة في عصره مثل 'الغضنفر' و'المهند'، أضاف لمسته الخاصة وطوّر النص الشعري بأسلوب جديد. كما أنه لم يلتزم بنفس طريقة البوصيري في سرد الأحداث بشكل تسلسلي، بل ضبط أفكاره وحصّر كل مقطع في فكرة معينة، على عكس البوصيري الذي كان ينتقل من موضوع إلى موضوع دون ربط قوي بينهما، فيخطئ أحياناً في ترتيب الأحداث، مثل وضعه للهجرة النبوية قبل صحيفة الحصار، رغم أن الحصار حدث قبلها بخمس سنوات.

<sup>١٧٩</sup> نفس المصدر، ص: ٤٣.

<sup>١٨٠</sup> نفس المصدر، ص: ٤٨.

<sup>١٨١</sup> البوصيري، محمد بن سعيد، *الديوان، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١م*، ط: ٢، ص: ٣٩.

<sup>١٨٢</sup> نفس المصدر، ص: ٤١.

<sup>١٨٣</sup> نفس المصدر، ص: ٢٩.

## ظاهرة التكرار

التكرار هو عنصر مهم في بناء النصوص الشعرية، حيث يساعد في جعلها أكثر ترابطاً وانسجاماً. وقد أشار الباحثون إلى أن التكرار قد يأخذ أشكالاً مختلفة، مثل إعادة الكلمة نفسها، أو استخدام كلمات مرادفة، أو ألفاظ عامة.

في قصيدتي الهمزية لكل من البوصيري وأحمد شوقي، يظهر التكرار كوسيلة انسجام يساعد في ربط الأبيات وتوضيح الفكرة الأساسية للقصيدة. لكنه ليس مجرد تكرار للألفاظ، بل يحمل تأثيراً موسيقياً ومعنوياً يزيد النص جماليته.

يمكن تحليل ظاهرة التكرار في القصيدتين من خلال المعلومات التالية:

### همزية البوصيري

عدد التكرار	التكرار الحرفي
٢١	الني
١٦	الله
١٦	القوم
١١	الفضل
٨	العين
٩	القلب
٧	المصطفى
٧	المدح
٧	الشمس
٦	النور

٦	الرحمة
٦	الأنبياء
٦	السماء
٥	النفس
٥	الذنب
<b>العدد الترتيبي للبيت</b>	<b>التكرار الجزئي</b>
٢	سنا / سناء
٥	ضوئك / الأضواء
٢٦	أضاءت / ضوئها
٢٣	شَفَتْنَا / الشفاء
٢٥	العلو / العلياء
٣١	لبنها / ألبانها
٢٥	سعيد / سعداء
٣٩	وجدها / الوجد
٦٠	الهدى / هداك
٧٢	ناداه / النداء
٨٥	العرب العرباء / الجاهلية الجهلاء
٨٨	المستهزئين / استهزاء
١٠٢	أكلها / أكل
١٣٣	غطت / الغطاء
١٣٨	الظل / الظلال
١٣٩	أظلت / ظلة
١٥٠	أذاها / يؤذي

١٥٢	أثرى الثرى / أحييت إحياء
٢٠٣	جحدنا / جحودكم
٢١٥	الشهادة / الشهداء
٢٦٤	البذيء / البذاء
٣٦١	الأبعد / تبعد
٣٧٧	الأمانة / الأمانة
٣٨٦	انطوت / انطواء
٣٩٥	البطنة / البطان

### همزية أحمد شوقي

عدد التكرار	التكرار الحرفي
١١	الله
١١	الحق
٨	الدين
٥	الهدى
٥	النور
٤	الزمان
٤	الحرب
٤	السماء
٤	الاسم
العدد الترتيبي للبيت	التكرار الجزئي
١٢	خلقت / مخلوق
١٢	العظام / العظام

٣١	قادرا / مقدرًا
٣١	عفوت / بعفوك
٣٢	رحمت / الرحماء
٣٣	غضبت / غضبة
٣٤	رضيت / مرضاته
٣٨	أجرت / المستجير
٤١	صحبت / الأصحاب
٤٠	بنيت / ابتنيت
٥٣	حسدوا / الحسود
٥٤	الهادي / الهدى
٦٣	سلافته / السلاف
٧٩	منة / ممنونة
٩٦	يمينه / اليمين
١٠٤	الضلالة / الضلال
١٠٩	ردّوا / لا تُردّ
١١٤	الشفاعة / الشفعاء
١١٦	الصالحين / الصالحات
١٢٢	مادحا / المديح

يظهر من هذه المعطيات، لجأ الشعاعران إلى التكرار، سواء بإعادة نفس الكلمات أو استخدام صيغ متقاربة، لكن بدرجات وأساليب مختلفة. ظاهرة التكرار سمة بارزة على السياق التاريخي والانفتاح الثقافي الذي تأثر به كل من الشعاعرين، كما تعكس الغرض

الأساسي لكل منهما. في قصيدة شوقي، التكرار أكثر كثافة رغم قصر النص، بينما في قصيدة البوصيري، التي هي أطول بكثير، يتوزع التكرار بانسيابية. ومع ذلك، يظل حجم التكرار في القصيدتين متقاربا، مما يعكس إدراك شوقي لقوة التكرار في ترسيخ المعنى وتعزيز الإيقاع الشعري .

كشاعر من منطلق صوفي، يُفضّل البوصيري شخصية النبي على كل ما سواه بتكرار كلمة 'النبي' و'المصطفى' مرات كثيرة ويجعل النبي مركزا أساسيا لقصيدته كما للعالم كله، وكذلك كرّر كلمتي الفضل والشمس مشيرا إلى عظمة النبي وسموه. في المقابل، تركّز همزية شوقي على مفاهيم أخلاقية واجتماعية، كتكرار 'الحق' و'الدين' و'الهدى' مما يشير إلى رؤية تجعل الدين إطارا فكريا لمواجهة التحديات المعاصرة ومواكبتها. هذا الاختلاف يوضح تباين السياقات التاريخية والأهداف الشعرية بينهما؛ فبينما يعكس البوصيري روحانية العصور الوسطى، يتجه شوقي إلى توظيف الدين في عرض مشروع نهضوي حديث.

إضافة إلى ذلك، يكرر البوصيري كلمات مثل 'القلب'، و'النفس'، و'الذنب'، من حيث إنها تظهر انغماسا صوفيا في التوبة والتضرع، حيث يناجي الشاعر النبي الكريم طالبا شفاعته ومحوه لزلات النفس. أما في التكرار الجزئي، فيستخدم البوصيري اشتقاقات 'الضوء' وما شابهها، مثل سنا و سناء وأضاءت وضوئك ليلون قصيدته بلون الصبغة أو الاستعارة الصوفية الكلاسيكية. بينما يلجأ شوقي إلى التكرار الجزئي لخلق تناقضات

معنوية، كاقتران 'الضلالة / الضلال' مع 'الهدى'، مما يعزز جدلية الصراع بين الحق والباطل .

إجمالاً، يساهم التكرار في القصيدتين في تحقيق الاتساق النصي، وإضفاء إيقاع مميز على الشعر، فهو ليس مجرد إعادة للألفاظ، بل أداة أساسية تعزز البنية الشعرية وتثري جماليتها.

### ظاهرة الاستبدال

الاستبدال في القصيدة العربية يُعد من الأساليب البارزة التي تُسهم في تحقيق انسجامه. تظهر هذه الظاهرة من خلال استبدال كلمة أو عبارة بأخرى داخل النص، سواء لتحقيق تنوع لغوي أو دلالي، أو لتجنب التكرار المباشر، وهي مما يُعزّز جمالية القصيدة وإيقاعها، ويُضفي عليها حيوية وتجديداً. يُعدُّ الاستبدال في الشعر العربي أداة فنية متقدمة تُبرز مهارة الشاعر في التنويع والتجديد.

وتتضح عملية الاستبدال التي وظفها الشعاران أحمد شوقي والبوصيري في همزتهما ومدى تأثيرها في ترابط النصيين من خلال النماذج الآتية:

#### همزية البوصيري

المستبدل به	المستبدل
-------------	----------

النبي	مصباح كريم شمس المصطفى أحمد اليتيم رسول الله المختار سيد معجز القول مقسط معطاء أحلم البرية الأمي النبي الحبيب النبي أكرم الخلق أبو القاسم رحيم شفيع عبد الله رحمة بحر
-------	--

الإله ربّ	الله
--------------	------

### همزية أحمد شوقي

المستبدل به	المستبدل
النبى	الهدى خير من جاء الوجود محمد اليتيم الأمى ابن عبد الله المسرى أحمد شيخ الفوارس رسول من له الشفاعة ساقى الجريح مطعم الأسرى رسول الله
الله	اسم الجلالة الهادى الكريم

يظهر من خلال المقارنة بين نزعة الاستبدال في قصيدتي البوصيري وشوقي أن كليهما اعتمدا على هذه الظاهرة لتعزيز جماليات القصيدة وتحقيق التنوع الدلالي والموسيقي، إلا أن الفروقات الأسلوبية بينهما تعكس اختلاف العصور والاتجاهات الأدبية. فقد جاء الاستبدال عند البوصيري تقليديا، قائما على مفردات مألوفة في المدائح النبوية، مثل: المصطفى والمختار والحبیب والرحمة، وذلك يعكس أيضا تأثيره العميق بالنزعة الصوفية التي تعرض صورة النبي الكريم ككائن مقدس. ويُعظّم الشاعر الذات النبوية من خلال ربط النبي الكريم بالرموز الكونية، مثل المصباح والشمس والبحر.

في همزية شوقي، يأخذ الاستبدال منحى إنسانيا وحديثا، حيث يربط النبي ﷺ بالبطولة والعدالة الاجتماعية، كما في 'شيخ الفوارس' و'ساقى الجريح'. يستخدم شوقي استبدالات رمزية مثل "الهدى" و"خير من جاء الوجود" لتجسيد عالمية الرسالة النبوية. كل من الشعارين يستخدمان كلمات مثل الأمي واليتيم والشفيع أو من له عز الشفاعة، لكن بطرق تعكس رؤية كل منهما. فالبوصيري يستخدم 'الأمي' لتأكيد معجزة النبي ﷺ في اكتساب العلم دون معلّم، و'اليتيم' لربطه بالرحمة الإلهية التي أحاطت به منذ طفولته، و'الشفيع' لتجسيد دوره في الشفاعة يوم القيامة. أما شوقي، فيستخدم هذه الكلمات لتقديم صورة مميزة للنبي، كما أشار بالأمي إلى رتبة النبي في العلم وتقدير العلماء له رغم أنه لم يتعلم على يد بشر، ووصف النبي باليتيم مشيرا إلى حكمة كمينه

في يتم النبي الكريم. وعبارة 'من له عزّ الشفاعة' يرمز إلى عظمة النبي في الآخرة ومكانته الفريدة.

في حين تركّز همزية البوصيري على الجانب القدسي والمعجزات النبوية في إطار روحاني، تعتمد همزية شوقي على عظمة شخصية النبي على الإطلاق بدون إشارة قوية إلى العطاء الرباني.

ختاماً، يظهر التحليل المقارن لآليات الاتساق في همزيتي البوصيري وأحمد شوقي كيف تطورت المدائح النبوية عبر النزعات والاتجاهات المختلفة حتى في اختيار الكلمات. فمن خلال دراسة التناسق والتكرار والاستبدال في القصيدتين، تتضح الفروق الجوهرية بين الأسلوبين، حيث يعكس البوصيري روحانية العصور الوسطى، بينما يقدم شوقي صورة متجددة للنبي الكريم تمزج بين الإرث الديني والبعد الإنساني.

يتجلى في همزية البوصيري نزوع نحو الرمزية الكونية والاستلهام الصوفي، حيث يركّز على المعجزات والقداسة، مستعيناً بتكرار الألفاظ ذات الطابع الديني، وتوظيف التناسق مع القرآن والأحاديث النبوية لتعزيز قدسية النص. في المقابل، يتبنى شوقي نهجاً أكثر حداثة، فيبرز القيم الإنسانية من خلال استبدالات تعبّر عن بطولة النبي وأثره الاجتماعي.

## الخاتمة

بعد هذه الدراسة المقارنة بين مدائح البوصيري وأحمد شوقي عموما وهمزيتيها على وجه الخصوص، يتضح أن المديح النبوي لم يكن فنا ثابتا، بل صار يتطور عبر العصور، محتفظا بجذوره التقليدية لكنه يكتسب في كل زمن طابعا جديدا يتماشى مع ظروفه الثقافية والاجتماعية. فقد تميزت همزية البوصيري بنفَسٍ صوفي وروحاني عميق، حيث غلب عليها التأمل والتعبير الوجداني، مستخدما لغة قوية ذات بُعد ديني خالص. أما أحمد شوقي، فقد أضفى على همزته لمسة تجديدية، متأثرا بالتيارات الأدبية الحديثة، حيث جعل نصه أكثر تنوعا وحيوية، إلى جانب اهتمامه الكبير بإبراز الجانب الحضاري والثقافي للإسلام.

وقد كشفت المقارنة بين القصيدتين عن اختلاف واضح في الأسلوب والبنية الفنية، فبينما التزم البوصيري بالأسلوب التقليدي، جاء أسلوب شوقي أكثر انفتاحا، يجمع بين الكلاسيكية والتجديد، وقد منح ذلك قصيدته مرونة لغوية وتدقيقا إيقاعيا خاصا. كما أن البيئة التي عاش فيها كل شاعر لعبت دورا كبيرا في تشكيل مدائحيهما، فانعكس التصوف في شعر البوصيري، بينما تأثرت همزية شوقي بالنزعة النهضوية بشكل كبير.

في النهاية، يفتح هذا البحث آفاقا جديدة لدراسات أكثر عمقا حول تطور المديح النبوي، وكيف تأثر بالعصور المختلفة، ودوره في تشكيل الخطاب الديني والأدبي في الثقافة العربية

## المصادر والمراجع

### المعاجم والموسوعات

١. أحمد درنيقة، محمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ط: ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت - ٢٠٠٣ م.
٢. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد - ١٩٤١ م.
٣. الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة - ١٩٠٠ م.
٤. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، صيدا - ١٩٩٩ م.
٥. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية.

### الكتب

٦. إبراهيم علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - ١٩٥١ م.
٧. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب، بيروت - ١٤١٩ هـ.
٨. ابن إسحاق، محمد، كتاب السير والمغازي، دار الفكر، بيروت - ١٩٧٨ م.
٩. ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد، البديع في البديع، ط: ١، دار الجيل، القاهرة - ١٩٩٠ م.
١٠. ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

١١. ابن حجر الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن محمد، المنح المكية في شرح الهمزية (أفضل القرى لقراء أم القرى)، ط: ٢، دار المنهاج، بيروت - ٢٠٠٥ م.
١٢. ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض - ١٩٨٥ م.
١٣. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري، دار الكتب العلمية الحديثة، بيروت - ٢٠١٠ م.
١٤. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، شرح تائبة البوزيدي في الخمرة الأزلية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء - ١٩٩٨ م.
١٥. ابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد بن عبد الكريم، لطائف المنن، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود، دار المعارف، القاهرة - ٢٠٠٦ م.
١٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - ١٩٩٩ م.
١٧. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٨. ابن معصوم المدني، السيد علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع، مطبعة النعمان النجف، ١٩٦٨ م.
١٩. ابن مليك الحموي، علاء الدين علي بن محمد، ديوان النفحات الأدبية من الزهرات الحموية، تقديم وتحقيق: إسراء أحمد فوزي الهيب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق - ٢٠١٠ م.
٢٠. ابن هشام، جمال الدين عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٥٥ م.
٢١. أبو الربيع الحميري، سليمان بن موسى بن سالم، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - ﷺ - والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٩ م.

٢٢. أبو شقرا، محي الدين يوسف، مدخل إلى سوسولوجيا الأدب العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - ٢٠٠٥ م.
٢٣. أبو علي، أ.د. نبيل خالد، الأدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني، مؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع، غزة - ٢٠١٩ م.
٢٤. أحمد صبره، د. فؤاد، الرسول ﷺ في الأدب العربي الحديث.
٢٥. أحمد عبد الوهاب أبو العز، إثني عشر عاما في صحبة أمير الشعراء
٢٦. أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢ م.
٢٧. إيليا أبو ماضي: الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت - ٢٠٠٤ م.
٢٨. البارودي، محمود سامي، الديوان، مؤسسة هنداوي، القاهرة - ٢٠١٣ م.
٢٩. البارودي، محمود سامي، كشف الغمّة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر - ١٣٢٧ م.
٣٠. البوطي، محمد سعيد رمضان، مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، دار المعرفة، دمشق - ١٤٠٨ هـ.
٣١. الجرجاني، عبد العزيز القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل
٣٢. حسين، طه، تقليد وتجديد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٧ م.
٣٣. حسين، طه، حافظ وشوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - ٢٠١٢ م.
٣٤. حسين، طه، فصول في الأدب والنقد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة، ٢٠١٣ م.
٣٥. الحلبي، صفى الدين عبد العزيز، شرح الكافية البديعية، ت: د. نشيب نساوي، دار صادر، بيروت - ١٩٩٢ م.
٣٦. حتّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، دار الجيل، بيروت - ١٩٨٦ م.

٣٧. الحوفي، أحمد محمد، وحي النسيب في شعر شوقي، مطبعة العلوم بشارع الخليج  
بجنيّة لاط - ١٩٣٤ م.
٣٨. الخفاجي، د. محمّد عبد المنعم، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار  
الجيل، بيروت - ١٩٩٢ م.
٣٩. خورشيد البري، الدكتور عبد الله، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى،  
٤٠. د. حافظ محمد بادشاه، قضايا المجتمع في شعر حافظ إبراهيم، ٢٠١٧ م.
٤١. د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية، مطابع  
أهرام الجيزة الكبرى.
٤٢. د. شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، دار المعارف، القاهرة -  
١٩٨٤ م.
٤٣. د. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار الآفاق العربية، القاهرة - ٢٠٠٦ م.
٤٤. د. عثمان طه، قصائد مختارة في حب سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين،  
دار المنهاج، بيروت - ٢٠١٣ م.
٤٥. دكتور إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط: ٤، دار الثقافة، بيروت -  
١٩٨٣ م.
٤٦. الدكتور شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات مصر (تاريخ الأدب العربي ٧)، دار  
المعارف، القاهرة.
٤٧. الدكتور ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، جرّوس برس،  
طرابلس لبنان - ١٩٩٥ م.
٤٨. ديوان ابن نباتة المصري، شركة علاء الدين، بيروت.
٤٩. ديوان البرعي في القصائد الربانية والمحمّدية والصوفية، مؤسسة المطبوعات  
الإسلامية، القاهرة.
٥٠. ديوان البوصيري، محمّد بن سعيد، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، شركة مكتبة  
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ١٩٥٥ م.

٥١. ديوان البوصيري، محمّد بن سعيد، دار المعرفة، بيروت - ٢٠١١ م.
٥٢. ديوان الشابّ الظريف، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف، النجف الأشرف - ١٩٦٧ م.
٥٣. ديوان الصرصري، تحقيق الدكتور مخيمر صالح، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك.
٥٤. ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر - ١٩٨٧ م.
٥٥. ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٤ م.
٥٦. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت.
٥٧. ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد السكري، دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض - ١٩٨٩ م.
٥٨. ديوان محمود سامي البارودي، مطبعة الجريدة، مصر - ١٣٢٧ هـ.
٥٩. رشيد، ناظم، كتاب المدائح النبوية في أدب القرنين السادس والسابع للهجرة، دار آفاق عربية، بغداد - ١٤٢٣ هـ.
٦٠. الرصافي، معروف بن عبد الغني، ديوان معروف الرصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٧ م.
٦١. الرّوّزني، حسين بن أحمد بن حسين، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، بيروت - ٢٠٠٢ م.
٦٢. الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
٦٣. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد، مفتاح العلوم، ط: ٢. دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٨٧ م.
٦٤. شكيب أرسلان، شوقي صداقة أربعين سنة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠٢٠ م.
٦٥. شوقي، أحمد، الشوقيات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١٢ م.

٦٦. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-١٩٩٣ م.
٦٧. الصَّفديّ، صلاح الدين أبو الصَّفَاء خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات.
٦٨. صفى الدين الحلبي، عبد العزيز بن سرايا، شرح الكافية البديعية، ت: الدكتور نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت-١٩٩٢ م.
٦٩. الصَّلَّابيّ، علي محمد محمد، المغول [التتار] بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة، مصر - ٢٠٠٩ م.
٧٠. ضيف، أحمد شوقي عبد السلام، شوقي شاعر العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- ٢٠١٠ م.
٧١. الطَّهَطَّاوي، رفاعه رافع بن بدوي بن علي، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، دار الذخائر، القاهرة- ١٤١٩ هـ.
٧٢. عاجز، كلیم أحمد، وه جو شاعری کا سبب ہوا، حیدرآباد، ہدی بیلکیشنز ١٩٩٦ م.
٧٣. العامري، ماجد إبراهيم سلحب، أصداء سقوط الخلافة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ١٩٢٤-١٩٩٤، دار الكتاب الثقافي-الأردن، ٢٠٠٤ م.
٧٤. عبد الرحمن بن عبد الله، نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، دار العباد، بيروت.
٧٥. عرفان شهيد، العودة إلى شوقي أو بعد خمسين عاما، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت - ١٩٨٦ م.
٧٦. عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت-١٩٩٢ م.
٧٧. علي مكي، الدكتور محمود، المدائح النبوية، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١ م.

٧٨. العيد آل خليفة، محمد بن محمد، الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر- ٢٠١٠م.
٧٩. عيد، صلاح، مديح الرسول في فجر الإسلام، دار المعرفة، القاهرة - ١٩٧٥م.
٨٠. غنيمي هلال، د. محمد، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - ١٩٩٧م.
٨١. فتح الله مصباح، د. محمد، بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠١١م.
٨٢. الكتبي، محمد بن شاکر، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - ١٩٧٤م.
٨٣. القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمان-١٩٨٦م.
٨٤. قدامة بن جعفر، أبو الفرج البغدادي، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية - ١٣٠٢هـ.
٨٥. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة مختصر تلخيص المفتاح، ط: ٣، مراجعة عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .
٨٦. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، بشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة .
٨٧. كامل حسين، محمد، أدب مصر الإسلامية (عصر الولاة)، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة - ٢٠١٧م.
٨٨. المازني، إبراهيم عبد القادر، شعر حافظ، مطبعة البوسفور، القاهرة - ١٩١٥م.
٨٩. مبارك، د. زكي، الموازنة بين الشعراء، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة - ٢٠١١م.
٩٠. مبارك، د. زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٢م.
٩١. مجلس، ثريا عبد الفتاح، القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الكتاب، بيروت - ١٩٩١م.

٩٢. محمد المجذوب، شعر شوقي في ميزان النقد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٧٥ م.
٩٣. محمد عبده عزام، النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠١ م.
٩٤. محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٩٥. محمد، د. محمود سالم، كتاب المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق - ٢٠١٩ م.
٩٦. مصطفى ناصيف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت - ١٩٨١ م.
٩٧. المطعني، د. عبد العظيم إبراهيم، الهمزية في مدح خير البرية ﷺ رائعة الإمام البوصيري عرض وشرح وتحليل، دار الرائد للطباعة، بغداد.
٩٨. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - ١٩٧٧ م.
٩٩. المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١٨ هـ.
١٠٠. المقريزي، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: فرديناد واسطون فيلد (Ferdinand Wüstenfeld)، جوتنجن (Göttingen)، ألمانيا - ١٨٤٧ م.
١٠١. نعيم الحمصي، نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية (١٩٨١-١٩٨٢ م)، جامعة تشرين باللاذقية.
١٠٢. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، القاهرة - ٢٠٠٥ م.
١٠٣. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة - ٢٠١٩ م.

104. Schielke, Samuli, The Perils of Joy: Contesting Mulid Festivals in Contemporary Egypt, Syracuse University Press, New York- 2012

## الرسائل والأطروحات

١٠٥. ابن فردية، مراد، تمثلات الآخر في الخطاب الصوفي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة قاصدي مرباح - ورقلة كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، ٢٣ ٢٠٢٣ م.
١٠٦. حكيمة بوشلاق، استنساخ نص المديح النبوي من التأسيس إلى اكتمال النموذج، رسالة الدكتوراه، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - ١٧ ٢٠١٧ م.
١٠٧. حليلة، مدرس، المديح النبوي عند البارودي وشوقي، جامعة وهران، السانوية (الجزائر) - ٢٠٠٨ م.
١٠٨. نبيلة خالد حيدرة والأستاذ الدكتور / بلقاسم الجطاري، التناسخ أحد قضايا النقد العربي الحديث، شعبة النشر والخدمات المعلوماتية، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، الإمارات العربية المتحدة - ٢٢ ٢٠٢٢ م.
١٠٩. وادي، طه، شعر شوقي الغنائي والمسرحي، أحمد شوقي: دراسة في أعماله الروائية (رسالة الماجستير) لأصيل عبد الوهاب يوسف عطعوط، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين - ١٠ ٢٠١٠ م.

## المقالات

١١٠. أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام (مع تقديم الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم)، مجلة الرسالة، دار الرسالة بشارع سلطان حسين، القاهرة - ٥ مايو ٩٥٢ م، العدد: ٩٨٣.

١١١. أمين شيخ باقري، قصائد المعارضات في المدائح النبوية (دراسة أسلوبية ومفهومية  
لبردة البوصيري وقصيدة نظام البردة لعلي أحمد باكثير)، مجلة آداب الكوفة،  
العدد: ٥٢، ج: ٢، حزيران ٢٠٢٢ م.
١١٢. أنطول الجميل، شاعرية شوقي ومميزاتها، ذكرى الشاعرين شاعر النيل وأمير  
الشعراء، دراسات ومراث ومقارنات، الجمع والترتيب: أحمد عبيد، المكتبة العربية،  
دمشق، ط ١.
١١٣. البوطي، د. سعيد رمضان، الهَمْزِيَّة.. تلك الرائعة التي انشغل الناس عنها بالبردة،  
موقع نسيم الشام، ت.ن: ٢/٢/٢٠١٥ م.
١١٤. الجراح، حيدر، خاتم الرسل في الشعر العربي المعاصر، شبكة النبأ المعلوماتية،  
ت.ت: ٠٥/٠٤/٢٠٢٥ م
١١٥. الحراق، دكتور محمد شداد، شعر المديح النبوي: حاجة اجتماعية ونفسية، موقع  
نور، ت-ن: ١٥-١٠-٢٠١١ م.
١١٦. د. جميل حمداوي، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، مجلة ندوة إلكترونية  
للشعر المترجم.
١١٧. د. سليمان، إحسان محمود، المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات (دراسة  
نقدية تحليلية)، مجلة البحث العلمي في الآداب، (اللغات وآدابها)، جامعة عين  
شمس، مصر - يناير ٢٠٢٠ م.
١١٨. د. عفاف مبروك محمود عاشور، القصيدة الغزلية عند أحمد شوقي "دراسة في  
المضمون"، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الستون، يناير - ٢٠١٧ م.
١١٩. د. محمد خاقاني ومحمد رضا عزيزي بور، المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري،  
مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: ٩-٢٠٠٨ م.
١٢٠. رامز محيي الدين علي، الفقر في عيون الأدباء والمفكرين، موقع منبر حرّ للثقافة  
والفكر والأدب.

١٢١. عبد المحسن الشطي، أ.د عبد الفتاح، قصيدة المديح النبوي ﷺ بين البوصيري وشوقي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٨١) العدد (٤) أبريل ٢٠٢١ م.
١٢٢. العتيبي، د. فلاح بن مرشد بن خلف، المدائح النبوية في شعر ابن مليك الحموي دراسة استقرائية تحليلية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا.
١٢٣. فهمي، خالد، شعراء مسيحيون يتغنون بمدح النبي عليه السلام، الجزيرة نت، ت-ن: ١٥-٠١-٢٠١٥ م.
١٢٤. مدخل إلى المديح النبوي في الشعر المغربي الحديث، دعوة الحق، العدد: ١١٩.
١٢٥. مهنا هائل الرجيلات، الصورة الفنية في المدائح النبوية في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، جامعة مؤتة (كلية الدراسات العليا) - الكرك (الأردن)- ٢٠١٧ م.
١٢٦. ولد الهدى... عندما طلب الملك فاروق حذف «الاشتراكيون أنت إمامهم»، جريدة ويتو (Veto)، ت.ن: ١٦/١١/٢٠١٨ م.

127. Homerin, Th. Emil, Reflections on Arabic Poetry in the Mamluk age, Mamluk Studies Review, Middle East Documentation Center (MEDOC), The University of Chicago – 1997.

## نتائج البحث

- المديح النبوي هو شعر يمدح النبي ﷺ بصفاته وأخلاقه ومعجزاته وسيرته وغزواته مع الصلاة والسلام عليه تقديرا وتعظيما. بعض المدائح النبوية قد تركز على جانب واحد مثل الشمائل، فيبدو أن التعاريف المطروحة لهذا الفن الشعري قد تأسست على سماته البارزة في العصور الوسطى.
- صدق المشاعر مهم في المديح النبوي، هذا لا يدل على أن شاعر المديح يجب أن يكون مسلما، فقد نظم غير المسلمين أيضا قصائد في مدح النبي ﷺ إعجابا بأخلاقه ومبادئه.
- رغم كتابة معظم المدائح بعد وفاة النبي ﷺ، فإنها لا تعدّ رثاء لأن الشعراء يرونه حيًا في قبره، إلا أن ما كُتب مباشرة بعد وفاته يدخل في باب الرثاء.
- ظهرت ملامح المديح النبوي منذ العصر النبوي على يد شعراء مثل كعب بن زهير، لكنه أصبح فنًا مستقلاً في القرن السابع الهجري مع البوصيري.
- عناصر المدائح النبوية تنوع بين المقدمة، وذكر الولادة، والشمائل، والمعجزات، والأحداث المهمة، والدعاء والصلاة على النبي ﷺ، ولكن ترتيبها يختلف حسب رؤية الشاعر.
- اختلفت مقدمات المدائح النبوية بين الغزل التقليدي (ككعب بن زهير) والنسيب النبوي (كالبوصيري والبارودي)، وخلت بعض المدائح من المقدمة.

- اتبع كثير من الشعراء - منذ البوصيري - الترتيب التاريخي في مدائحهم، وبرزت في تلك المرحلة معاني التوسل والمحبة العميقة.
- كتب البوصيري ١٤ قصيدة في المديح النبوي، تفاوتت في الطول بين القصائد المطولة ك'الهمزية' (٤٥٦ بيتا) والقصائد القصيرة مثل 'الصبح بدا' (٨ أبيات). وذلك يدل على تنوع أساليبه بين الإيجاز والتفصيل حسب السياق.
- استخدم البوصيري البحر البسيط في خمس قصائد مدحية، لسهولته وملاءمته للإنشاد، كما لجأ إلى بحور أخرى كالكمال والطويل والوافر والخفيف وغيرها.
- جمع البوصيري بين التقليد والتجديد، فاستهل بعض قصائده بمقدمات تقليدية، لكنه غالبا ما بدأ مباشرة في موضوع المديح.
- تنقسم المدائح النبوية في العصر الحديث إلى نوعين: معارضات لقصائد شهيرة مثل 'نهج البردة' و'كشف الغمة'، وقصائد إبداعية ابتكارية مثل 'مجد الإسلام' لأحمد محرم.
- كتب أحمد شوقي أربع قصائد مستقلة في مدح النبي ﷺ، أشهرها 'نهج البردة'، التي نظمها على نمط بردة البوصيري، وتعرض فيها للخيال بشكل لافت، مما أدى بعض أبياته إلى انتقادات، مثل وصف جبريل ب'ظمي'. وواجهت المدائح النبوية لشوقي انتقادات على أنها لا تتضمن الصدق العاطفي.

- تتسم مدائح شوقي مثل 'نهج البردة' و'ذكرى المولد' بمقدمات طويلة، حيث لم يبدأ المدح الصريح في 'نهج البردة' إلا من البيت ٤٣، بينما لا يشمل مدح النبي في 'ذكرى المولد' إلا أقل من ثلث القصيدة.
- قصيدة الهمزية للبوصيري هي أطول مدائحه. اقترض الشاعر هيكل هذه القصيدة وقافيتها وبحرها وأسلوبها الجدلي وحتى بعض مفرداتها من صاحب المعلقة الحارث بن حلزة اليشكري. قصيدة الهمزية لأحمد شوقي قد تأثرت بقصيدة البوصيري بشكل بسيط حيث استعار الشاعر موضوعها ومفرداتها ورويتها وأسلوبها حيث شرع في الموضوع مباشرة بدون مقدمة غزلية.